يوميات الإرشاد

منشورات

معهد محمد السادس
لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات

بسم الله الرحمن الرحيم

يوميات الإرشاد

منشورات : معهد محمد السادس

لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات

السنة: 2023

الإيداع القانوني: 2023MO5222

ردمك : 978-9954-794-52-4

© حقوق الطبع محفوظة

الطبع: رؤى برينت

ROA PRINT رؤى برينت
NOUVELLE FACON DE VOUS EXPRIMER

رقم 873، شارع محمد الخامس، تجزئة سيدي عبد الله - سلا
البريد الإلكتروني: roaprint22@gmail.com
رقم الهاتف: 0537873372 / 0660665159

تقديم

الأستاذ أحمد التوفيق
وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية

الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

الأئمة المرشدون والمرشدات المتخرجون من معهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات ذخيرة مباركة لتأطير تبليغ الدين على مستوى الوطن. وحيث إن إطارهم بين أئمة المساجد وبين العلماء وإن كانت عُدّة كثير منهم وكثير منهن لا تقل عن عُدّة العلماء والعالمات، إطار فريد غير مسبوق من حيث موقعه في أي جهة مقارنة بالمهام المنوطة به وإن كانت واردة بمجملها في نص وثيقة التعاقد بينهم وبين وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية فهي مهام تحتاج إلى بيان في تفاصيلها من جهة التنزيل الذي هو مفتاح التبليغ. ومن مذاكرتي مع بعض الأئمة المرشدين والمرشدات ومن خلال أسئلتهم في ما يتعلق بالتعامل مع الناس في الميدان جاءتني فكرة نظم هذه التجارب في سرد سيستأنس به كل المرشدين

والمرشدات، علما بأن كل حالة فيه هي مجرد واقعة مما لا يحصى من الوقائع التي يحفل بها العمل الميداني، ولكنها كلها لا تخرج عن جلّ ما سيق في هذا السرد أي أبواب الإيمان والعمل الصالح وما ينبغي أن يكون لهما من ثمرات في الحياة الطيبة.

المتصور في هذا السرد، بفضل تبليغ العالم والأئمة المرشدين والمرشدات، أن أهل القرية التي جرت فيها التجربة قد عرفوا واستيقنوا منافع اتباع قيم الدين في حياتهم في سبيل التخلص من الأنانية والإقبال على المعروف بجميع أشكاله بدءا بإتيان الزكاة والإنفاق عامة.

أردت بهذا التقديم أن يعرف قراء هذه اليوميات من المرشدين والمرشدات أنها ليست خيالا ولكنها شهادات متفرقة نُسجت بحيث تفيد في الاستئناس، علما بأن كل عامل وعاملة إذا أخلص وقصد يمكن أن يفيد ويهدي الله به.

يوميات الإرشاد

منذ ثماني سنوات تخرجت من معهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات التابع لجامعة القرويين، وذلك بعد أن التحقت بهذا المعهد بمباراة وقضيت فيه اثني عشر شهرا من التكوين تم على إثرها تعييني من طرف وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في جماعة ترابية لممارسة مهمة الإرشاد على أساس تعاقد عمل مع هذه الوزارة تضع الأئمة المرشدين المتخرجين رهن إشارة المجلس العلمي الأعلى الذي يضعهم بدوره رهن إشارة المجالس العلمية المحلية.

وكان معظم ما قمت به أنا وغيري من الخريجين، لحد الآن، المساعدة في التكوين المستمر للسادة الأئمة، والنيابة عنهم وعن الخطباء عند الاقتضاء، والمشاركة في تأطير الحجاج، والمشاركة في برنامج الوعظ، والمشاركة في الأنشطة العلمية التي تقوم بها المجالس العلمية، والمساعدة على حياد المساجد والالتزام داخلها في التأطير بمقتضى ثوابت الأمة في العقيدة والمذهب والسلوك والإمامة العظمى.

كنا نتوقع على الدوام أن يتم تكليفنا بمهام أخرى تدخل ضمن التأطير الديني المتعاقد عليه عامة، والمضي بذلك إلى مراحل نقوم فيها بدور تأطيري أكثر كثافة وفعالية من أجل الغاية الأسمى التي تكرر تحسيسنا بها في المعهد وهي الإسهام بالإرشاد في تسديد أحوال تدين الناس، غير أن العمل في التبليغ والهداية ظل مفتوحا لنا بحكم تكليفنا ولا يتوقف بالضرورة على انتظار برمجة وترتيب معلومين، ولكننا كنا مقتنعين بجدوى تبادل التجارب وبضرورة التوجيه في ما يتعلق بالتعامل مع قضايا التأطير الديني في الميدان والتجاوب مع التحديات في هذا المقام.

منذ ثلاث سنوات تزوجت بفاطمة الزهراء، مرشدة تخرجت بعدي بعامين وعُينت في نفس الجماعة القروية التي عينت بها. وجدنا لهذا القرآن بركات عظيمة ونعما نفسية ومادية، وغمرتنا روحانية تزداد بمرور الأيام والليالي ونحن نرى أن الله تعالى قد أنعم على الواحد منا بالآخر في كل شيء، وكانت لنا أذكار نذكرها قبل النوم وقبل الفجر، وصرنا نتحدث كل يوم عن هذه النعم وكيف أن الله تعالى كتب لنا، برعاية الوالدين، أن نحفظ القرآن، وأن ندخل الجامعة، وأن نكون من خيرة المتخرجين، وأن ندخل معهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات، لنتخرج ويكون لنا عمل نتقاضى عليه أجرا وهو كله عبادة، والواقع أن كل عمل يتم بإخلاص هو في صميم العبادة، وكنا نستعظم هذه النعمة ونتساءل هل نجتهد في عملنا على قدر ما يسعنا من شكر هذه النعمة.

وقد قررنا، أنا وفاطمة الزهراء، في انتظار المراحل المقبلة، أن نتريث في إنجاب الولد، حتى لا يؤثر ذلك في هذه المرحلة على عطائنا، سيما وأن هذا التريث ممكن مادامت الأم التي سيصيبها الوهن الأكبر لا يتعدى سنها الخامسة والعشرين.

تأطير المجلس العلمي المحلي

كان لنا مع السيد رئيس المجلس العلمي المحلي تواصل خاص مؤكد، وكان يقدّر مشاركتنا في جلسات الحوار التي يجريها مع الأئمة المرشدين والمرشدات، بل كان يزورنا في بعض الأحيان في القرية مقر عملنا وإقامتنا. وكان يكلفنا بالإعانة في تحرير بعض التقارير التي تُطلب منه، وكنا سعيدين بقربه وثقته.

التكليف بمهمة جديدة وبيان الدواعي إليها

وحيث إن السيد رئيس المجلس العلمي علم حماسنا وتحفزنا للمضي إلى الأمام، فقد خطط لنا برنامجا يتمثل في التركيز على قرية واحدة من قرى الجماعة التي تم تعيينا فيها، ليست هي قرية مركز الجماعة التي نسكن فيها. وقد تذاكرنا معه في صميم موضوع التدخل الإرشادي الميداني ووجدنا أنه الموضوع الذي بلغنا أنه قيد التحضير على مستوى المجلس العلمي الأعلى في العامين الأخيرين، ويدور في جوهره على تقريب تدين الناس في حياتهم من توجيه الدين في العبادات والمعاملات والقيم والمكارم، على أساس ملاحظتين:

أولاهما: أن كثيرا من أحوال الناس في حياتهم بعيدة عن أحكام الدين وتوجيهاته؛

ثانيتهما: أن الناس، إذا أُرشدوا إلى الإيمان الحق والعمل الصالح، فإن حياتهم ستزكو وتطيب وسيحمدون ذلك ويعود نفع الاتباع على حياتهم.

يتعلق الأمر إذن، بربط العبادات بثمراتها عبر الإلحاح على الناس بالبيان حتى يفهموا ويستيقظوا ويعرفوا ما هي أبواب الخير لأنفسهم ويتنبهوا إلى أن الذي يوقعهم في التقاعس عن الخير هو أمر لابد من استحضاره باستمرار، ألا وهو هوى النفس، هذه النفس التي تنبغي محاسبتها.

المستجد في المهمة

فهمنا من السيد رئيس المجلس العلمي المحلي أن هذا الأمر من حيث المشروعية يدخل في التبليغ الذي هو منوط بالعلماء وبمن في حكمهم، وأن الجديد فيه جوانب سبعة هي:

أولا: القيام بالتبليغ في جو من القرب والحميمية والمشاعر الروحية بين الإمام المرشد والمرشدة من جهة وبين المقصودين من الرجال والنساء بالتبليغ من جهة أخرى؛

ثانيا: متابعة التبليغ القولي بشروطه الملائمة، بحيث لا يبقى التبليغ مقتصرا على خطبة أو موعظة يلقيها المبلغ وينصرف دون اهتمام بالوقع والأثر في النفوس؛

ثالثا: التزام وحدة الموضوع وهيكلته ومراعاة الأولويات في الدين أحكاما وأخلاقا، وذلك بهدف إعانة المتلقي على التغيير والإصلاح وحتى يهتدي بنفسه إلى مراد الله به، وأن هذا المراد هو إحسان الإنسان لنفسه، وإذا آمن بذلك فلا يستثقل العبادة ولا يحصرها في الفرائض، بل يجعلها تعم كل عمل صالح يمكن أن يقوم به في الحياة.

رابعا: تبسيط الكلام في الدين حتى يكون الفهم في متناول الجميع مع تعمد التكرار حتى تتقرر المعلومات في الأذهان؛

خامسا: الحديث إلى الناس في أحوالهم الحاضرة بلغتهم وبالمصطلح الذي يفهمونه وذلك بقصد إسعافهم على معالجة مشاكلهم؛

سادسا: تغليب أسلوب الترغيب والتحبيب والتيسير.

سابعا: التركيز في الحديث إلى الناس على النقطة الأساسية وهي أن التدين الصحيح هو الذي يؤتي ثمرته التي هي الحياة الطيبة.

التحضير على مستوى المجلس لتجربة تبليغية في قرية بعينها لمدة عام

بعد هذا البيان، واستعدادا للعمل الميداني، أمر السيد رئيس المجلس العلمي المحلي بعقد ثلاثة اجتماعات في الأسبوع لمدة شهر، وكان يحضرها السادة الأعضاء والسيدة العضو في المجلس، ويحضرها كذلك الأئمة

المرشدون والمرشدات في دائرة المجلس، وعددهم أربعة وعشرون إماما مرشدا وعشر مرشدات، وقد قام السيد الرئيس بطرح الفكرة على الحضور وبيّن أن المقصود هو القيام بمبادرة تبليغية بالمواصفات المذكورة في قرية بعينها لمدة عام واحد، على نية الاستفادة من التجربة في أفق إطلاق المجلس العلمي الأعلى لمبادرة عامة في هذا المضمار.

المرجع

مرجع السيد الرئيس في هذا الأمر هو الاتصال الذي أجراه السيد الأمين العام عن بعد بالمجالس العلمية المحلية وكذا التواصل الذي قام به السيد وزير الأوقاف والشئون الإسلامية عن بعد كذلك مع الأئمة المرشدين والمرشدات.

تحضير وثيقة مواضيع ووثيقة تأصيل

طلب السيد رئيس المجلس العلمي المحلي من الجميع الاشتغال لتحضير وثيقتين:

1) وثيقة تبين مواضيع تدخل في خطاب التبليغ؛
2) وثيقة تؤصل لكل موضوع من الكتاب والسنة.

وحيث إن القصد هو القيام بتبليغ يسدد تدين الناس ويبين لهم سبل الحياة الطيبة، فقد تم الاتفاق على أن تنطلق الوثيقتان من قوله تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ اَوُ انثىٰ وَهُوَ مُومِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْۥ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾) [1].

[1] - النحل 97.

وقد سلكنا المسلك الطبيعي ببصيرة قاصدة بحيث استخرجنا من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة المواضيع الكبرى للتبليغ، ونظرنا في العلائق بينها بحسب الأولويات وبحسب تشجيرها المنطقي، أي بتوضيح الأمور التي إذا تم اتباع أمر واحد منها أفضى إلى تسديد جوانب في الحياة، وتوضيح الأمور التي إذا وقع الانتهاء عن أمر واحد منها، أفضى الأمر إلى تسديد جوانب عديدة في السلوك.

أمور يتوجب على المبلّغ استحضارها

وقد تبين من المذاكرة أن أمورا يتوجب على المبلغ استحضارها في السياق الحاضر، ومنها:

- أن التبليغ المطلوب يدخل في وراثة العلماء للأنبياء، وأنه، كما جاء في رسالة سيدنا محمد ﷺ، مفصل في المهمات الأربع: تلاوة الآيات، والتزكية، وتعليم الكتاب، وتعليم الحكمة، وأن هذه المهمات تفضي إلى البناء الأكمل للإنسان؛

- أن تحقيقها في الناس مبني على الفطرة وسلامة النية بالنسبة للمتلقين، وإن كان مطلوبا فيها الاعتماد على العلم بالنسبة للمبلغين؛

- أن العملية التبليغية تتحقق ثمرتها، وهي المقصودة، بقدر تحقيق التزكية، أي محاسبة النفس، وهي عملية التقوى وإيقاظ الضمير؛

- أن الوازع الذي هو تأثير قول الله تعالى وقول نبيه ﷺ في نفس الإنسان متوقف على الاستعداد الذي يغذيه الذكر والشكر وتغذيه خشية الله ومحبته في القلوب؛

- أن الأوامر والنواهي ينبغي أن تُقدم بمراعاة البعدين الفردي والجماعي، مع بيان الصلة العضوية الوثيقة بين البعدين؛

- أن حكمة الله وسنته اقتضت أن الوازع عند عدد من الناس في الانتهاء عن الشرّ يقع خوفا من عقوبة الدنيا التي ينزلها الحاكم، وهذا ما سماه بعض السلف بوازع السلطان؛

- أن النفوس تميل على العادة إلى العصيان، لأن الطاعة تتطلب حسن الظن والحكمة ومراعاة المصالح، لذلك لا يعتبر كثير من الناس طاعة الحاكم، ولو كان قائما على المصالح، أمرا داخلا في الدين، وهو غلط كبير، بل يبحث الميّالون إلى العصيان عن تأويلات للتملص من مقتضيات قوله تعالى: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلاَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلاَخِرِ ذَالِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَاوِيلًا)[1].

- ينبغي فهم الأمر أي "الطاعة"، في سياق التبليغ، على أنه التزام النظام والعمل بالشرع والقانون، ليس إلا، واعتباره أمرا ذا أهمية قصوى ترجع إلى ضرورة استتباب الأمن لكي يقوم الدين، ونظرا لما ذكرناه من ارتباط البعد الفردي بالبعد الجماعي في التدين، أي أن الفرد محمول على أن يستجيب لله ورسوله إذا كانت جماعته في حياته تعينه على ذلك، وكان حكام بلده يسعون لمثل ذلك، وكذلك الأمر بالنسبة للجماعة والحاكم، فإن الأمر يستقيم بقدر ما يستيقظ الأفراد من غفلة الجهل والهوى ويسعون لحماية أنفسهم من شقاء الدنيا وعذاب الآخرة.

[1] - النساء 58.

قيام الإمام المرشد والمرشدة بتدبر معاني توجيهات المجلس

بعد الحوارات داخل المجلس العلمي المحلي ومع المرشدين والمرشدات، أخذنا أنا وزوجتي المرشدة نستعرض هذه المبادئ والتوجيهات ورأينا فيها فتحا عظيما لم يُسبق في باب هداية الناس إلى سبل التدين، وكنا نتوقف عند نقطة الأهلية لتزكية الآخرين، فتبين لنا أن هذا الشرط غير معترض في حالتنا لأننا مطوقون بهذه المهمة بحكم المنصب والتكليف، وأن الباقي يتوقف على حسن النية، وحسن النية متوقف على حسن الظن بالله تعالى وعلى إدامة الدعاء بالتوفيق.

العملية التبليغية ليست تعليمية وحسب بل ينبغي أن تبني رابطة روحية

كنا نحس بأن العملية التبليغية ليست عملية تعليمية بقدر ما هي عملية رابطة روحية، وكنا نستحضر أن أمر النجاح في هداية الناس مشروع، ولكنه مرتبط بالنسبة إليهم بما كتب الله لهم من الأرزاق، ومرتبط بالنسبة للمبلغ بالسعي والصبر وبالحكمة في التبليغ.

الانتقال إلى القرية

انتقلنا إلى القرية، وهي ليست غريبة عنا بحكم كونها ضمن الجماعة التي وقع تعيينا فيها، ولكن المعرفة بأحوالها ليست عندنا على ما تتطلبه المرحلة الجديدة. نزلنا عند إمام المسجد الأكبر، وهو أحد المساجد الثلاثة بالقرية، تعددت المساجد لتباعد الدواوير، وكنا نعرفه لأنه المسجد الذي يجري فيه برنامج التكوين المستمر للأئمة المعروف ب

"ميثاق العلماء". وفي غد وصولنا التحق بنا عضو من المجلس العلمي المحلي.

شرح الموضوع للأئمة

تحدثنا إلى الأئمة الثلاثة عن المرحلة التجريبية الجديدة في التأطير الديني، وشرحنا لهم:

- أن الأمر ليس فيه جديد من حيث المضمون الذي قاموا به لحد الآن، وهو إرشاد الناس والحرص على هدايتهم؛

- أن المعول عليهم في إنجاح هذه المبادرة هم الأئمة الدائمون العارفون بالناس وأحوالهم؛

- أنه لا ضرورة لإشعار الناس في القرية بأن هناك نقصا مّا في مهمة المساجد --والأئمة إلى حد الساعة، وإنما يجب التدرج في شرح المطلوب لهم وخلق الطلب والحماس في نفوسهم للفهم والعمل؛

- أن تعيين إمام مرشد ومرشدة في قرية واحدة إجراء عادي قرره المجلس العلمي المحلي؛

- أن شرح الموضوع للناس سيكون بموعظة يلقيها الإمام المرشد بين العصر

والمغرب ويعيدها بين المغرب والعشاء في المسجد الكبير في القرية، وتلقيها المرشدة بين الظهر والعصر للنساء، وتكون خطبة الجمعة في الموضوع نفسه، ويستمر ذلك لمدة شهرين كاملين تمهيدا لبرنامج تسديد التدين هذا.

معرفة أحوال القرية ضروري

- طَوَال الشهرين يقوم كل من الإمام المرشد والمرشدة، بمعونة الأئمة المحليين، بجمع المعلومات عن أحوال الناس العامة من الرجال والنساء مما يمكن أن يتناوله الإرشاد الديني القولي أو العملي، لأن المقصود هو التغيير وتتبع أثر الإرشاد والتحاور مع الناس في ذلك مع تدبير ما هو من قبيل فعل الخير إن تيسر.

استعمال الزمن

بدأنا هذا الحديث من يوم الأربعاء إلى يوم الأحد، وقد حضر السيد العضو المكلف في المجلس العلمي المحلي في اليوم الأول والأخير، ووعد بأن يعود في الشهر الأول بعد عصر كل جمعة.

تواضع الإمام المرشد أفاد في فهم الأئمة

ظهر أن الأئمة قد فهموا الموضوع وذهبت عنهم الدهشة والحيرة وبدأ يغمرهم الاطمئنان، ويظهر أن مرد ذلك على الخصوص إلى ما أظهرتُ لهم من خفض الجناح ومن التواضع الصادق ومن الحرص على عدم إشعارهم بأي احتياج إلى غيرهم، ورأيتهم على الخصوص يزدادون ثقة لما رأوني أقرأ معهم الحزب الراتب بعد صلاتي المغرب والصبح، مثل قراءتهم ومع إتقان كل القواعد. وكنت أحرص على أن أكون بباب المسجد قبل الفجر عندما يفتحه المؤذن، فإذا حضر الإمام وجدني قد سبقته.

كنا أنا والمرشدة عند المؤذن في بيته في الأسبوع الأول بإلحاح منه، وقد حرصنا على عدم تحميل أهل البيت معظم النفقات. وكانت فرصة لي وللمرشدة في التعرف على أمور مفيدة تهم القرية.

المسكن في القرية

يسّر الله لنا، بمسعى الإمام والمؤذن، مسكنا بكراء قليل قدمه لنا مالكه شيخ القرية وهو مؤثث وقريب من المسجد.

الموعظة الأولى: شرح سورة العصر

في الموعظة الأولى قمت بشرح قوله تعالى في سورة العصر: (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝١ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ۝٢ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣)[1].

قلت لهم فيها: إن عددا من الناس بيننا يحفظون هذه السورة ويقرأونها في صلاتهم، ونريد اليوم أن نقف عندها لأن الله تعالى، وهو العليم بأحوالنا، قد شرح لنا فيها أن الناس منذ كانوا إلى يوم القيامة فريقان: فريق خاسر وفريق رابح، وكأن الناس في ملعب كرة أو في سوق تجارة، وكل فريق يتمنى أن يربح، ولكي يربح عليه أن يتفوق في اللعبة أو يتقن التعامل مع أحكام السوق، فما من داخل إلا ويتمنى أن يربح، وقد بيّن لنا الله تعالى أن الفريق الرابح هو الذي تتوفر فيه شروط بيّنها لنا وهي:

- الإيمان؛
- العمل الصالح؛

[1] - العصر1-3.

- التواصي بالحق؛
- التواصي بالصبر.

والله تعالى الرؤوف الرحيم بنا يريد أن نكون جميعا من الرابحين، ولكنه سبحانه علم، وهو الذي خلق الناس وأعطاهم الوسائل للوصول إلى الربح، أن عددا منهم، وإن كان قد أعطاهم العقل وحرية الاختيار، لن يسلكوا طريق الفلاح، بل سيقعون في الخسران، وإذا نظرنا في هذه الآية وجدنا أن الفلاح متوقف على شرطين سهلين واضحين هما: شرط الإيمان وشرط العمل الصالح، مضافا إليهما التواصي بالحق والتواصي بالصبر. وما أحسن أن يؤمن الإنسان الفرد بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما أحسن أن يقوم بالعمل الصالح إذا عرفه وقام به على قدر استطاعته، ولكن الدين يقوم في الجماعة، ولذلك كان على الجماعة، لكي تنجو من الخسران، أن تتواصى بالحق وتتواصى بالصبر. وهذان الأمران إنما فيهما مصلحة الإنسان، وكأن القرآن يقول لنا إذا أراد الإنسان أن يربح وينجو من الخسران فعليه أن يحرص على مصلحته فردا وجماعة، الإيمان والعمل الصالح فردا، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر جماعة. وهكذا فالعمل بالقرآن عمل للحياة قبل الممات، وكل عمل أمر به القرآن أو وجّهت إليه السنة إنما هو في مصلحة الإنسان.

الموعظة باللغة المحلية

ألقيت هذه الموعظة بالعربية الدارجة ثم باللغة الأمازيغية، اللغة الأصل في القرية، وبدا لي شيء من الاندهاش في وجوه الحاضرين لأنهم ما ألفوا الكلام في الدين إلا باللغة العربية الفصحى، فإما أنهم استحسنوا أن يسمعوا الموعظة بلغة يفهمونها أكثر من غيرها، وإما أن اندهاشهم وقع لأن الكلام في الدين، بقطع النظر عن الفهم، ينبغي في

تصورهم أن يبقى داخل الهالة التي للعربية الفصحى؛ وعلى ذلك قلت لهم، وكأنني أعلم ما يدور في نفوسهم: إن همنا، إن شاء الله، هو الاقتناع بأن القصد من المواعظ والخطب في ما جاء به الدين هو العمل بالدين في حياتنا، والعمل هو ما أراده الله تعالى من بيان الدين. وكنت أثناء الكلام في الموعظة ألقي جملا فصيحة تُظهر أنني لو شئت ألقيت عليهم الموعظة بالعربية الفصحى.

موعظة ثانية: الدين أمران: الإيمان والعمل الصالح من أجل حياة طيبة

قلت لهم في موعظة ثانية، تأكيدا لما جاء في الأولى: إن الدين هو أمران لا ثالث لهما: الإيمان والعمل الصالح، وسنعود إليهما في كل المواعظ بتفسير مضامين الإيمان وتفسير مضامين العمل الصالح، وأن المقصود ليس هو الوقوف عند فهم هذه المضامين وإنما الغاية هي التحلي بصفات الإيمان والقيام بأنواع العمل الصالح، وهذا يعني في نفس الوقت الابتعاد عن صفات الكفر والابتعاد عن كل أنواع الفساد.

زدت فقلت لهم: ينبغي ألا ننسى أن التدين المطلوب منا، وهو الإيمان والعمل الصالح، هما أمران إذا تحققا ظهرت ثمرتهما في أخلاق الشخص وسلوكه العملي، هذان الأمران يُرضيان الله تعالى، لا لحاجته إليهما، فهو سبحانه غني عنا، بل يرضيان الله لأنه يريد لنا أن نحيى حياة طيبة.

فكلامنا سيدور كله حول هذه الكلمات: الإيمان والعمل الصالح والحياة الطيبة، وهي مطلوب كل مؤمن، يعني هذا أن الكلام سيدور حول البحث عن هذه الحياة الطيبة في حياتنا، وهي حياة النجاح الذي يحبه كل منا ويسميه القرآن الكريم " الفلاح " في قوله تعالى: (قَدَ اَفْلَحَ

مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾)[1]، وقوله تعالى: (وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾)[2] فغايتنا أن يكون تديننا وسيلة وغاية للفلاح وللحياة الطيبة.

كلنا يحب النجاح ويكره الخسران، وكلنا يحب الحياة الطيبة التي نسميها "السعادة"، وبخلاف ذلك فإننا نكره حياة الشقاء، ويترتب على ذلك أن نسأل: ما الذي يجعل الناس لا يحققون النجاح والحياة الطيبة؟ هذا ما سنتحدث فيه، إن شاء الله، في لقاءاتنا الآتية.

تكرار الموعظة حتى يستمع لها معظم السكان

قلت: سنكرّر الموعظة نفسها حتى يستمع لها معظم سكان القرية، من الرجال والنساء، فالأمر يهمنا جميعا في هذه القرية، لأن أمر التدين الذي يثمر الحياة الطيبة أمر يقتضي التعاون على ما فيه جماع البر والتقوى.

أساس هذا التعاون هو ما جاء في الحديث المروي عن النعمان بن بشير في الصحيحين أنَّ رسول الله ﷺ قال: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[3]. فإذا كانت مفاتح كلامنا التي سنظل نعود إليها في تصحيح التدين هي الإيمان والعمل الصالح من أجل الحياة الطيبة،

---

[1] - الأعلى 14-15.

[2] - الحشر 9.

[3] - أخرجه مسلم في صحيحه، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم.(حديث: 2586، بترتيب محمد فؤاد عبد الباقي.ط. دار إحياء التراث، بيروت).

فلابد أن نضيف إليها مفتاحا آخر هو تعاون الجماعة، على الدين قولا وعملا.

حضر هذه الموعظة الأولى العالم السيد عضو المجلس العلمي المحلي، وأئمة القرية الثلاثة ومؤذن المسجد الأكبر في القرية وخمسة من السكان، وثلاثة من التلاميذ المراهقين الذين يحفظون القرآن على يد إمام المسجد الكبير، كما أدوا معنا صلاة العصر جماعة.

وحضر هؤلاء تكرار الموعظة الأخيرة في اليوم الثاني بعد صلاة المغرب وقراءة الحزب الراتب. وحضرها من سكان القرية ثمانية ممن صلوا معنا صلاة المغرب.

تسجيل الموعظة لنشرها

كنت قد طلبت من أحد الأئمة أن يسجل الموعظة في هاتفه حتى يمكنه إسماعها أو تحويلها إلى من يرغب في ذلك من سكان القرية، والهدف هو أن ننطلق جميعا في بناء الفهم المطلوب للدين في علاقته بالحياة، وأن المعول على التذكير بالمنطلقات، ولكن المأمول أيضا هو حسن الفهم حتى لا يكون هناك، عن جهل، تردد أو توجس أو معارضة بين السكان في ما يخص مبادرة التبليغ التي نحن مقبلون عليها.

دعوة للعشاء بدار الشيخ

بعد صلاة العشاء في أحد تلك الأيام الأولى أخبرني إمام المسجد أننا مدعوون للعشاء في دار شيخ القرية، واسمه الحاج عمر. وقد فهمت أن مثل هذه الدعوة من الشيخ إلى الأئمة لا ترد، واستبشرت بها خيرا لعدة أسباب، منها أن من ضرورات الاشتغال في القرية ألا يكون عند المسئول

الإداري عنها أي تشكك إزاء مهمتي ومهمة المرشدة في التبليغ، ومنها ما يرجى من أن يبلغ من يهمه الأمر جلية مهمتي بلا وسائط، ومنها احتمال لقاء سكان آخرين أثناء هذه الدعوة. وكان الأمر كذلك، فقد تعمدت أن أسهل الأمر للشيخ ليقوم بواجبه في الاستخبار والتبليغ، وذلك بأن بيّنت له من أين جاء الأئمة المرشدون والمرشدات، وأنهم من معهد يحمل اسم أمير المؤمنين، وبأن مهمتهم هي نفس مهمة الأئمة التي هي تبليغ الدين والإعانة بالنصيحة على تصحيحه.

موعظة في دار الشيخ: شرح سورة قريش

وكما هي العادة في الجلسات والمآدب التي يُدعى إليها "الطَّلْبَة" أي الأئمة، فقد تلونا في البداية ما تيسر من القرآن الكريم، وبعد ذلك طلب مني الشيخ إلقاء موعظة، ألقيتها وشرحت فيها قوله تعالى: (فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ﴿٤﴾ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴿٥﴾)[1] . وكان من جملة ما قلته فيها إن الأمن هو نعمة الله الكبرى التي أرادها للإنسان حتى يستطيع تحقيق الحياة الطيبة، ولذلك ينبغي أن يقابلها الإنسان بالعبادة أي بالشكر، والأمن أمْنَان: أمن من الجوع وأمن من الخوف بأنواعه ومصادره العديدة، فالإنسان لا يستطيع أن يؤدي عبادة مطمئنة إلا إذا كان قد تحرر من الجوع وتحرر من الخوف، وهذه الآية من معجزات القرآن الكريم في هذا العصر والناس فيه منشغلون بقضايا الأمن على الحياة ضد الإجرام والعدوان و بالأمن الغذائي، وقد قدم القرآن الأمن من الجوع على الأمن من الخوف من الأمور الأخرى، والحكمة من قولنا هي أن الحفاظ على الأمن من صميم العبادة التي ينبغي أن يؤديها الأفراد وتحرص عليها الجماعات، فالجنود الذين يحمون أمننا

[1] - قريش 3-5.

الخارجي يدخلون في نعمة الله، وعملهم عبادة، ورجال الأمن الداخلي عملهم عبادة، ويدخلون في هذه النعمة، ورجال السلطة القائمون على النظام العام ضد الفتنة والفوضى، عملهم عبادة، ويدخلون في هذه النعمة، والذين يدبرون أمور حاجات الناس الضرورية الاجتماعية والاقتصادية عملهم عبادة، ويدخلون في هذه النعمة، ورجال القضاء الذين يحموننا من الخوف من الظلم، عملهم عبادة، ويدخلون في هذه النعمة، وكلها نعم تستحق الشكر بالمعونة الفعلية والتأييد بالنية الصالحة، وهذا التأييد لمن يقومون على حفظ أمننا من الجوع ومن الخوف من الأمور التي سنربطها في وعظنا بشروط الحياة الطيبة، وسنعود إلى هذا البيان باستمرار في مواعظنا وخطبنا.

تعقيب الشيخ

عندما انتهيت من الموعظة قال الشيخ صاحب البيت: لم يسبق أن سمعنا من يتحدث في الدين يدعو إلى تأييد رجال الأمن، أعطاك الله الصحة أيها الفقيه. قلت: لم نأت بشيء من عندنا، فما زدنا على أن أتينا بقليل من الشرح لما جاء في القرآن في موضوع الأمن، وسيكون كل كلامي وكلام السيدة المرشدة على الدوام، إن شاء الله، انطلاقا مما بيّن لنا الله تعالى في كتابه ومما جاء في سنة رسول الله ﷺ ، مع شرح وربط ذلك كله بما يهمنا في حياتنا.

تعليق أحد الحاضرين

التفت الشيخ إلى رجل من سكان القرية دعاه إلى العشاء، وكنت رمقته متميزا بلباسه ومظهره بين الجماعة، وهو في منتصف العمر، قال له الشيخ: ماذا تقول أيها الشيخ في كلام الفقيه؟

قال الرجل: كلام ما عندي ما أقول فيه، وهو يتقرب إليكم أنتم أهل المخزن، ولكن حبذا لو ترك الفقيه في وجهه بعض شعيرات بدل أن يقبح وجهه كل صباح كما لو كان حريما.

قال الشيخ وهو يخاطبني: هذه عادة هذا المتنطع، فلا تهتم بكلامه فهو مع ذلك طيب القلب.

لم أعقب بشيء، ورأيت الاستغراب على وجوه الأئمة، وسمعت أحدهم يهمس لي بالقول: " وأعرض...". تناولنا العشاء، وختمنا بالدعاء وانصرفنا، وعند الخروج قال الشيخ: سررنا بما سمعنا، فنحن في صف واحد، وإذا سُئلنا الآن عندنا ما نقول.

تبادل التعليق على المواعظ مع المرشدة

رجعت إلى الدار ووجدت السيدة المرشدة في نوع من الإثارة وهي تريد أن تتحدث عن لقائها الأول مع النساء في موعظتها التي ألقتها قبل موعظتي بين صلاتي الظهر والعصر، لأن هذا الوقت هو، حسب التجربة، الوقت الأوفق للنساء. قالت إن جمعها كانت فيه زوجات الأئمة الثلاث وزوجة المؤذن وبنته ومؤطرة محاربة الأمية وعشرون من نساء القرية، وقالت المرشدة إنها سعيدة بوجود زوجة المؤذن وهي من أصل القرية عارفة بأهلها، وهي ذات شخصية تجمع بين اللطف والنباهة.

قلت على التو للسيدة المرشدة: حبذا لو أعانتنا النساء على الرجال في ما نحن بصدده.

حدثتها عن مجمل وقائع مواعظي الثلاث، بعد العصر وبعد المغرب وفي الدعوة للعشاء، وكنت أخبرتها عن الدعوة للعشاء بالهاتف، وحدثتها عما قصدته من إشباع فضول الشيخ الذي أراد أن يعرف جلية

مهمتنا بهذه الإقامة في القرية بعد أن كان التردد عليها متقطعا من أئمة مرشدين ومرشدات، وحدثتها عن الشخص الذي أثار موضوع اللحية.

موعظة المرشدة

قالت: أما أنا فقد كيفت الموعظة مع ما حسبته انتظارات النساء حيث ركزت على مكانة المرأة في الإسلام فقلت لهن إن الله تعالى ساوى بين النساء والرجال، ولكنه تعالى ميّز النساء بإدامة الحياة بما يتخلق في بطونهن، وبأنهن موضع شفقة ورحمة منه سبحانه تعالى إذ شهد بما يصيبهن من الوهن والمشقة في الحمل، وما تحمُّلهن إلا لما أوتين من القوة والصبر المحمود، والنساء يربين الأولاد والبنات على السواء، لذلك فدورهن دور عظيم ما أقره وحمده ورتب عليه الحقوق إلا هذا الدين، وقد شهد رسوله الأكرم ﷺ بأن الجنة تحت أقدام الأمهات.

وقد قلت لهن إن كلامنا سيدور على بيان أن السعادة في الحياة هي مدار كلام الدين، وعلينا أن نتحدث كيف يمكن أن نصحح فهمنا لذلك، لأن كل العبادات ينبغي أن تكون لها ثمرات في حياتنا.

انتقاد لباس المرشدة

زادت المرشدة: لقد حدث في جلستي شيء مما توقعناه، إذ أنه كان من بين الحاضرات امرأتان، يظهر أنهما زوجة وحماتها، وهما مرتديتان اللباس الأسود الذي يغطي الجسم وعلى الرأس والوجه برقع. توجهت إليّ الزوجة، ويظهر أن لها نصيبا من التعليم، فقالت: كيف نسمع للنصيحة في الدين على لسان من هو خارج عن الدين بالتبرج؟ زادت المرشدة: قلت لها: بارك الله فيك وتقبل منك غيرتك على الدين، وما علينا إلا أن نصبر إن شاء الله حتى يكون لنا وقت نتذاكر فيه ويسمع

بعضنا من بعض، فالدين ليس في مجرد لباس الظاهر، بل هو الصدق ولباس التقوى، نرجو الله أن يوفقنا إلى العمل الذي به ندرك ، فضلا منه، لباس التقوى. لم تجب السائلة، بل قامت هي ورفيقتها وخرجتا.

تعليق المرشد والمرشدة على مسألة الحجاب

قلت: لا يفاجئنا وجود هذا الصنف من الفهم في هذه القرية لأنه قصر نظر مبثوث في كل مكان، فقد واجهني هذا الفهم في مسألة اللحية وواجهك في مسألة اللباس، وقد وفقك الله عندما قررتِ أن تلتقي بالنساء في المرة الأولى على السمت الذي أنت عليه من الوقار البعيد عن التزمت، لأن التزمت يحجر طبيعة النساء بدعوى تجنب فتنة الرجال، مع أن المسئولية إنما تقع على الرجال الذين ينشئون في حياتهم على الضعف والخوف من النساء ويريدون أن يظهرن بمظهر القبح والتنفير حتى لا يطمع فيهن الرجال، علما بأنه لا يطمع فيهن إلا من في قلبه مرض، بنص القرآن الكريم.

قالت المرشدة: سأعود إلى هذا الموضوع في الموعظة المقبلة دون أن أجعل مسألة اللباس هي الموضوع الرئيس.

ثم زادت: يبدو لي أن الذي أثار على الخصوص المرأة التي تكلمت هو ما تعمدتُه أنا من ترك مقدمة شعر رأسي تظهر فوق الغرة، ولكن معظم النساء لم يُخفين إعجابهن بلباسي الذي هو لباس المرأة المغربية بجماله ونخوته وألوانه الزاهية، وإن كنت حرصت على أن يكون بسيطا في ثمنه.

قلت: لا يستبعد أن يكون سؤال المرأة حول اللباس وخروجها هي ورفيقتها أمرا مدبّرا من زوج أو قريب من الجماعة التي تختزل الدين في

المظاهر، وسيظهر لنا في الأيام المقبلة ما حجم وجود هذا الصنف من التفكير في القرية، وتصحيح عقلياتهم من التحديات التي ستواجهنا.

الإمامان يستحسنان الموعظة

تحدثتُ في الغد مع إمامين من أئمة القرية الثلاثة حول وقائع الأمس، فاستحسنا موعظتي في دار الشيخ وقالا: هذا هو المطلوب لأن الإشاعات سبقت للتشويش على مهمتكما، وقال الإمام إن ملاحظة الرجل الذي نعته الشيخ ب" المتنطع " كانت مدبّرة من الشيخ، أما "المتنطع" نفسه فليس بالرجل المحترم في ديانته عند الناس، كما قال الإمامان إنهما علما بالمرأتين اللتين غادرتا مجلس المرشدة وأنهما من بيت شخص معروف بتشويشه على الإمام في أمور يعتبرها من البدع، وأنه صاحب متجر للمواد الغذائية يستقبل بين الحين والآخر رجالا يتميزون بطول اللحى يقدمون من المدينة، وقالوا عنه إنه قال لأخيه الأصغر ذات يوم وهما في المسجد: "لماذا لا تقبض يديك في الصلاة؟" فأجابه الأخ: " عليك أنت أولا أن تقبض يديك في دفع سياج أرضك على حساب أرض الأوقاف".

جاء الدين ليحقق به الناس الحياة الطيبة

حرصنا، أنا والمرشدة، في الأيام الموالية، كما سبق أن وعدنا، على إدارة الكلام على أن الدين جاء ليجعل حياتنا طيبة بشرطين واضحين هما في نفس الوقت جزء من تلك الحياة الطيبة ومسلك نحوها، وهما الإيمان والعمل الصالح، أردنا أن يتقرر ذلك في الأذهان وأن يستيقظ ضمير الناس بهذا الخصوص ليتطلعوا إلى التحقق بوعد الله بهذه الحياة، وأن الله لا يخلف وعده، وأكدنا على أهمية التعاون بين النساء وبين الرجال لبلوغ هذه الحياة، وأن الرجال على الخصوص لا يجوز أن

يعطلوا دور النساء بالتقليل من شأنهن في تحقيق هذه الحياة، كما أكدنا على مسئولية الفرد عن نفسه ومسئوليته عن جماعته ومسئولية الجماعة عن كل فرد من أفرادها.

توجيه الخطيب إلى الكلام في خطبته عن ضرورة الاستجابة لدعوة الله

في يوم الأربعاء ظهر لي أن أكلّم إمام المسجد الجامع في موضوع خطبة الجمعة، فقد لزم أن تتجه خطب الجمعة في نفس الاتجاه الذي هو مهمتنا أنا والمرشدة في القرية، وهو ترشيد تدين الناس لتحقيق وعد الله لهم بالحياة الطيبة مقابل شرطي الإيمان والعمل الصالح.

كان الإمام الخطيب يظن أنني أرغب في أن أكون أنا من يخطب ويصلي بالناس صلاة الجمعة، إذ قال لي بلطف وحسن نية:

"أنت أولى بإلقاء الخطبة والصلاة "؛

فقبّلت رأسه وقلت له حاشا معاذ الله، أنت إمام القرية وخطيبها، ولا يجوز إفساد ما هو صالح بل واجبنا التعاون على إصلاح ما يحتاج إلى إصلاح وتحسين ما ينبغي تصحيحه". ثم قال: الأمر بيننا فماذا ترى؟ قلت له: أرى أن تجعل خطبتك مبنية على تفسير قوله تعالى (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)[1].

قال: نتعاون على ذلك إن شاء الله.

قلت له: فلتكن خطبة قصيرة كما هي السنة ولتتمرن على أن تلقيها بعد العربية بلغة القرية، وهي الأمازيغية.

---

[1] - الأنفال 24.

قال: كان شيخ شيخي رحمه الله يفعل ذلك في سوس، وربما استهل الخطبة بالعربية وختمها بالدعاء بالعربية، ولكن صلب الموضوع يكون بالأمازيغية، وكان يقول: "المراد من الخطبة أن يفهم الناس كلام الخطيب"، ولكن الناس اليوم لم يعهدوا ذلك، ولربما يوجد من بينهم من يشوش ويصف هذا العمل بالبدعة.

قلت له: أقترح عليك في هذه البداية إذن أن تلقي الخطبة بالعربية ثم تلقيها بالأمازيغية، ولا تهتم لتشويش المشوشين.

الخطبة حول الاستجابة للدعوة

قال الإمام وهو يشرح الآية على الإجمال:

إن هذا الخطاب من الله تعالى موجه إلى المؤمنين والمؤمنات في كل زمان ومكان، وإن الدعوة إلى ما يحيي تعني الدعوة إلى قول الله في كتابه العزيز وسنة نبيه ﷺ؛ إن هذه الدعوة، بعد رسول الله ﷺ، هي ما يقوم بتبليغه المبلغون من الخطباء والوعاظ؛ إن هذه الدعوة دعوة إلى الفلاح المتوقف على الاستجابة.

إن المفهوم من كلام الله تعالى أن المؤمنين الموجهة إليهم الدعوة ليحيوا يراد بهم ألا يبقوا في موتهم المتمثل في حياة بشرية تشبه حياة البهائم، بينما الحياة التي يرضاها الله للمؤمنين والمؤمنات هي حياة أخرى تتحقق بالاستجابة لكلام الله والرسول.

إن من لم يستجب لهذه الدعوة للحياة المرضية من الله كأنه في عداد الأموات؛

لكن هؤلاء سيسألون عن عدم استعمال آذانهم في سماع الحق وعدم إعمال عقولهم في فقه دعوة الهدى.

ختم الخطيب قائلا : وكل من سمع قول الله تعالى في الآية التي شرحناها في خطبتنا وجب عليه أن يسأل نفسه: هل يستمع ؟ هل يستجيب؟ هل أدرك الحياة الموعودة؟ وهل تحققت له بالاستماع والاستجابة هذه الحياة التي يرضاها الله ورسوله؟ وإذا تساءلنا جميعا ما هي علامات هذه الحياة؟ وجدناها حياة الذكر والشكر، لأن الله تعالى جعل الشكر مقابل الكفر وقال: (لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧)[1] ، كما أن الذكر يؤدي إلى تحقيق الطمأنينة لقوله تعالى: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)[2]، والناس اليوم وقبل اليوم وفي كل مكان، الأغنياء منهم والفقراء، إنما يبحثون عن حياة الطمأنينة، وهي لا تباع ولا تشترى باللذات العابرة، وإنما تُطلب من الله بالشكر فهو القائل: (لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)[3] .

الإقبال على المسجد

كان المسجد غاصا بالمصلين والمصليات، وكان منهم الشيوخ والشباب وعدد من الكهول، يظهر معظمهم من الفلاحين والعمال.

شروط الخطبة

تناولت الغذاء عند المؤذن بحضور الخطيب وإمامي المسجدين، وهنأ الإمامان الخطيب على خطبته، وتدخلت لأقول: إن من مزايا

---

[1] - إبراهيم 9.

[2] - الرعد 29.

[3] - إبراهيم 9.

الخطبة السنية عدم الطول وعدم تعدد المواضيع، ومخالفة هذه السنة هي آفة عدد من خطب الجمعة، والغريب أن المجلس العلمي الأعلى قد أصدر توجيها للخطباء فيه تذكير بملامح الخطبة النبوية، ولا نظن أن كثيرا منهم غيروا عادتهم باتباع تلك التوجيهات.

قال أحد الأئمة: هذا أيضا يصدق عليه ما استمعنا إليه، الاستجابة لما يحيي، ويظهر أن بعض الخطباء كغيرهم تحكمهم العادة، وربما غلب على جماعة منهم قلة الاجتهاد الذي لا يكون معه التغيير.

قال الإمام الثاني: التغيير ليس سهلا لأنه يقتضي الفهم ويقتضي القدرة على التغيير المطلوب.

قلت: من كان يراعي أهمية المسئولية عن الدعوة لا يستسلم لا للخجل ولا للعناد، وإنما يتواضع ويسأل: كيف تتحقق الاستجابة في هذا الموضوع؟ الجواب في غاية السهولة: الاقتصار على شرح آية واحدة أو حديث نبوي، ويكون الشرح مما يهم الناس في حياتهم، يشرح لهم باللغة التي يفهمونها وعلى قدر عقولهم.

هل يفتح باب الأسئلة في الخطبة؟

قال الخطيب: هل ترى يمكن أن نسأل الناس في الخطبة المقبلة عما إذا كانوا قد ألقوا على أنفسهم السؤال المطلوب، وهل وجدوا له جوابا؟

المطلوب إثارة السؤال في نفوس الناس.

قلت: قال تعالى: (وَاتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ)[1] ، نحمده تعالى على أن ساقنا بسؤالكم بلا مشقة ولا كلفة إلى النقطة المطلوبة، وهي إثارة السؤال في نفوس الناس حول حياتهم من جهة العمل بهدي الدين، فالاستماع إلى الخطب والمواعظ والآيات دون تساؤل عن جانبها العملي وأثرها في الفرد والجماعة، غفلة كبرى تضعف التدين وتضل أهله.

قال أحد الأئمة: وهل يمكن للخطيب أن يسأل الناس فيجيبوه أو يسألونه فيجيبهم؟

قلت: من حيث المبدأ، لا مانع من ذلك، ولكن في فتح هذا الباب مجازفة بجو الهيبة والوقار المطلوب في وقت إلقاء الخطبة، لاسيما في هذا الوقت وما فيه من الجراءة من الجهلة والغافلين والفتانين، ولكن هذا النوع من الحوار ممكن ومطلوب في جلسات الوعظ والإرشاد، وسأبدؤه غدا السبت إن شاء الله بعد صلاة المغرب، فعسى أن يحضر عدد من الناس أكبر كل يوم أو على الأقل في نهاية الأسبوع، وستعينونني بنصائحكم ومعرفتكم.

مواعظ المرشدة قائمة على الحوار المباشر وعبر الهاتف

أما المرشدة فقد كانت تجعل جلساتها أسئلة وحوارا مع النساء الحاضرات، وقد قررت أن تقضي الشهر الأول معهن على ذلك المنوال في مواضيع تدور حول العبادات في كيفياتها الظاهرة، وأن تدير الكلام في الشهرين المواليين على حقوق النساء في الإسلام وعلى حياة أزواج رسول الله ﷺ، وفي نفس الوقت كانت تحثُّهن على استمالة النساء الأخريات إلى

[1] - البقرة 281.

المسجد، وهي تقصد من هذا القرار كسب الألفة والقرب معهن حتى يفتحن قلوبهن لها، وتمضي معهن إلى الواجبات.

كانت تبني توجيهها لهن على اليسر التام، وتوحي إليهن بالاحترام والتقدير، دون إشعارهن بأي حرج في ما يتعلق بأحوالهن، ومنهن من يأتين بالصبيان، ومنهن سافرات سفورا طبيعيا على عادة النساء القرويات، لاسيما العازبات منهن. ولكن أربع نساء من غير المبرقعتين السابقتين حضرن الجلسات ولم يثرن أي إشكال.

بالإضافة إلى المسلك المذكور، قامت المرشدة بكتابة رقم هاتفها المحمول على لوحة من الورق المقوى بجانب كرسي وعظها حتى تأخذه من النساء من أرادت، وكانت تقول في آخر كل جلسة: هذا رقم هاتفي، من كان لديها سؤال فأنا إن شاء الله أجيبها في أي وقت شاءت، سواء كان السؤال كتابيا أو شفويا مباشرا، إما بالعربية أو بالأمازيغية أو باللغة الأجنبية.

غير أنه صعب على المرشدة وعلي، أنا زوجها، أن نتحمل تبعات اقتراحها المتمثل في الاتصال بها على الهاتف، ذلك لأن الاتصالات كثيرة، وتأتي دون مراعاة الوقت، وليس معظمها في أمور العبادات، بل هي في مواضيع شخصية أو عائلية، وبعضها تنم عن أمراض أو أنواع من المعاناة. ومع ذلك نشطنا لهذا التفاعل وتحملنا عواقبه، وكانت له نتائج إيجابية من حيث القرب والتواصل، بل تمنيت أنا لو وقع مثله مع الرجال، ومع ذلك طلبت المرشدة من النساء ألا يثرن أثناء حضورهن في المجالس الأسئلة والمشاكل الخاصة وكذا موضوع التواصل معها عبر الهاتف.

موعظة أخرى في موضوع الاستماع من أجل الاتباع

عدت في موعظة السبت إلى موضوع وجوب الاستماع إلى دعوة الله الناس إلى ما يحييهم، وأكدت على أن الاستماع لا فائدة منه إذا لم يله الاتباع، أي تغيير ما يخالف في حياتنا أمر الله، وأننا نقضي وقتنا ونحن نحتج على أهلنا وعلى من نتعامل معهم إذا هم لم يسمعوا نصيحتنا ووقع لهم المكروه.

طرح مسألة ترسيخ تجويد التدين في خدمة تجويد الحياة.

فتحتُ الكلام مع الأئمة حول برنامج لترسيخ فكرة تجويد التدين في خدمة تجويد الحياة، وطرحنا مشكلتين: مشكلة ضرورة انخراط العدد الأكبر في المشروع، ومشكلة قيام " جماعة المسجد ".

مسألة استقطاب العدد الأكبر

أما مسألة العدد الأكبر في الإنصات لمضمون الإصلاح والتعاون عليه فقد اتفقنا على خمسة أمور:

1) إقامة وليمة (كسكس) في المسجد بعد صلاة العصر يوم السبت، تسبقها موعظة في الموضوع وتكرار ذلك لمدة خمسة أسابيع (اتفقنا على أن أكون أنا من ينفق سرا على تلك الوليمة) ؛
2) اجتهاد الأئمة في استدعاء الناس عن طريق أفراد نشيطين بعينهم؛
3) تكرار الموضوع المطلوب، وهو ربط العمل بقيم الدين بمصلحة الناس في الحياة الطيبة؛

4) استدعاء أشخاص مؤثرين إلى ولائم عند القيمين الدينيين بعد صلاة المغرب من كل يوم أحد، والعمل على إقناعهم بالموضوع.
5) قيامي، أنا المرشد، بإرسال رسائل قصيرة في الموضوع إلى هواتف عدد من السكان، يستأذنهم الأئمة مسبقا في الموضوع.

مسألة إحياء جماعة المسجد

أما مسألة إحياء "جماعة المسجد" فقد رأينا هذا الإحياء حيويا وضروريا، واستعرضنا الصعوبات أمام هذا الإحياء ووجدناها عديدة منها:

1) أن الجماعة التقليدية كانت من الأعيان وبعض بسطاء النساء، وكانت تعتني قبل كل شيء بالتعاقد مع إمام المسجد، في إطار ما كان يسمى ب"الشرط"، وتتخذ المسجد نقطة انطلاق، لاسيما بعد الخروج من صلاة الجمعة، للاتفاق على مواعد تهم الأشغال في المواسم الفلاحية؛
2) أن وظيفة الجماعة في ما يتعلق ب"المشارطة" مع الإمام ودفع "الشرط" قد ضعفت مع المستجدات التي طرأت على هذا الشأن، لاسيما بعد تدخل الدولة في هذا التحمل؛
3) أن عناصر جديدة قد دخلت بظهور جماعات متأثرة بالتيارات التي تشوش على الثوابت؛
4) أن نشاط تيارات سياسية في المجتمع جعلت الوزارة الوصية تتخذ عددا من الإجراءات لضمان حياد المساجد، إزاء هذه التيارات؛

5) حدوث جمعيات من المجتمع المدني تقوم ببعض وظائف جماعة المسجد، ولكن اختلاف توجهاتها وعدم انطلاقها من منطلق ديني يجعل من المتعذر التعامل معها كجزء من جماعة المسجد، وهذا لا يعني نكران عمل الخير أو استبعاد خبرات بعض الأفراد إذا أبدوا استعداداتهم للإسهام في ما يخدم الناس مما يلتقي مع قيم الدين لصالح الجماعة.

اعتبارا لهذه المعطيات تبيّن لنا أن جماعة المسجد هي كل من يقصد المسجد للصلاة إذا كان له اهتمام بشئون أهل جماعته وكان له استعداد لخدمة تجويد التدين قصد تجويد الحياة دون خلفيات مغايرة أو مناهضة للدين، سيما إن كان انتماء الفرد لا يشوش على نشاطه، وأن اكتشاف هذه المؤهلات رهن بالتجريب الميداني، مع التسديد، لأن سياق هذا المنظور وتصوره بهذه الاحتياطات أمر غير مسبوق، أي الاحتياج إلى جماعة المسجد بشرط ضمان حياد المسجد. وقد رأينا أن تتم توعية عامة الناس بالمطلوب، ثم التفاعل مع ردود الفعل كما يتعين.

عرض خارطة الطريق

شعرت بأن الأئمة كانوا يتشوفون لمعرفة خارطة طريق العمل من أجل ما نؤكد عليه من ضرورة تسديد التدين ومعرفة الفرق بين المقصود الذي نتهيأ له وبين ما كان عليه العمل لبيان أحكام الدين وأخلاقه إلى حد الآن وفي كل مكان.

فاتحتهم وتأكد لي تطلعهم، فقلت: كل ما قاله الخطباء والوعاظ لحد الآن مؤصل وصواب، ولكنه ظهر واضحا أن ما قالوه لا يؤثر كثيرا في حياة الناس، وهذا التأثير هو المقصود، حيث إن حياة الناس، كما

سبق أن قلنا، مليئة بما يخالف الحياة الطيبة التي وعد الله تعالى عباده بها بشرط الإيمان والعمل الصالح، فالقول الذي لا يصحبه العمل لا يكفي. فعلى المبلّغ أن يقول القول المؤصل في الدين، وعليه أن يستنير بمنهج صاحب الرسالة ﷺ في التبليغ، إذ كان يقول القول، لا لمجرد القول، بل ليغيّر، ليقرب، ليهدي، ليحسن، لينفع، ولقد سار على هدية السلف الصالح، فكانوا إذا سمعوا كلاما في الدين لم يغادروه حتى يغيروا به ما بأنفسهم أو ينفعوا به غيرهم. وسنعمل، إن شاء الله، في هذه الجماعة، بهذه الحكمة من خلال هذا التوجه:

- بيان ما جاء به الدين في مداخله الكبرى قبل تفاصيله؛
- شرح هذه المقاصد للناس في معناها ومقتضاها العملي؛
- الوقوف معهم عندها حتى يتأكد العمل بها؛

يبقى أن نعرف من أين نبدأ:

سنشرح أحكام الدين وهديه، بابا بعد باب، في خطب الجمعة؛

سنكرر مضمون الخطبة في المواعظ التالية، خلال الأسبوع، ونركز على الثمرات العملية لكل حكم أو هدي في حياة الناس في القرية.

سنذكّر الناس، باستمرار، بالأبواب الثلاثة الكبرى في عدد من الخطب والمواعظ، وهذه الأبواب الكبرى هي:

أولا: الإيمان ومقتضياته؛

ثانيا: الصلاة وثمراتها؛

ثالثا: العمل الصالح ومضامينه.

سنراعي توزيعا زمنيا للأبواب الكبرى للإرشاد.

ثم نعود لنخصص لكل باب المدة اللازمة والمقترح هو :

- شهران للتمهيد والتعرف على أحوال القرية وتأليف أكبر عدد من السكان؛

- شهران للحديث عن الإيمان ومقتضيات الالتزام به؛
- شهران للحديث عن الصلاة وثمراتها في النهي عن الفحشاء والمنكر؛
- شهر ان للكلام عن الزكاة وبيان أحكامها؛
- بقية أشهر العام للكلام عن العمل الصالح وتنزيل أحكامه، وتتبع ثمراته في حياة السكان.

قمت بإطلاع الأئمة على الترتيب المقترح للتدرج في التبليغ وفي الحرص على أن يكون له أثر في تغيير حياة الناس، وذلك في وثيقة هي بمثابة هندسة التبليغ وهي كالآتي :

مواضيع التبليغ أو هندسته من خلال الأركان وتنزيلها للقيام بالعمل الصالح

أولا: الإيمان:

1. تعريفه: الشهادة: إقرار والتزام؛
2. ثمرته في بناء شخصية المؤمن تظهر في التحقق به؛
3. ثمرته في إعطاء المعنى للحياة: المبدأ والسلوك والمصير؛
4. ثمرته في تمكين المؤمن من الحرية بالتوحيد، الحرية إزاء الأغيار البشرية؛
5. ثمرته في تمكين المؤمن من الحرية بالتوحيد، الحرية إزاء الأغيار المادية: الشهوات المحصلة والمأمولة؛
6. ثمرته في تمكين المؤمن من التزكية التي تكسب الوقاية من الشح وتكسب الطاقة على الاستجابة لوازع القرآن؛
7. ثمرته في التطبع على التزام الذكر واليقظة والحضور المتجلي في محاسبة النفس؛

8. ثمرته في التزام شكر النعم قولا وعملا؛
9. ثمرته في التزام الصبر الجميل على الابتلاء؛
10. ثمرته في الاقتناع والالتزام بتأطير تدين الجماعة بمقتضى الثوابت التي اختارتها الأمة في العقيدة والمذهب والسلوك من أجل اكتساب المناعة ضد الفتنة؛
11. ثمرته في الشعور بالانتماء إلى الأمة على أساس الاشتراك في قيم جوهرها التوحيد والتزكية والتجرد؛
12. ثمرته في اعتبار التقوى القيمة الوحيدة في التفاضل على صعيد الجماعة؛
13. ثمرته في تجنب الإفساد ولزوم التأدب مع جميع المخلوقات الحية والجامدة، وذلك من باب التأدب مع الخالق.

ثانيا: الصلاة: من حيث هي ذكر موقوت، فهي صلة دائمة بالله تعبئ في المصلي باستمرار، الحرص على طهارة الضمير، أي النية، وتمده بالطاقة من أجل الالتزام وتحميه من الغفلة والنسيان، ولذلك فهي تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، ومنه:

1. الكذب؛
2. أذى الغير؛
3. الظلم؛
4. أكل الحرام؛
5. الزنا؛
6. الإلقاء بالنفس إلى التهلكات؛
7. الإسراف في اللذات،
8. التبذير في الممتلكات والمستهلكات؛
9. الغلو والتشدد، وتدخل فيه دعاوى الإرهاب؛

10. التعصب للمعتقدات والانتماءات؛
11. الحرمان من الطيبات.

ثالثا: الزكاة، وهي من عمل الصالحات، ولكن لها موقع في تدين الجماعة:

1. المال الذي تؤخذ منه الزكاة؛
2. مقدار الزكاة؛
3. وقت إخراج الزكاة؛
4. وجوه صرف الزكاة؛

رابعا: الصيام وهو تربية على مجاهدة النفس وحبسها على ارتكاب المحرمات

خامسا: الحج وهو تدريب على التعاون والتعايش والصبر ونكران الذات والاشتغال بذكر الله؛

سادسا: الوجوه الأخرى للعمل الصالح:

العمل الصالح، وفيه ما هو منوط بالأفراد، وما هو منوط بالجماعة في مختلف مستوياتها، مع ما يوجد من الارتباط الشديد بين المستويين، أثر عمل الفرد على حياة الجماعة، وأثر المبادرات الجماعية على حياة الأفراد:

1. الإسهام في الأمن من الجوع والعيش الكريم (في النشاط الاقتصادي)؛
2. الإسهام في الأمن من الخوف عبر المشاركة السياسية السليمة الحافظة من الفتنة؛
3. الإنفاق عامة من غير الزكاة؛

4. نفع الناس عامة؛
5. الحرص على السعي وفق الأسباب والسنن مع نبذ التواكل؛
6. التعاون على البر والتقوى؛
7. التعلم والتعليم؛
8. أداء الحقوق والأمانات والوفاء بالعهود والعقود؛
9. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بوازع القرآن؛
10. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بوازع السلطان، وهو إقامة القوانين التي كانت تسمى ب"محاسن الشريعة" أو "المصالح" أو "مقاصد الشرع" أو "المعاني والحكم الملحوظة للشارع" عند القدامى وبلغة الوقت "مقاصد الشريعة"، والحرص التام عليها واعتبار هذا الالتزام من باب التعبد لله تعالى؛
11. التواصي بالحق، وهو إقامة مؤسسات الشورى وتراتيبها في جميع المستويات، درءا للفتنة، ويدخل فيه ذكر قيام مشروعية الحكم على البيعة الملتزم فيها بالكليات الشرعية.

استمع الأئمة لمضمون وثيقة العمل في التبليغ والتنزيل، واندهشوا لشموليتها ووضوحها وترتيبها وباركوها، وسلمتُ لكل واحد وكذا للمؤذن نسخة منها.

لا نبدأ حتى يلتحق بنا العدد الأكبر من السكان.

التقينا في الغد وقلت لهم: لا نبدأ فعليا، حتى يكون أكثر الناس من سكان القرية يترددون على المسجد لحضور صلاة الجمعة وحضور المواعظ أو يكون لنا يقين بأنهم يتابعون ما نقوله ويهمهم ويرغبون في التلقي وفي العمل.

قالوا: كيف نقدر على ذلك:

استعمال الإحصاء

قلت: الأولى أن نستعمل في تدبير أمور الدين الأساليب المفيدة التي يستعملها الناس في ميادين أخرى من أجل الفائدة والنجاعة، ومنها الإحصاء، فإذا فعلنا ذلك وجدنا أن عدد سكان القرية في إحصاء 2014 هو 1600. وعليه نقدر أنهم اليوم حوالي 2000. نصفهم من النساء. ونصف عدد الذكور هم غير مكلفين، فيكون العدد المأمول للمتابعة والتجاوب عبر المسجد هو ما لا يقل عن ثلاثمائة.

الشهر الأول: خطب حول الوعد بالحياة الطيبة

قضينا الشهر الأول نكرر الكلام في خطب الجمعة وفي المواعظ عن جوهر الموضوع الجامع لما نريده من التبليغ، وهو أن الله وعد الناس بالحياة الطيبة إذا آمنوا وعملوا الصالحات، على أن نشرح لهم كيف يتحقق ذلك ببيان أبواب الإيمان وبيان أبواب العمل الصالح، مع تكرار القول بأن عبادات غير مثمرة كأشجار غير مثمرة، تستهلك التربة والماء والهواء وتوهم بقامتها ومظهرها بأنها الشيء المقصود، وهي ليست بشيء.

تمكنا في آخر الشهر الأول من جلب ضِعف العدد الذي كان يتردد على المساجد الثلاثة، وكنت أتنقل بينها في الموعظة؛

وتمكنت بمعونة الأئمة والتواصل المباشر مع الناس من معرفة بعض أحوال سكان القرية، الفلاحين والعمال والتجار والمهاجرين والعاملين في المنشآت السياحية.

وحيث إن القصد التمهيدي في التبليغ هو إثارة اهتمام المعنيين، وهم هنا جماعة القرية، فقد اتفقت مع الخطيب على أن يجعل خطب الجمعة طيلة الشهر الموالي في أسلوب غير مألوف، وهو أسلوب السؤال

والجواب، وأن يتدرج فيها في بسط الموضوع العام المتعلق بأن يفهم المتدين موقعه من الدين بمراجع ما خططناه في خارطة التبليغ.

جاء في الخطبة الأولى:

دعونا نتساءل، عسى أن نكون أكثر استماعا وأحسن فهما، فنقول:

السؤال الأول: لماذا نحيى؟

الجواب: نحيى لنعبد الله، وهو سبحانه القائل في كتابه: (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾)[1].

السؤال الثاني: هل الله محتاج إلى عبادتنا؟

الجواب: الله غني عن العالمين، وهو القائل سبحانه: (إِنَ اَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ)[2].

السؤال الثالث: هل حياة الإنسان هي مثل الحياة المشتركة مع الدواب: الميلاد والنمو والأكل والشرب والتناسل والموت؟

الجواب: يتميز الإنسان بأن الله أعطاه الحرية ليختار بين الإيمان والكفر مع تحمل مسؤولية الاختيار، بخلاف الملائكة الذين (لاَّ يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُومَرُونَ)[3]. ثم إن الله سبحانه وتعالى كرّم الإنسان بأن رشحه لعبادته وبأن أعطاه من القدرات ما يستطيع به أن يقرأ آياته ويعبده، ولم يتركه ضالا، بل بيّن له السلوك اللائق به مع نفسه ومع غيره إذا أراد أن يتأهل لذلك الاستحقاق، وأول شروط الفلاح المترتب على ذلك الاستحقاق هو الإيمان، وهو القائل

---

[1] - الذاريات 56.

[2] - الاسراء 7.

[3] - التحريم 6.

سبحانه: (وَلاَ يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ)[1]، ولذلك لاَمَ الذين يرضون بالحياة كيفما كان نوعها، فقال: (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ)[2].

السؤال الرابع: ما هي الحياة التي يرضاها الله للمؤمن؟

الجواب: وصفها الله تعالى بأنها " حياة طيبة "؛

وفي الخطبة الثانية قال:

السؤال الخامس: قلنا في ما سبق إن الحياة التي يرضاها الله للمؤمن هي الحياة الطيبة، فما هو وصف هذه الحياة الطيبة؟

الجواب: هي حياة الإيمان والعمل والذكر والشكر والرضا والصبر والطمأنينة؛

السؤال السادس: ما هي الشروط لتحقيق الحياة الطيبة؟

الجواب: بيّن الله سبحانه وتعالى أن الحياة الطيبة تتحقق بالإيمان والعمل الصالح؛

السؤال السابع: ما هي صفة الإيمان الذي يؤدي إلى الحياة الطيبة؟

الجواب: هو الإيمان باللسان والتصديق بالقلب والعمل بالجوارح، وأول العمل بالجوارح إحسان العبادات المفروضة.

وفي الخطبة الثالثة قال:

---

[1] - الزمر8.

[2] - البقرة 96.

السؤال الثامن: ما هي علامة العبادات المفروضة التي تدل على صحة الإيمان؟

الجواب: علامتها أن تكون لها ثمرات من بينها الصدق والإخلاص وكف الأذى عن الناس والاعتدال وأداء الحقوق...إلخ.

السؤال التاسع: ما هي صفة العمل الصالح الذي يثمر الحياة الطيبة؟

الجواب: هو العمل الذي ينتفع به صاحبه وينفع الناس، وأوله الإنفاق بجميع أنواعه ودرجاته.

وفي الخطبة الرابعة قال:

السؤال العاشر: ما هو العائق الذي يعوق الناس عن طلب الحياة الطيبة بالإيمان والعمل الصالح؟

الجواب: الجهل بالدين أو عدم الاستجابة لهدي الدين بسبب هوى النفس أو بسبب فتنة من الفتن؛

السؤال الحادي عشر: ما هو هدي الدين في تربية النفس على الاستقامة؟

الجواب: يُسمي الدين هذه التربية ب " التزكية "، وهي يقظة الضمير ومحاسبة النفس في ضوء ما شرع الله ورسوله، ويدل على جانب منها ما نعبر عنه اليوم بالتخلي عن الأنانية، وتحصل مما يحل بالقلب من خشية الله ومحبته والإنصات لهديه والاقتداء برسوله وبالأخيار الموفقين بعده في هذا المجال.

السؤال الثاني عشر: هل الحياة الطيبة التي هي ثمرة التدين الصحيح مسألة فردية أم جماعية؟

الجواب: قال الله تعالى: (وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ)[1]، وقال سبحانه (وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَٰنِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٣٩﴾)[2] ولكن القرآن الكريم خاطب الإنسان الفرد وخاطب الجماعة، ويفهم منه أن مصير الفرد مرتبط إلى حد ما بمصير الجماعة، والعكس صحيح، فالمؤمن الفرد يجد سهولة في تحقيق خلاصه بقدر ما تكون حياة الجماعة على التقوى. ويجد صعوبة إذا كان نمط الجماعة مشوبا بالظلم أو قلة الاعتدال، لأن هذا النمط يجر الفرد إلى ما يضله ويضره، والدليل على ذلك ما يعيشه المسلمون في عدد البلاد من حياة الخوف والاحتياج والذل والظلم والجهل والمرض والعنف والشقاء العائلي، فهذا الشقاء الجماعي يجعل خلاص الفرد غير يسير، الأمر الذي لا ينفي أن يكون في صفوف هذه الأمة بعض الأتقياء وبعض الأغنياء المنفقين.

تُتبع الخطب بالشرح والتبسيط

وقد تتبعت هذه الخطب طيلة الشهر بالشرح والتبسيط في المواعظ التي كنت ألقيها وأكررها، ولاسيما ببيان أن الأمر يتعلق بتغيير حياتنا بما فيها من التعب والمعاناة، طمعا في ما عند الله من الحياة الطيبة التي هي حياة ممكنة في الدنيا تؤهل لحياة السعادة في الآخرة، وصِفتُها أنها خالية مما ينافي الطيبة، و أكبر ما ينافي الطيبة الكفر

[1] - فاطر 18.

[2] - النجم 38-39.

والضلال والكذب وشح النفس وكفران النعمة، وهي أيضا الجوع والخوف والهم والظلم وتضييع الأمانات والطغيان والافتقار إلى الحاجات الأساسية والمرض والشقاء والشقاق والإلقاء بالنفس إلى التهلكة وفقدان الحرية وفقدان الكرامة والوقوع في أنواع الحالات السالبة للحرية ومنها الإدمان على الاستهلاك وعلى عدد من العادات الأخر... وعلامة تحقق هذه الحياة هي انخفاض الكلفة المادية والمعنوية للحياة على الأفراد وعلى الجماعات.

إذا لم تكن حياتنا طيبة، فما السبب؟

وفي كل مرة أكرر السؤال: هل حياتنا التي نعيشها حياة طيبة بهذا المعنى القرآني، وإذا كان الأمر خلاف ذلك فما هو السبب؟

الجواب: فإما أن يكون السبب، كما قلنا، هو عدم التدين، أو ضعف التدين، أو انحراف في التدين، وإما أن يكون عدم فهم الدين، وإما أن يكون هو ضعف وازع القرآن أي ضعف الدافع إلى الاستجابة، هذا الوازع الذي تتوقف تقويته على المبلغين بالقول والقدوة التي تثمر خشية الله ومحبته، وإما أن يكون سببا آخر ينبغي أن نعرفه. وإلقاء هذه الأسئلة لا يتعارض مع حقيقة تفاوت أرزاق الناس في الهداية، ولكنه لا يقبل ما يتصوره بعض الجهلة من كون طيبات الدنيا مخصوصة للكفار بينما عوض المؤمنين عنها مؤجل للآخرة، ذلك لأن هذا الفهم ينطلق من اقتران الطيبة في تصور هؤلاء بالتكاثر، بينما طيبة الحياة الدنيا بمقتضى الإسلام مبنية على حلاوة الإيمان ونقل اللذة من الأخذ إلى العطاء وعلى الشكر والرضا والسعي في العمل كقيمة أخلاقية وروحية عظمى، وعلى حُرمة الدنيا لأن الله خلقها وكرم فيها بني آدم وجعل الإنسان خليفته فيها وأرسل الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين، فما

صدر عن بعض الغلاة من الزهاد من ذم الدنيا إنما كان بسبب ما اصطلوا به من نار الفتن التي أثارها الطغاة واقترنت بالعنف وأنواع الإسفاف والإجرام.

كرر الخطيب أسئلته والأجوبة عنها وتعاونت معه على تبسيطها، طيلة الشهر حتى ظهر وكأن الناس قد حفظوا تلك الأسئلة والأجوبة، وبدأوا يتساءلون عن حكمة ذلك التصرف، وكنت كما ذكرت أتابعه بالمواعظ وأكرر القول: إن الناس في كل مكان يسمعون الكثير من قول الله ورسوله من الخطباء والوعاظ ومن العلماء في مختلف المنابر، ولكنهم يتصرفون وكأن تلك الأقوال ليست لتغير من حياتهم شيئا.

المؤمنون جسم متضامن الأعضاء

وحيث إن الدين هو أول البر والتقوى وهو أول ما يتوقف على التعاون، اتفقت مع الخطيب على أن يدير خطبه المقبلة على قول الرسول الأكرم ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[1].

ربط الخطيب الكلام بالسؤال الأخير من خطبته: هل الدين أمر فردي أو جماعي؟ وأجاب عنه بالقول بالارتباط العضوي بين الفرد والجماعة.

قال: المؤمنون كالجسم الواحد، وكل جماعة هي جزء من جسم أكبر، فجماعتنا في قريتنا جسم يجب أن تسود فيه المودة والرحمة وأن ينتج عن ذلك الإحساس بالألم متى كان بالجسم مرض من الأمراض، والأمراض والآلام من جملة ما يحول بين الناس وبين الحياة الطيبة.

[1] - أخرجه مسلم في صحيحه، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم. (سبق تخريجه).

وعلاج الأمراض يستدعي التعاون، ويتوقف العلاج على تشخيص الأمراض وعلى أن يشعر بها الجميع من أجل التضامن لتخفيفها أو إزالتها من جسم القرية.

تغيير أحوال القرية على أيدي أهلها

وأكدت في المواعظ على أن التغيير الذي نطمح إليه هو تغيير أحوال القرية على أيدي أهلها، والله تعالى يقول: (إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ)[1].

وزدت فقلت: إن من رحمة الدين بنا أن تعاليمه، سواء في الكتاب أو في السنة، واضحة وضوح الشمس في وسط النهار، فالحديث الشريف الذي استشهدنا به مثال على ذلك، فمن منا لم يجرب المرض؟ المرض في عضو واحد، والإحساس بالألم في سائر الجسد، ومن منا لم يسهر ليله بسبب الألم في عضو واحد؟ ومن منا لم يحس بالحمى تداهم سائر جسمه، والحالة أن أصل الداء في مرض عضو واحد من الأعضاء؟

فكما أن المريض الفرد إذا مرض أسرع لتناول الدواء بقصد تخفيف الألم وتحقيق العلاج، فكذلك العضو في جماعة المؤمنين، يجب أولا أن يهتم بنفسه ويهتم بإخوانه ويسأل عنهم ويتفقدهم فيتمنى لهم العلاج أو يعينهم عليه إن استطاع.

هذا الحرص على الإحساس بأحوال الجماعة يثمر الإحساس بالانتماء العضوي للجماعة؛ وشرط هذا الإحساس هو أن تكون بين أعضاء الجماعة روابط المودة والرحمة؛ وظهور ثمرة هذه الروابط في

[1] - الرعد 12.

الإحساس بآلام الغير وحرص الجماعة على علاج كل الأمراض التي تظهر في أعضائها؛

من هذه الأمراض ما هو ظاهر لا يحتاج إلى سؤال، مثل الفقر والاحتياج والمرض البدني، وعلاج هذا النوع تُستحسن فيه الوقاية بحيث تتخذ الجماعة ما يلزم لكي لا يكون بينها من يفتقر إلى الحاجات الدنيا، سيما وأنه قد يكون من بينهم من لا يسأل الناس وإن عضه ناب الاحتياج، يحسبهم الجاهل (بحالهم) أغنياء من التعفف؛ وإذا كان للجماعة أن تتربى على الإحساس بألم أفرادها فالأجدى أن يكون الاهتمام قبل كل شيء بالفقراء والمساكين؛ وقد هدانا الشرع إلى هذا العلاج بالحرص على إيتاء الزكاة وبذل الصدقات الخالية من كل رياء.

ما يصنعه المتلقي بكلام المبلغ

وحيث إن كل كلامنا مع الجماعة يدخل في التبليغ، فقد كان لزاما التأكيد على العلاقة بين المبلغ والمتلقي، وإرشاد هذا الأخير إلى ما يتعين عليه من الاحتياط، وبهذا الصدد قلت للجماعة إن تقدمنا في الطريق المستقيم يتوقف على أمور أهمها:

- تلقي هدي الدين من العلماء العدول؛
- الاستماع له استماع الحريص المهموم؛
- فهمه فهما مرتبطا بالحياة التي يرضاها الله والذي أنزل وحيه وبعث رسوله بالبيان فيها؛
- استحضار هذا الفهم استحضارا مرتبطا بأصله في مراد الله من الخلق؛
- اليقين بأن المراد بما يبلغ لنا من الدين هو خير لنا وتيسير الحياة لنا وليس تحميلنا ما لا طاقة لنا به؛

- العمل بما استمعنا له وفهمناه فهما صحيحا لدفع ما يضرنا أفرادا وجماعات؛

- العمل بما استمعنا له وفهمناه فهما صحيحا لجلب كل ما ينفعنا أفرادا وجماعات؛

- الوعي بأن أداء العبادات على ظاهرها، إذا كانت خالية من الخشوع ومن تجديد الالتزام، فهذا الخلو يجعلها ثقيلة على النفس عديمة الثمرات.

خطبة في موضوع شح النفس

بالنظر إلى كل ما شرحناه اتفقت مع الخطيب على أن نقوم في خطبة موالية بالخوض في صلب الموضوع، أي في جوهر العلاج، وذلك بأن يكون الموضوع هو شرح قول الله تعالى: (وَمَنْ يُّوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ)[1] ؛

وفي هذه الخطبة بيّن الخطيب أن الناس مجبولون على الحرص على ما يحسبون فيه نفعا لهم، ولكن نوازعهم إلى الشهوات والاستئثار والعلو والطغيان توقعهم في ما يضرهم وهم لا يشعرون أو في ما يضر غيرهم وهم لا يعبأون، والقرآن الكريم فسر هذا المرض بالشح، شح النفس التي تأخذ ولا تعطي ولا تنفق ولا تحسن، والنفس لا تقف عند البخل بل تأمر بالسوء الذي يضر صاحبها ويضر غيره، وهذا ما بينه الله تعالى حيث قال: (وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ)[2].

والمطلوب من كل منا أن يستحضر هذه الحقيقة أولا، حقيقة وجود نفس بين جوانحنا ينبغي تزكيتها حتى لا تصير عدوة لنا، وذلك باتقاء

---

[1] - الحشر9.

[2] - يوسف 53.

شحها أي أثرها في حرماننا من فعل الخير بالإحسان وغيره، والحيطة من أوامرها التي تؤدي إلى السوء، والمتعين هو توليها بالإصلاح حتى تتربى على خلاف الأمر بالسوء، والله تعالى، رحمة بنا، ما نبه على مرض إلا بيّن له العلاج، ولما كان مرض النفس أشد الأمراض فقد بين تعالى كيفية العلاج منه، وذلك من خلال وصف القرآن لهذه النفس، فإذا كانت مريضة فهي شحيحة، وقد تأمر بالسوء، وإذا سعى صاحبها إلى إصلاحها فإنه يربيها حتى تكون على مقتضى وصف القرآن لحالتها في حالة يقظتها، وهي حال" النفس اللوامة"، أي النفس التي تلوم صاحبها وتحاسبه كلما وقع أو همَّ بأن يقع في ما لا ينبغي. وما تزال لوّامة حتى تكسب صاحبها صفة الأمان والطمأنينة حال "النفس المطمئنة" ، فهي آمنة من أن تقع في ما لا يجوز.

وحيث إن مسألة النفس بالنسبة للإنسان في غاية الدقة والأهمية من منظور التزكية وإصلاح التدين فقد خصصنا لها شرحا تقريبيا قلنا فيه إن النفس لا تُرى كما يُرى الرأس أو الوجه من الإنسان مثلا، ولكنها تلك الطاقة التي تعتمل داخلنا عندما نريد أن نقرر أمرا وننتهي فيه إلى قرار سواء كانت تحب ذلك الأمر أو تكرهه، أما كونها أمّارة بالسوء فإنها تكون كذلك إذا اندفعت بوازعها إلى ارتكاب ما يضر صاحبها أو يضر غيره، وكل إضرار يغضب الله تعالى، أما إذا صارت لوامة فهي تلوم صاحبها بمرجع حكم أو حكمة في الدين، فيقدم أو يمتنع كما لو كانت هي التي تدفعه أو تمنعه، والأمر مرتبط بالشهوات، وإذا قلنا إن النفس التي تلوم صاحبها هي التي تحاسبه زاد المعنى وضوحا، وأمام النفس في كل أمر اختيارات، ولذلك تعيّن عليها أن تعرف الطريق الأفضل في كل شيء، وتقدر على اختياره وتستطيع المشي فيه.

وفي موعظة تالية قلت قد تبين لنا الآن أن السبيل إلى الحياة الطيبة هي معرفة مراد الله منا وتلقيه والاستماع إليه وفهمه والقدرة على العمل به، ويتوقف هذا العمل على التحكم في النفس. قلت إننا بحاجة إلى استحضار هذا الفهم الجامع لسبيل الرشاد، وهي سبيل عملية من المفترض ألا يخرج عنها ما يذكره الخطباء والوعاظ والمبلغون، وكل ما يذكرونه ويوصون به يدخل في هذا المراد، الفهم الصحيح للدين والعمل به بعد تحييد النفس الأمارة بالسوء.

قمت بدفع بعض الحاضرين إلى ترديد المفردات التي ركزنا عليها: التلقي، الفهم، العمل، طلب الحياة الطيبة.

ضرورة اقتران الإيمان بالعمل

وفي الخطبة الموالية تناول الخطيب شرح بعض الآيات التي وردت في اقتران الإيمان بالعمل الصالح. وبيّن أن الإيمان يهيئ النفس لتعمل العمل الصالح منسوبا إلى الله تعالى الذي هو موضوع الإيمان، ومبيّنا أيضا أن الإيمان الذي لا يتبعه العمل الصالح لا ثمرة له، وهو كالكذب على الله وعلى النفس وعلى الناس، وأنه لا يجوز أن ينتسب ناس إلى الإيمان بالله وأعمالهم مخالفة لمراد الله. وهذا التناقض من أفدح ما يضر بالمسلمين لأسباب كثيرة:

- أن الناس يتساهلون في هذا التناقض ويستسلمون في التدين للمظاهر الكاذبة؛
- أن ذلك لا يعين الناشئة على أن تتربى على الحرص على قرن الأقوال بالأعمال؛

- أن المفروض في الإسلام أن تكون أمته قدوة للناس، ومعيار استحقاق القدوة على التحلي بهذا الاقتران بين الإيمان وبين العمل الذي يقتضيه مضمون الإيمان؛

- أن التناقض بين القول والعمل أو بين الادعاء والحال يعطي الانطباع بأن العمل بالدين صعب أو مستحيل؛

- أنه يعطي الانطباع أن حياة الناس يمكن أن تسترشد بالاستمداد من قيم أخرى للخلاص غير معاني الإسلام؛

في الموعظة الموالية تناولت الكلام في نفس موضوع الخطبة وهو اقتران الإيمان بالعمل الصالح وبيّنت أن العمل الصالح مقترن بالنية الصالحة مصداقا لقوله ﷺ في الحديث المروي عن عمر ابن الخطاب ﷺ :"إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى..."[1] وبينت أيضا أن العمل الصالح يكون على قدر وسع كل نفس، وأن كل واحد منا يستطيع أن يعمل العمل الصالح على قدر طاقته في نفسه وفي أهله وفي غيرهم، وأن جزاء بعض العمل القليل قد يعادل جزاء العمل الجليل إذا كان منسوبا لله تعالى، وأن هذه النسبة عربون صلاح النفس والتبرؤ من الأنانية التي هي تحاذي صفات المشركين؛

وقلت إن الإيمان يثمر العمل، والعمل يعود على الإيمان بالقوة واليقين؛ كما تفيد ذلك كثير من توجيهات القرآن الكريم.

[1] - رواه البخاري في صحيحه، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

الإيمان

بعد مدة التمهيد وتهيئة النفوس لتلقي المقصود قررنا أن نوجه الخطب والمواعظ إلى الحديث عن الشرط الأول للحياة الطيبة وهو الإيمان، وعليه اتفقت مع الخطيب على القيام بتسع خطب في موضوع الإيمان، أقوم أنا بالتعقيب على كل خطبة بموعظة أو أكثر، لمزيد الشرح وللتركيز على الجانب العملي كل أسبوع، مع التأكيد على أن الإيمان مفتاح التغيير وتأهيل للعمل الصالح ومعيار الفرق بين إنسان وإنسان، بين مجرد منتسب للدين ومتمثل لمعناه وملتزم به.

الخطبة الأولى:

تناول الخطيب الكلام عن الإيمان وأنه يبدأ بالشهادة التي هي إقرار والتزام، وأنها الفرقان بين الحال قبل الإسلام والحال في ما بعده، وأنها النعمة الكبرى على الإنسان المهتدي إليها؛ قال تعالى: (وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ)[1]، وقال: (فَأَمَّا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ)[2]. فهي قول بمضمون ثقيل يضع الإنسان على طريق العلم بالله، غيرأنه قول يستتبع عهدا بالعمل؛ ولا يُنطق به إلا إقرارا حرا لا إكراه فيه، فهو التزام بما يفرضه الإيمان بالرسل والتزام بما يفرضه الإيمان بالكتب المنزلة، والتزام بالإيمان بوجود الملائكة والتزام بالإيمان بالقدر خيره وشره والتزام في الحياة بكل ما تقتضيه الإقرارات السابقة.

---

[1] - البقرة 162.

[2] - البقرة 25.

عن أبي كثير السحيمي عن أبيه قال: سألت أبا ذر، قلت: دلني على عمل إذا عمل العبد به دخل الجنة، قال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «يؤمن بالله»، قال: فقلت: يا رسول الله، إن مع الإيمان عملا؟، قال: «يرضخ مما رزقه الله» قلت: وإن كان معدما لا شيء له؟، قال: «يقول معروفا بلسانه»، قال: قلت: فإن كان عييا لا يبلغ عنه لسانه؟، قال: «فيعين مغلوبا» قلت: فإن كان ضعيفا لا قدرة له؟، قال: «فليصنع لأخرق» قلت: وإن كان أخرق؟، قال: فالتفت إلي و قال: «ما تريد أن تدع في صاحبك شيئا من الخير، فليدع الناس من أذاه» فقلت: يا رسول الله، إن هذه كلمة تيسير؟، فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما من عبد يعمل بخصلة منها، يريد بها ما عند الله، إلا أخذت بيده يوم القيامة، حتى تدخله الجنة»[1].

النطق بالشهادة يقتضي استحضار المضمون حتى في حق من تلقى النسبة إلى الدين بالتقليد، وحمولتها الثقيلة من حيث التعبئة الروحية هي التي تفسر التعبد بتكرار ذكرها على اللسان، وللناس في الشعور بهذا المعنى الروحي عوائد مثل النطق بها في أذن الوليد وأذن الشخص المحتضر.

فكيف لا يتعبد بها، وعندنا قول الرسول ﷺ المروي عن طلحة بن عبيد الله: " ...أفضل ما قلت أنا والنبيئون من قبلي " لا إله إلا الله وحده لا شريك له "[2]؟ هي حقيقة أزلية ومن ثمة فهي طاقة روحية.

في آخر جلسة الموعظة اقترحت على الحضور أن نختم مجلسنا كل مرة ابتداء من ذلك اليوم بقول " لا إله إلا الله "، نذكرها، جماعة، خمسين مرة. واستقبل الناس الاقتراح بحماس كبير.

---

[1] - رواه ابن حبان 96/2.

[2] - رواه مالك في الموطأ، باب ما جاء في الدعاء.

الخطبة الثانية

تحدث الخطيب عن الإيمان باعتباره بانيا لشخصية المؤمن الذي يستمد من إيمانه بربه مكونات هذه الشخصية؛

ذلك لأن المؤمن الملتزم بمضمون الشهادة ليس كغيره من الناس في بناء شخصيته؛

كثيرا ما يذكر الناس الشخصية لإكبار شخص بالنسبة لآخر، على أساس ما يعضد احترامه واستحقاقه وما يغلب عليه من الميل إلى الصواب في أمور الحياة؛

الشخصية المعنية هنا والمستمدة من الإقرار والالتزام بالشهادة بالإيمان هي بمثابة ورقة تعريف تحيل على أربع هويات تشمل الوجود والكون والسلوك والعلاقة بالمخلوقات؛

فالمؤمن في حلة هذه الشخصية يعرف أنه ليس ملقى على قارعة الحياة، بل هو ذو هوية لكونه يعرف نفسه بمرجعية دينه، معتمد على ربه متوكل عليه واثق به.

عن فضالة بن عبيد، قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب"[1].

[1] - رواه أحمد في مسنده 381/39، و ابن حبان في صحيحه 264/2، والحاكم في المستدرك 55/1.

الخطبة الثالثة

فصل الخطيب فقال: المكون الأول المميز لشخصية المؤمن هو أنه يعرف معنى الحياة من حيث المبدأ والسلوك والمصير، ولا أحد غير المؤمن يمكن أن يدعي أنه يعرف معنى لهذه الحياة التي يكدح فيها ثم يموت. قال تعالى:

(قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٢ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥)[1]

وأضاف الخطيب:

إذا سألت أي شخص غير مؤمن عن حياته، من أوجده؟ فإنه لا يستطيع أن يجيب، وإذا سألته: لماذا هو موجود في هذه الحياة؟ فإنه لا يستطيع أن يعطي جوابا مقنعا، فغاية ما يمكن أن يقول في جوابه هو أن الطبيعة أوجدته بالصدفة، مثل باقي الموجودات من حجر وشجر وطير ودواب وغيرها من المخلوقات التي يظن أنها وجدت بغير موجد.

إذا سألته لأي غاية هو موجود في هذه الحياة؟ لم يعط جوابا مقنعا؛

إذا سألته لأي شيء يتحمل تكاليف الحياة؟ لم يستطع جوابا؛

إذا سألته: من أين يستمد قواعد سلوكه؟ قال إن ذلك مما اتفق عليه الناس اعتمادا على ما يدركونه بالحس والتجربة من مصالحهم، يقول ذلك وهو لا يقر بأن الأديان جاءت بمنظومات القيم الأولى، وغاية ما

[1] - الزمر 12-14.

يمكن أن يقوله، إن كان نبيها، هو أن التجارب الإنسانية هي التي قادت إلى التمييز بين الخير والشر، بين العدل والظلم. ستظل الإنسانية غير المهتدية بالإيمان تضع هذا السؤال على الفلسفة، سؤال أصل الأخلاق، دون الحسم في الموضوع.

إذا سألته: إلى أين منتهاه ومصيره بعد الحياة؟ قال إن هو إلا جسمه المادي يشيخ و يفنى ولا شيء بعد الحياة، فهو ممن يقولون: (وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلاَّ ٱلدَّهْرُ)[1].

عدد من الناس يحيون ولا يلقون سؤال الموجد والوجود والمصير على أنفسهم،لأن إلقاء السؤال، وهو نصف الحقيقة، يحتاج إلى النصف الآخر وهو الجواب، ولأن الجواب تترتب عليه مسئولية تبرير الإغراق في الحياة، وهو إغراق مصحوب بأزمة ضمير، فهو في نفس الوقت سؤال تترتب عنه حيرة لا تحب النفس أن تشوش عليها وهي في غفلتها ومتعتها الوهمية في العيش، وهذا التهرب من مواجهة سؤال المعنى لا يمكن أن يدرج إلا في عواقب الجبن والضعف، وقد يكون عنادا مصحوبا بعماية بصيرة، فالإيمان إيمان بالغيب، ولكن آيات الله في كونه حاضرة يقرؤها من هداه الله وفتح بصيرته فيراها حجة تقوي إيمانه، لذلك كان الإيمان هو العطاء الأكبر، والذي لا يليق هو أن يسلك المؤمن سلوك الكافر في حاله وعمله وفكره فلا يأبه بحاله ومصيره.

عن عياض بن حمار المجاشعي، أن رسول الله ﷺ، قال ذات يوم في خطبته: " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، وإن الله نظر إلى أهل

[1] - الجاثية 23.

الأرض، فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان، .. وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال، قال: وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبعا لا يبتغون أهلا ولا مالا، والخائن الذي لا يخفى له طمع، وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك"[1].

الخطبة الرابعة: الحرية إزاء الأغيار البشرية:

إذا كان المكون الأول لشخصية المؤمن هو المعنى الذي يعطيه الإيمان للحياة، فإن المكون الثاني هو الحرية إزاء الأغيار البشرية، لأن توحيد الله تعالى هو الضمان الوحيد لحرية المؤمن إزاء هواه ثم إزاء المتألهين من البشر بمختلف حيثياتهم ودرجاتهم، فلا يطلب المؤمن الأمن إلا من الله، ولا يطلب العون ولا يطلب العزة إلا منه، ذلك أن الإنسان لا يوجد وحده في العالم، بل هو في المجتمع، ومن نزوع بعض الناس إرادة التحكم في غيرهم من الناس والتوق إلى استعبادهم، فالإقرار إيمانا بأن الله هو وحده المعبود وهو المستعان يحرر المؤمن من عبادة غيره، لأن الاستعباد يكون إما بالقهر أي الخوف، وإما بالطمع؛ وحرية الإنسان مقرونة بعزته، لذلك لا يمكن أن يُسلب المؤمن حريته الحقيقية حتى في ظروف قهر يحكم بها القدر، لهذا البعد، بعد التحرر من الأغيار البشرية أهمية كبرى في جميع العصور وإلى يومنا هذا، حيث يحتاج الإنسان إلى قوة تحميه في عتو نفسه ومن الخضوع للغير في عديد من الحالات.

[1] - رواه مسلم في صحيحه، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

إن الحرية مفهوم فلسفي وسياسي يتداوله جميع الناس بمختلف حيثياتهم ودرجاتهم في الفهم، لاسيما في هذا العصر، والذي ينصرف إليه الذهن هو حرية العبيد إزاء مالكيهم، وحرية البلدان من الاستعمار، وحرية الشعوب من المستبدين، ولكن الموضوع الغالب في عصرنا هو حرية الإنسان إزاء الإنسان، بيد أن هذه الحرية لا يحققها إلا مؤمن موحد لا يتأثر بضغوط الخوف والحاجة ولا يقر لإنسان آخر بأنه يستطيع أن يملك ناصيته تحت التهديد أو الطمع والإغراء.

عن أبي أيوب، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله علمني، وأوجز، قال: "إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع، ولا تكلم بكلام تعتذر منه، وأجمع اليأس عما في أيدي الناس"[1].

موعظة

إن معرفة الله بأسمائه تحرر من طلب أي مدد من غير الله، وهذا لا يعني التكبر على الناس أو عدم جواز تسخير بعضهم بعضا مقابل الأجر العادل ، ولكن لابد من تربية تُدخل بعد التحرر بالتوحيد في مستوى الشعور وتضع الأمور في مواضعها من هذه المعادلة، وهي معادلة تقتضي تأهيل الحرية بالمسئولية، وهو تأهيل لا يتعلق بالأفراد وحسب، بل يتعلق بالجماعات أيضا، ولذلك فقيام أنظمة على الحرية غير المستندة إلى الإيمان لابد أن يصل إلى طريق مسدودة يحتار فيها الإنسان في كيفية تدبير حريته بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، حيرة تنذر بالانتهاء إلى تخريب ذاتي جماعي .

[1] - رواه ابن ماجه في سننه، باب الحكمة.

الخطبة الخامسة: الحرية إزاء الأغيار المادية: التملكات والشهوات المحصلة والمأمولة

يتعلق الإنسان بالأشياء المادية والمعنوية ليملكها ويستمتع ويتلذذ بامتلاكها واستهلاكها والتفاخر بها، ويدخل جلها في الشهوات، ولاسيما إذا زادت عن حاجته الضرورية، وعلى رأسها امتلاك المال الذي تُشترى به الحاجات والرغائب ويستمد منه الشعور بالقوة والاعتزاز أو الإعجاب أو التفوق أو السلطة أو التسلط على الغير.

والغالب على الإنسان أن يتعرض للاستعباد من خلال ملكية الأشياء؛ وهذا التعلق يستولي على الإنسان حتى يصبح هو المملوك للأشياء عندما تستغرق همه واهتمامه ويوجه أمرها إرادته وتصرفاته ، فلا يشبع ولا يقنع ويقع في ما يلهيه عن الله وعن نفسه كما ورد في قوله تعالى: (أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ)[1] .

المؤمن الموحد المستوعب لمقتضيات الإيمان يعلم حق العلم أن الله هو خالق الأشياء وربها، يرزقها لمن يشاء بالسعي ويباركها له إذا كانت من الطيبات، ولهذا يعلم المؤمن أن الذي يوافق الإيمان هو التعلق برب الأشياء، وأنه سبحانه يحمي من إغراء الأشياء وأنه القادر على أن يحرر من سلطتها القوية في الإلهاء. ولا يفوت المؤمن أن يدرك في الوقت نفسه أن امتلاك الأشياء نعمة إذا جلبت الشكر ولم تحجب عن ربها وتم التعامل معها كسبا ومتعة بما يناسب من الاعتدال.

عن أبي برزة، عن النبي ﷺ قال: "إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى"[2].

---

[1] - التكاثر: 1، 2.

[2] - رواه أحمد في المسند (ح: 19793)ط. مؤسسة الرسالة.

موعظة في الموضوع نفسه:

الناس ثلاثة:

- متعلق بالأشياء، مكثر، لاه، غافل، فهو شبه عابد للأشياء؛
- زاهد لا يريد أن يملك الأشياء، لأنه يخاف من الأشياء أن تملكه؛
- ساع بالحق مجتهد في امتلاك الأشياء وعلى رأسها المال، وهو شاكر مستحضر لرازقها معتدل في التمتع بها ومنفق مشاطر الناس فيها، فهذا الأفضل، وكلما كثر الأثرياء من هذا الصنف في الأمة أمنت وضمنت العزة بين الأمم.

الخطبة السادسة: بناء على ما تقدم من ضرورة تقوية القدرة على الاستجابة لوازع القرآن

فإن المؤمن إذا آمن بربه ووحَّده والتزم بمضمون ما في الشهادة، وإذا استوعب مكونات ذلك المضمون وتمثلها في بناء شخصيته المتميزة بالإيمان الذي هو مرجعيته، وإذا استمد منها المعنى لحياته، وتحرر بها من الأغيار البشرية ومن الأغيار المادية، فإن أثر كل ما ذكر يظهر في قوة إرادته وقدرته على الاستجابة لما يبلغه من كلام الله تعالى ومن حديث رسوله ﷺ، فبالإيمان الراسخ الصادق تدخل الهداية إلى نفس الإنسان وتخف العبادة على أعضائه، ومن ثمة قال الإمام البوصيري في همزيته:

وإذا حلت الهداية قلبا نشطت للعبادة الأعضاء

وكل ما ذكرناه عن الإيمان بمقتضياته في الحياة يصحح فهمنا له لنكف عن النظر إليه على أنه معنى مجرد يلفه الغموض، بل ينبغي أن نأخذه على أنه أمر عقلي يشبه في صرامته الحساب، بمعنى أن ينظر الإنسان إلى حياته، هل يحتاج إلى أن يعرف لها معنى أم يعيشها بلا معنى؟ ولا معنى لها إلا إذا أقر بوجود خالق لم يتركه ضالا، بل أرسل

إليه خطاب الهداية، وبعد ذلك يتحقق أن كل ما أراده منه من عبادة إنما هو في الحقيقة لترقيته فوق الحيوان وإيقاظه من نوم غفلته، ورفعه فوق حالات الضعف والخبال والشقاء، فيدرك بذكاء أن مصلحته في أن يستجيب لما يحييه حياة طيبة. فالمؤمن إذا تمثل معاني الإيمان اكتسب شخصية واعية بحقيقة الوجود، واكتسب معها حرية لا تُنال إلا من هذه السبيل. وكل حرية غير هذه قد تحرر الإنسان من أمور كثيرة، ولكنها لا تحرره من النفس التي يمكن أن توبق صاحبها وهو لا يشعر بمصلحته الكبرى في الخلاص.

عن أبي شريح الخزاعي، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: "أبشروا وأبشروا، أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟ " قالوا: نعم، قال: "فإن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبدا"[1].

موعظة

المستفاد من كل ما ورد في الخطب والمواعظ حول الإيمان يدور حول العلاقة بين فهم مضمون الإيمان وإدراك مقتضيات الالتزام به في الحياة. لأن الإيمان كما ذكرنا وأعدنا ليس لمجرد العلم والاعتقاد به، بل جاء لذلك وجاء لتغيير المؤمن من الحالة التي كان عليها وهو غائب عن العلم به أو عن التحلي بمقتضياته في حياته الشخصية والجماعية، ولكي لا يغفل الإنسان عن الحقيقة التي يدركها من خلال الإيمان لابد من أن يعيش حالة دائمة من اقتران الإيمان بلزوم الذكر وما يصاحبه من اليقظة والحضور ، قال تعالى: (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦)[2]،

[1] - رواه ابن حبان في صحيحه، باب نفي الضلال عن الأخذ بالقرآن.

[2] - الأعلى: 6.

فالذكر غذاء محاسبة النفس، ومحاسبة النفس هي العلامة الكبرى للتزكية، أي التطهر من خُلُق الأنانية.

إن السر في القدرة على الاستجابة هو في بناء ما سميناه بحساب الإيمان الذي لا يتعارض مع حساب المصلحة المشروعة، سر كامن في نوع علاقة الإنسان بالنفس التي بين جنبيه، وهي قدرة نزوعه إلى الأمور نزوعا يسمى شهوة أو لذة، والحياة التي ارتضاها الله للإنسان لا يمكن أن تكون حرمانا من اللذات الطيبات، لأن الله هو الذي خلقها، وابتلاؤه الإنسان بها هو ابتلاء ليرى هل تدفعه إلى الشكر أم تؤدي به إلى اللهو والنسيان، فأمر الدين يدور على الذكر ، أي استحضار الحقيقة التي توجه السلوك، قال الله تعالى: (وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ)[1] ، وقال: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً ﴿٤١﴾)[2]، وقال: (وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالِابْكَارِ)[3]. فالذكر يكون باللسان مع استحضار معناه، ولا يزال المؤمن يذكر بلسانه حتى يمتلئ شعوره (قلبه) بمعاني الأسماء التي يذكرها ويعمل بمقتضى تلك المعاني.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: " إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم " قال: «فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا» قال: " فيسألهم ربهم، وهو أعلم منهم، ما يقول عبادي؟ قالوا: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك " قال: " فيقول: هل رأوني؟ " قال: " فيقولون: لا والله ما رأوك؟ " قال: " فيقول: وكيف لو رأوني؟ "

---

[1] - الكهف: 24.

[2] - الأحزاب 41.

[3] - آل عمران 41.

قال: " يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدا وتحميدا، وأكثر لك تسبيحا " قال: " يقول: فما يسألوني؟ " قال: «يسألونك الجنة» قال: " يقول: وهل رأوها؟ " قال: " يقولون: لا والله يا رب ما رأوها " قال: " يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ " قال: " يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟ " قال: " يقولون: من النار " قال: " يقول: وهل رأوها؟ " قال: " يقولون: لا والله يا رب ما رأوها " قال: " يقول: فكيف لو رأوها؟ " قال: " يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا، وأشد لها مخافة " قال: " فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم " قال: " يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم"[1].

فالإنسان طيلة يومه يفكر ويقرر ويعمل، والصواب في ذلك أن يصدر عن استحضار (ذكر) دائم للحقيقة، أي لمقتضيات إيمانه، فلا يضل ولا يشقى، لأن ذلك الذكر يهديه للتي هي أقوم في تفكيره وقراراته وعمله. فالذكر باللسان عبادة، وما يصدر عنه من العمل هو ثمرة هذه العبادة. ولذلك كان الذكر تعبئة مستمرة لهذه القوة الإيمانية التي توجه النفس وتأمرها بحضور مرجع الدين وحضور عقلنة المصلحة من منظور الدين، وهذه المحاسبة المستمرة تسمى " تزكية "، وقد ورد في القرآن الكريم ذكر التزكية على أنها تطهير النفس وعلى أنها مفتاح الفلاح، ومرض النفس هو البخل، قال تعالى: (وَمَنْ يُّوقَ شُحَّ نَفْسِهٖ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٩)[2]. وقال: (قَدْ اَفْلَحَ مَنْ زَكّٰيهَا

[1] - رواه البخاري في صحيحه، باب فضل ذكر الله عز وجل.

[2] - الحشر 9.

﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[1] ، فبذل الجهد من أجل التزكية مسئولية كل واحد في كل وقت، على أساس اليقظة والانتباه لكل ميل أو فعل في حياة الإنسان.

عن زيد بن أرقم، قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول: كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والهرم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها"[2].

موعظة

ورد في كتاب " التشوف إلى رجال التصوف " لابن الزيات، أن رجلا كان يسمع كل مساء وكأن جاره، وهو نجار، يضرب امرأته وهي تصرخ، وكانت زوجة الرجل حاملا، وكان هو وزوجته ينكران صنيع النجار واتفقا على أن يرحلا من ذلك الجوار عندما تضع المرأة حملها. ولما كانت في المخاض تعسّر عليها الوضع فذهب الرجل مضطرا يدق دار النجار ويسأله أن تأتي زوجته لتعين امرأته، لأن النساء أعرف بأحوال النساء، فقال النجار: أنا وحدي وليست لي زوجة، فقال الرجل: اتق الله فنحن نسمعك تضربها كل مساء وزدت الآن بأن كذبت، قال النجار: ما هي حاجتك؟ قال الرجل امرأتي تعسّر عليها وضع ما في بطنها، قال النجار : خذ سقط النجارة هذا وأحرقه لتشم دخانه فعسى أن يتيسر وضعها، ففعل الرجل، مضطرا، ما قيل له فوضعت زوجته في الحين، فلما ذهب يشكر الجار النجار ويطلب منه أن يخبره بحقيقة ما يجري عنده كل

---

[1] - الحشر9-10.

[2] - رواه مسلم في صحيحه، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

ليلة، قال النجار: أنا لست متزوجا وإنما أُخرج نفسي من جوفي إلى أمامي كل ليلة وأحاسبها على أفعالها في النهار بخصوص ما يرجع لإتقان الشغل الذي أحمله إلى السوق، وبخصوص الإخلاص في التعامل مع الزبناء، وكلما تشككتُ في شيء من الغش ضربتُها فتصرخ باكية".

الخطبة السابعة : الصيام

قال الله تعالى: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّاماً مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ اخَرَ وَعَلَى ٱلذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدىً لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ اخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدِيكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾)[1].

أوجب الله على المؤمنين صوم شهر رمضان، ومعناه ترك شهوتين في وقته، شهوة الطعام وشهوة الجماع، وقد كان الصوم معروفا في الديانات قبل الإسلام وذلك لفائدته في ترويض النفس والتقرب إلى الله، وما أدام الله ممارسة الصوم إلا لفائدة توافق ما يحبه للناس. ومدة الصوم الواجب الذي هو الركن الرابع في الإسلام هو الشهر الموافق

[1] - البقرة 182-184 .

لرمضان، ويبدأ بمشاهدة هلال بداية هذا الشهر وينتهي بمشاهدة هلال شهر شوال الموالي.

وعن بدايته يقول الله تعالى: (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) (البقرة 185)، والحمد لله على أن بلدنا قد حافظ على سنة مراقبة ميلاد الأهلة على السُّنة بقواعد رصينة.

صوم رمضان هو صوم الواجب في هذا الشهر، وصوم التقرب يكون في أيام أخرى، يختارها المتطوع، ومنها أيام يُقتدى فيها بالنبي عليه الصلاة والسلام. وقد رخص الله لمن كان مريضا أو كان على سفر أن يفطر في رمضان ويعوض أيام إفطاره بأيام أخرى خارج رمضان. ومن حرمة هذا الشهر أن الله تعالى أنزل فيه القرآن وقدر أن تكون من أيامه ليلة القدر التي هي في عبادتها خير من ألف شهر، وصوم رمضان كغيره من العبادات ليس لتحميل الإنسان ما لا طاقة له به، بل القصد منه إسداء الخير للناس من خلال ما يتغذون به من نفحات الروح المرتبطة بهذه الشعيرة.

إن حكم الصيام حكم عظيم من الأحكام التي شرعها الله لأمة الإسلام. فهو من العبادات ذات الثمرات النفيسة، وثمرتها الكبرى تربية النفس على السلام الباطني، أي التوصل إلى حكمها وتزكيتها، وبإصلاح النفوس كما قد رأينا يصلح الأفراد وتصلح المجتمعات. فهو باب عظيم من أبواب التقوى أي القدرة على اتقاء المعاصي التي تضر الإنسان وتغضب الله.

قال صاحب التحرير والتنوير[1]: " المعاصي قسمان: قسم ينفع في تركه التفكر في الوعد والوعيد، وقسم ينشأ من دواع طبيعية كالأمور الناشئة عن الغضب وعن الشهوة الطبيعية التي يصعب تركها لمجرد التفكر، فجعل الصيام وسيلة لاتقائها لأنه يعدل القوى الطبيعية."

وفي الحديث: "الصوم جنة" [2]،أي وقاية من الوقوع في المآثم ومن الأدواء الناشئة عن الإفراط في تناول الملذات. أ ي تهذيب حيوانية الإنسان. فهو سبب في الاقتصاد في القوى الحيوانية، وتعوُّد على الصبر بردها عن دواعيها، ويصاحبه استشعار بالمساواة بين أهل الحدة والرفاهية وأهل الشظف في أصول الملذات من الطعام والشراب واللهو.

عن النبي ﷺ، قال: " إن في الجنة بابا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد"[3].

[1] - الجزء:2/ 158.ط. الدار التونسية للنشر. سنة: 1984.

[2] - جزء من حديث طويل، رواه الترمذي في جامعه، باب ما جاء في حرمة الصلاة. وقال: حديث حسن صحيح.

[3] - رواه البخاري في صحيحه، باب الريان للصائمين.

موعظة

قال رسول الله صلى عليه وسلم في ما رواه عنه أبو هريرة ﷺ: "من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه"[1].

يقع لكل منا أن يصدر عنه ما لا يرضي ربه ويضر نفسه، فيتجمع عليه من ذلك من الذنوب ما يتمنى له فرصة المغفرة منها بفضل الله، وها هي البشرى من سيدنا رسول الله صلى عليه وسلم حيث أخبر أن صيام رمضان هي الفرصة السانحة كل عام لهذا الغفران، غير أن الشرط الواضح في الحديث الشريف ليس مجرد الصيام بل هو حسن الصيام، فالسر هو في كيفية الصوم وجودته، إذ الأمر لا يتعلق بالتوقف عن الطعام والشراب وبترك الجماع بين الزوجين، ولكن يتعلق بحالة التقوى التي تعتري الصائم، أي بالحالة التي جاء الصيام ليبنيها في نفس الصائم ويديمها فيه، فهي درجة من الإيمان المتصف بالروحانية والربانية. فليس الله بحاجة إلى تجويع أحد ولكنه سبحانه وتعالى يرشدنا إلى ما يرقينا عن أحوالنا التي لا تليق بمن يريد أن يتقرب إلى ربه، وهي في الوقت نفسه لا تخدم مصلحة صاحبها. فالصائم في كل يوم من أيام رمضان يتسم باليقظة والشعور بأن هذا الشهر ليس كسائر الشهور، بل هو شهر الغنيمة والغفران، ومن شأن هذه اليقظة أن تطبع الصائم بسمت روحاني خاص يصفو فيه باطنه ويظهر صفاؤه على الظاهر بلين الجانب المستمد من محبة الله ورسوله وبشكر هذا الفضل المهدى في أيام رمضان.

[1] - رواه البخاري في صحيحه، باب صوم رمضان احتسابا من الإيمان، ومسلم في صحيحه، باب الترغيب في قيام رمضان.

من علم منا هذا الذي ذكرناه بخصوص رمضان أدرك أن الأمر لا يتعلق بالانقطاع المؤقت نهارا عن شهوتي الطعام والجماع، وإنما المقصود هو تهذيب الروح وتقوية الإرادة للتحكم في النفس الشهوانية، فقد ذهب كثير من المفسرين والحكماء إلى القول بأن المقصود من فرض الصيام إضعاف الجسم حتى تضعف طبيعته التي تدفع إلى طلب الشهوات، ولعل الأقوم من هذا التفسير هو أن نرى في الصيام رياضة على تقوية الإيمان والعقل والوازع حتى يتحكم الشخص في نفسه وإن فاضت شهوتها الطبيعية، وإذا فهمنا هذا الأمر لزم أن تكون نوعية صومنا معينة على تقوية الروح أكثر منها عاملة على إضعاف الجسد، لأننا بحاجة إلى جسد قوي، وهنا وجب التنبه إلى عوائد يتبعها الناس في رمضان تضعف الجسد والروح في نفس الوقت، وهي كثرة الأكل وقلة النوم.

إن الاحتفال برمضان أمر محمود، ولكن ذلك لا يبرر التبذير ولا يجيز النهم ولا يجوز أن يصحبه الإرهاق، كما لا يجوز أن يكون فيه الجنوح إلى الكسل وقلة الشغل أو تبرير الانفعال الذي يتجلى في ردود أفعال غير ملتزمة بالأدب اللائق.

ثم إن شهر رمضان شهر القيام والنوافل، ومن النوافل صلاة التراويح التي يتعين على من يحضرها أن يتخشع لمعاني ما يتلى عليه من القرآن أكثر مما يتلذذ بصوت بعض القراء المجودين.

وعلى من عاش رمضان قياما واحتسابا أن ينظر في عوائده بعد رمضان كم اغتنم واستبقى من الطيّب وكم أصلح وغادر من الفاسد.

الخطبة الثامنة: الحج

قال الله تعالى: (وَلِلهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حَجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)[1].

هذه هي الآية التي فرض الله بها الحج على المسلمين، وقد نزلت سنة ثلاث للهجرة أي عقب غزوة أحد، أما حجة الوداع فقد كانت سنة تسع للهجرة، وقد كان حج البيت معروفا قبل الإسلام حيث كان العرب يحجون البيت تقربا إلى الله،

وقوله تعالى "من استطاع" تدل على التخفيف. والسبيل هنا محدد في ما يتمكن به المكلف من الحج. قال الإمام مالك: على قدر الطاقة والزاد. والاستطاعة من عمل الإنسان لا من عمل غيره. ويجوز أن يحج القادر عن العاجز، ولا تجزئ إنابة الطاعة. ووقت وجوبه هو على التراخي لا على الاستعجال، بحسب مذهب مالك.

ومعلوم أن وقت الحج هو شهر ذي الحجة حيث يكون الوقوف بعرفة يوم التاسع منه، تسبقه أعمال وتتبعه أخرى، أما ما يتوجب الالتزام به في الحج فقد بيّنه الله تعالى في قوله سبحانه: (ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ)[2].

الأشهر المعلومات موروثة من شريعة إبراهيم عليه السلام وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة. وفي الآية بيان أعمال الحج، ويقول بعض المفسرين إنها نزلت سنة تسع تهيئة لحج المسلمين مع أبي بكر، وهي وصية

---

[1] - آل عمران 97

[2] - البقرة 197.

بأفعال الحج وسننه ومما يحق أن يراعى في أدائه، وذكر ما جاءت الوصاية به من أركانه وشعائره.

و "من فرض" معناه من نوى وعزم بالإحرام، و"الرفث" اللغو في الكلام والفحش منه وهو هنا كناية عن قربان النساء بمنع الجماع إلى الإحلال بطواف الإفاضة، فهو مفسد للحج لأن التلذذ ينافي التجرد في الحج والزهد المطلوب فيه ويصرف القلب عن الانقطاع إلى ذكر الله. و"الفسوق" هو الفسق وليس من الفقهاء من قال بأنه يفسد الحج. ويظهر أن غير الكبائر لا تفسد الحج. والجدال السباب والشتم والمغاضبة التي تنافي حرمة الحج.

ولابد من الحرص على هذه الشروط، ولكن ما لا يقل أهمية عنها هو إدراك القصد والمعنى منها، لأنها كلها مجتمعة تبني بعدا إيمانيا سيتم شرحه إن شاء الله في موعظة قادمة.

موعظة

استمعنا يوم الجمعة إلى الخطيب، جازاه الله بكل خير، وهو يشرح لنا ركنا من أركان الإسلام وهو الحج، وقد بين لنا مشروعيته والأعمال الواجبة فيه، وهو واجب يبني في الدين ركنا لا يقتصر خيره على المستطيع الذي يحج بل هو للأمة التي أراد الله أن تقوم بين الأمم على عبادته وتوحيده وعلى الفلاح بما بين لها من الفرائض والأخلاق.

قال تعالى: (وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَاتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَاتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)[1].

[1] - الحج 27.

يتميز ركن الحج بأنه عبادة لا يؤديها المسلمون من غير أهل مكة في محلهم بل يرحلون إليها من بعيد، وفي هذا الجمع بكيفيته المفروضة، ومن أبرز مظاهرها الإحرام والطواف والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة، يجتمعون حول المعنى العظيم المتمثل في التلبية والتجرد. فهو اجتماع يبرز أهمية الانتماء إلى الإيمان بمقتضياته، إذ لزم أن ينتظم لجميع المشتركين في الإيمان على عقيدة التوحيد جمع تتجلى فيه أمام العالمين هذه الوحدة وهذه السمة المميزة، فكان فرض الحج ركنا دلالة على أهمية أن يكون للمسلمين أمة تجتمع ممثلة في الحجاج في وقت معلوم وبشعار معلوم. فشعار هذا الانتماء حلقات متحدة المركز يبدأ بصفة الرحمة والمودة بين الأزواج ثم تتأكد في حقوق الوالدين والأقربين من ذوي الأرحام ثم في حقوق الجوار ثم في حقوق جماعة المسجد ثم في حقوق العشيرة والوطن ثم في حقوق الأمة التي يعد الحج مظهرا من مظاهر قيامها، يأتي الحجاج من كل فج عميق من جميع الأوطان والألوان، يلبون ويوحدون، والمفروض أن أوطان الأمة تسلك في جميع أمورها مسلكا يناسب مبادئ هذا الانتماء في أخوة الإيمان، ومن المفروض أيضا أن يحضر هذا الشعور بهذا الانتماء عند جميع المسلمين، سواء منهم الذين يذهبون إلى الحج على أساس الاستطاعة والذين لا يذهبون لعدم الاستطاعة.

ومن المظاهر الثقافية المحمودة في بلدنا الاحتفال بالحجاج عند الذهاب والإياب، ومن المحمود أيضا أن ينعت الناس بلقب "الحاج" من أدى هذه الشعيرة، ولكن ما ينبغي أن نحرص عليه جميعا هو:

- أن يحضر الحج في أذهان جميع المسلمين بأبعاده في الانتماء إلى الأمة على أساس التوحيد والتجرد من الاعتبارات المادية ومن جميع ألوان التمييز العنصري، أي على أساس المساواة وحصر

التفاضل في التقوى التي تظهر للناس في أخلاق التوحيد وثمرة الصلاة ونتائج العمل الصالح؛

- أن يحرص الحاج على أداء المناسك بشروطها وفي جوها الروحاني المناسب الذي يترك فيه أثرا يصاحبه طيلة حياته ويفيض على الناس من حوله؛
- أن يراعي الناس شرط الاستطاعة الشرعية ولاسيما ما يتعلق بالنفقة من الحلال؛
- أن يراعي الناس شرط الاستطاعة الشرعية في التدابير التي يقتضيها التنظيم في السياق الحاضر ويستحضروا أن الأعمال بالنيات.
- الاحتياط من ابتغاء الشهرة من الحج؛
- أن يراعي الذي عاد من الحج أن الناس ينظرون إليه بمثابة شخص تائب مغفور الذنوب فيكون ممن يتحرى اجتناب المعاصي.

روى الإمام مالك في الموطأ[1] عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة".

الخطبة التاسعة: الذكر

أنعم الله على الإنسان بأن هيأه لذكره، وهو تكريم عظيم، بل قابل الله ذكر الإنسان لله بذكر الله للإنسان فقال: (فَاذْكُرُونِيٓ

[1] - باب ما جاء في العمرة.

أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ)[1]. وندب الإنسان إلى ذكر كثير في كل الأوقات فقال:

(وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالِابْكَارِ)[2]. وبيّن له الطريقة التي يستبطن بها الذكر من قبيل التضرع المثمر للخشية المرجوة فقال: (وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً)[3]. وبيّن أن الذكر في الحقيقة هو حماية من نسيان شكر نعم الله على الإنسان، وبه يتميز المؤمن من الكافر، فقال: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ)[4]. وهو ذكر مقبول في جميع أحوال الإنسان، إذ قال تعالى: (ٱلذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ)[5]. وجعل الذكر بابا للتوبة من المعصية فقال:

(وَالذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً اَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ)[6]. وبين ثمرة الذكر في إصلاح النفس حتى تأتمر بأمر الله وجعل أثر الذكر أكبر من أثر الصلاة، فقال: (إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ)[7]. وجعل الذكر ثمرة للتزكية المؤدية للفلاح وسبيلا للصلاة على حقيقتها فقال: (قَدَ اَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ)[8]. ونبه المؤمن إلى

---

[1] - البقرة 152.

[2] - آل عمران 41.

[3] - الأعراف 205.

[4] - فاطر 3.

[5] - آل عمران 191.

[6] - آل عمران 135.

[7] - العنكبوت 45.

[8] - الأعلى 15.

اشتغالين يمكن أن يُنسياه ربه ويُشغلاه عن ذكره وهما المال والأولاد، فقال: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلآَ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ)[1].

وبيّن ما لا يرضاه للمؤمن وهو التورط في النسيان مع المعرضين الذين ألهتهم الحياة الدنيا، فقال: (فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدِ ٱلاَّ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيا)[2]. بل إن الإعراض عن الذكر والغفلة عن فضائله توقع الإنسان في مصاحبة الشيطان مع ما لذلك من أثر سيئ عليه، فقال:

(وَمَنْ يَّعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ فَهُوَ شَيْطَـٰناً لَهُۥ فَرِينٌ)[3].

وحيث إن التزكية تثمر الذكر فإن اتباع الهوى يبعد عنه، فقال: (وَلاَ تُطِعْ مَنَ اَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوِيهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطاً)[4].

وحذر من مغبة الغفلة عن الذكر وهي معيشة الشقاء والضنك، وهو ما لا يتمناه الإنسان لنفسه، ولكن عينه لا ترى الحقيقة، فهو يريد السعادة ولكنه لا يتبيّن طريقها، فقال تعالى: (وَمَنَ اَعْرَضَ عَن ذِكْرِے فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكاً)[5]. فالذي ينبغي للمؤمن هو اليقظة متى شعر

---

[1] - المنافقون 9.

[2] - النجم 29.

[3] - الزخرف 36.

[4] - الكهف 28.

[5] - طه 124.

أن الشيطان يريد أن يوقعه في نسيان الذكر تذكر فينج من اتباع الشيطان، قال تعالى:

(إِنَّ ٱلذِينَ ٱتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ)[1]. ومقابل عيش الضنك الذي يورثه نسيان الله فإن الإقبال على الذكر يجعل القلوب مطمئنة، والاطمئنان عنصر أساس في الحياة الطيبة، ويتبين من قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ)[2].

على أن الذكر المقصود هو ذكر العاملين الذين يحتاجون إلى الذكر في تسديد عملهم.

الخطبة العاشرة : الشكر

الذكر والشكر وجهان لعملة واحدة، لأنهما الجواب المطلوب على ما يشعر به المؤمن من نعم الله التي لا تحصى، وفيه جاء قوله تعالى: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)[3].

والله تعالى بمنه وكرمه لم يشترط النعم بالشكر لأنه الممد لكل من خلق ورزق، فقال: (إِن ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ)[4].

---

[1] - الأعراف 201.

[2] - الرعد 28.

[3] - البقرة 172.

[4] - يونس 60.

فقد سبق ما سبق في علم الله، وهو سبحانه أودع في الإنسان الاستعدادين، وأعطاه ما به يستطيع أن يهتدي إن شاء، وأن يكفر إن حقت عليه الضلالة، وربك لعلمه السابق لا يظلم أحدا، فقال عن الإنسان وهو الذي خلقه وهو أعلم به: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً)[1]. على أن شكر النعم تعرض لزيادتها فضلا من الله، فقال: (وَإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)[2].

ولا ينبغي أن ينسى المؤمن أن ما أُمر به إنما هو لمصلحته، وهذه حقيقة تغيب عن كثير من الناس الذين لا يربطون العبادة بالإحسان إلى النفس في الدنيا قبل الآخرة، فقال: (وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ)[3].

وقد أقام سبحانه الحجة على الإنسان بأن جعل له من وسائل الإدراك ما يقف به على النعم الموجبة للشكر فقال:

(وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَالأَبْصَٰرَ وَالأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[4].

وأبرز ما يوجب الشكر هذه الأسباب التي يتوقف عليها بقاء الإنسان، وهي المعايش، ولكن الواقع هو أن الإنسان أمام كل هذه النعم والحجج الدامغة قليل الشكر ، قال تعالى:

(وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ)[5].

حقيقة أكدها القرآن في قوله تعالى:

---

[1] - الإنسان 3.

[2] - إبراهيم 7.

[3] - النمل 40.

[4] - النحل 78.

[5] - الأعراف 10.

(وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ)[1]. بيد أن الله برحمته للإنسان يقابل حتى النكران بشكر من عنده متجليا عليه بغفرانه، إذ قال:
(إِن رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ)[2].

الخطبة الحادية عشرة: التواصي بالصبر

ذكر الله تعالى " الصبر " في القرآن الكريم أكثر من تسعين مرة، فقال:
(وَاصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ)[3]. وهذه المعية الموعودة مقام عظيم يفهم منها أن الله أرادها سببا آخر لرفع مقام الإنسان فانتدبه للصبر، الصبر في ما يُؤمر به وما يُفرض عليه، وإن كان ظلما فهو في كل الأحوال ابتلاء للمؤمن، وبيّن ما في الصبر من خير يخفف اليقين به الوطأة استبشارا بهذا الخير الذي يعجل في الدنيا أو يؤجل للآخرة، فقال سبحانه: (وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ)[4]. وبين السلوك المناسب للصابر وهو الجمع بين الصبر والتوكل، فقال:
(ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)[5]. وبيّن أن الحالة التي تعين على الصبر هي حالة التقوى وأن للصبر أجرا لا يضيع، فقال:
(إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ)[1].
وأن أجره يوفى بغير حساب كما أخبر بذلك سبحانه وتعالى في قوله:

---

[1] - البقرة 243.
[2] - فاطر 34.
[3] - الأنفال 46.
[4] - النحل 126.
[5] - النحل 42.

(اِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ)[2] ، وندب سبحانه إلى درجة من الصبر لا ضيم معه وسماه الصبر الجميل فقال: (فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلًا ۝ اِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيداً ۝ وَنَرِيهُ فَرِيباً)[3]. وجعل الصبر في باب العزم وأنه عند فئة ليس مجرد تحمل لواقع نازل، وأنه عطاء وسماحة ومغفرة، وليس انتظارا للانتقام أو القصاص فقال:

(وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلأُمُورِ)[4]. وبيّن أن الصبر ينبغي أن يكون موضع دعاء لطلبه من الله لأنه يتطلب تلك القوة المعبر عنها بثبات الأقدام، فقال: (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتَ اَقْدَامَنَا)[5]. وحيث إن الإنسان قد خُلق ضعيفا، فإنه يحتاج إلى المواجهة بالصبر الذي قرنت قوته بالصلاة، إذ قال تعالى: (وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ)[6]. ولا يتأتى تدبير الصبر إلا إذا استحضر المؤمن باسمرار أنه وارد في سياق الفتنة، فتنة الله الناس بعضهم ببعض، فقال: (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً اَتَصْبِرُونَ)[7].

موعظة

قال الخطيب جزاه الله بكل خير: إذا تحقق المؤمن بإيمانه أن الله تعالى هو الذي خلق الإنسان وهو به عليم، وإذا تحقق بإيمانه أن الله

---

[1] - يوسف 90.

[2] - الزمر 10.

[3] - المعارج 5.

[4] - الشورى 43.

[5] - البقرة 250.

[6] - البقرة 45.

[7] - الفرقان 20.

تعالى به رحيم، وإذا تحقق بإيمانه أن الله أكرمه ونعّمه، إذا تحقق بكل ما ذكر وبما في حكمه من حكمة الله بهذا الإنسان، إذا استحضر ما ذكر سهل عليه أن يفهم أن أمر الله تعالى المؤمنين بالصبر هو أمر فيه صلاح أنفسهم وكمالها.

الصبر على العادة تحمل لمشقة نفسية أمام أمر ينزل بالإنسان من ربه على سبيل الابتلاء، وقد يكون تحملا لسلوك يعتبره الصابر غير ملزم به على سبيل الحق والواجب، كالصبر للأهل وذوي الأرحام، وقد يكون فيه تحمل الظلم أو الجهالة أو الاستعداد للدفع بالتي هي أحسن، إلى غير ذلك من المواقف، وفي جميع الأحوال يكون إما في حالة القدرة على أخذ الحق بالقوة، أو بالاحتكام إلى من هو أقوى، وإما في حالة العجز عن أخذ الحق، ولكن النفس تكون في حالة من الضيق الذي لا يتحمل إلا بأثر فادح على النفس، يضر بها في ذاتها الطبيعية أو يضر على الخصوص بإيمانها بالله، والصبر المطلوب هو الذي ينسب إلى الله وهو الذي يريده الله لنا بقوله تعالى: (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ)[1] . وهذا النوع من الصبر هو الذي وعد الله أصحابه بأن يجزيهم بغير حساب؛ وهكذا تتميز شخصية المؤمن الفرد بالجمع بين الحرص على الحق والتحلي بالصبر.

إن المفترض في جماعة المؤمنين أن تجمع بين هاتين الصفتين، التواصي بالحق والتواصي بالصبر. وبذلك لا يكون الصبر خُنوعا ومذلة، وإنما يكون عطاء وأريحية وتنازلا بالرضا عن حق، أو تحملا لمشقة يعرف الذي يبذلها ما في تحملها من دفع للشر أو جلب للخير، كل ذلك احتسابا لله تعالى، وهو سبحانه المعطي الوهاب.

[1] - النحل 127.

فكل ما استعرضناه من جوانب الإيمان ومقتضياته يعين على الصبر، غير أن الصبر ينبغي أن يكون بالتربية في البيت من الصغر، وذلك بتفهيم وتوجيه وشرح مواقف وأن يقصد الآباء والأمهات غرس ذلك الخلق بسلوكات وأقوال يوجهون بها البنت أو الولد للصبر مع الشرح.

هذا بخصوص صبر الفرد، أما الصبر كخلق جماعي فينبغي أن يكون بالتربية العامة، أي التنمية السياسية، على العيش في جو من المرحمة مفعم بالذكر والدعاء والخشوع، ومراقبة الله في السر والعلن والاعتبار بحكمته في قدره وحكمته في ابتلاء عباده، مع خفض الجناح للخلق، هذا البعد، بعد التواصي بالصبر، يوجد في خلق الإسلام مقرونا بالتأكيد على العزة من جهة، وبالتأكيد على العمل من جهة أخرى، لا يوجد هذا الاقتران بهذا التأكيد في أي تصور بشري آخر سياسي أو فلسفي للحياة، لأنه اقتران لا يفهم عقلا في حكم نوازع البشر إلا بضمانة التعويض من الله تعالى، في حين أنه ضروري لدعم إقامة العدل والتواصي بالحق الذي سيظل نسبيا حتى في أحسن الاجتهادات البشرية. ويدعم الإسلام القدرة على الصبر بإدامة الأمل في الله وهو يواجه التحديات مستحضرا قوله تعالى: (قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ)[1] . وقوله تعالى: (إِنَّهُۥ لاَ يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ)[2] .

[1] - الزمر 53.

[2] - يوسف 87.

الصلاة

بعد هذه الخطب والمواعظ لتهيئة الناس في القرية للاستماع قصد ما أردناه من تسديد تدينهم، وبعد الحديث المتكرر في موضوع الإيمان ومقتضياته الدالة عليه، وبعد الحديث عن ركنين يدعمان فضائل الإيمان، وهما صيام رمضان وأداء الحج، وبعد عرض ثلاث قيم كبرى تعمق الإيمان هي الذكر والشكر والصبر، تبيّن لنا، أنا والخطيب والإمامان، تبين لنا أن نمر إلى الركن الثاني من أركان الدين وهو الصلاة. وظهر لنا أن المناسب هو أن نشرح علاقتها بالإيمان من جهة، ومع العمل الصالح الذي سنتناوله فيما بعد، من جهة أخرى.

الخطبة الأولى

حول مكانة الصلاة في الدين، وأن لها ظاهرا وهو الحركات التي يقوم بها المصلي وما يتلو فيها من الآيات، وباطنا وهو حالة الوقوف أمام الله تعالى ومخاطبته بخشوع. وهو موقف مهيب ورهيب يتجدد فيه الالتزام بالتوحيد، وقد رأينا ما للتوحيد من مقتضيات.

ما أبعد هذه الحقيقة عن الحالات المبتذلة لصلاة تؤدى بعيدا عن كل خشوع، وما أبعدها عن التصور الذي لا يستحضر هذه الأبعاد، إنها الأبعاد التي جعلت الصلاة عماد الدين. فالصلاة هي التشخيص الفعلي لحضور معنى التوحيد وإخلاص العبادة لله، ومن ثمة فهي حريّة بأن تحمي الذي يؤديها بخشوعها وجوها وروحها من الغفلة ومن النسيان. يبدأ بها اليوم وينتهي، يتوجه بها المصلي إلى ربه إذا استيقظ للفجر ويودع بها يومه ليدخل في سبات الليل، وبين البداية والنهاية ثلاث صلوات تنتزع المصلي، رأفة به، من حمأة الاشتغال بالكسب والهموم ولتعطيه نفَسا يستروح به من فتن الحياة الضاغطة.

الشرط الأساسي في تسديد التدين هو إقامة الصلاة بمقتضاها، أي العمل بالالتزامات التي يتعهد بها المصلي، وهو واقف أمام الله تعالى في الصلاة، وعلامة إقامة الصلاة بشرطها ظهور ثمرتها على المصلي، وقد بيّن القرآن الكريم ثمرتها في حياة الإنسان عندما قال الحق سبحانه: (إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ)[1].

إذا رأيت الناس يقبلون على الصلاة ورأيت الفواحش والمناكر في حياتهم واقعة فذلك علامة فساد الصلاة بغياب ثمرتها. وهذه من أصعب الحالات التي يمكن أن تصيب المسلمين كأفراد وجماعات وكأمة، إذ يظنون أنهم على الهدى وحالهم أمام ربهم وأمام غيرهم من الأمم لا تصدق ذلك.

فالفواحش والمناكر كثيرة، والوقوع فيها خسارة للفرد والجماعة، وتترتب إما عن ترك الصلاة، وإما عن صلاة لا أثر لها في ما جاء من الأوامر والنواهي في القرآن الكريم وسنة النبي الأمين عليه أتم الصلاة وأزكى التسليم ، والفوائد من الصلاة عظيمة بالنسبة للفرد والجماعة إذا أثمرت الصلاة، ولذلك فالصلاة إن تأملتها من هذه الوجهة وجدتها جسرا له طرف في الإيمان وطرف في العمل الصالح.

عن عبادة بن الصامت، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن، كان له عند الله عهد أن يدخله

[1] - العنكبوت 45.

الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه، وإن شاء أدخله الجنة"[1].

الخطبة الثانية

الصلاة من حيث هي ذكر موقوت وصلة دائمة متكررة بالله تعالى تحيي في المصلي، باستمرار، الحرص على الطهارة والقدرة على الالتزام وتحميه من الغفلة والنسيان، ومن ثمة فهي تنهى عن الفحشاء والمنكر والغي والبغي.

عن أبي هريرة، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا، ما تقول: ذلك يبقي من درنه " قالوا: لا يبقي من درنه شيئا، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا"[2] رواه البخاري ومسلم.

الخطبة الثالثة: الكذب

أول ما يفترض أن تنهى عنها الصلاة من الفواحش والمناكر هو الكذب. قال تعالى: (وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ)[3].ذلك لأن الصدق هو الذي يميز المؤمن عن الكذاب أو المنافق، والكذب ليس مجرد ذنب بل هو معصية لأنه يلغي هوية المؤمن بإيمانه بما يشبه

---

[1] - رواه أبو داود في الصلاة، باب فيمن لم يوتر. والنسائي في الكبرى، باب المحافظة على الصلوات الخمس.

[2] - رواه البخاري في صحيحه، باب الصلوات الخمس كفارة. ومسلم في صحيحه، باب المشي إلى الصلاة تمحى به.

[3] - الصف 7.

إعدامه ويمسخ حقيقته المركزية، ولذلك ورد في حديث صفوان بن سليم المروي في الموطأ من أنه قيل للرسول ﷺ أيكون المؤمن جبانا ؟ فقال: نعم، فقيل له: أيكون المؤمن بخيلا؟ فقال: نعم، فقيل له: أيكون المؤمن كذابا؟ فقال: لا.

قال الله تعالى: (إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ)[1].

والكذب كذب على الله، وكذب على الناس، وكذب على النفس، فالكذب على الله أن تقف أمامه توحده بالعبادة وتستعين به وحالك حال المخالف، وأكبر المخالفة عبادة الهوى أو الاعتداد بالحول والقوة وإظهار الطغيان.

والكذب يكون بالقول وبإخلاف الوعد أو العهد، حيث إن الدين المعاملة، وحسن المعاملة قائم على الصدق، والكذب إفساد للمعاملة.

والكذب ينم عن ضعف في الشخصية، وكل ضعف في الشخصية فيه خسارة الفرد والمجتمع؛

لا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا، وفي هذه الحالة يكون مدمنا على وصف يخرب شخصه ويضر غيره.

والكذب على الناس إما غش أو زور أو خيانة،

والكذب على النفس وقوع في الغرور والوهم؛ قال تعالى: (ٱنظُر كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ)[2].

ومن هنا وجب على المؤمن الفرد وعلى المؤمنين الجماعة الحرص على التربية على الصدق مهما كلف الأمر، ووجب على المجتمع خاصة،

---

[1] - النحل 107 .

[2] - الأنعام 24.

توفير الظروف لأفراده لكي يسهل عليهم التحلي بالصدق، لأن بعض أحوال المجتمع تشجع على الكذب، وقلما انتبه الناس إلى أن أحوال المجتمع تؤثر على سلوك الأفراد وعلى قدرتهم على الاستقامة عامة، ورأس هذه التربية على الصدق هو ما توقفنا عنده في أحاديثنا مما يتعلق بالتربية على محاسبة النفس في كل وقت واليقظة إزاء الحالات التي يتعرض فيها المرء لإغراء الكذب، فالمجتمع قد يكذب على نفسه إذا سار في طريق الإفلاس وظن أهله أنهم يحسنون صنعا. فدواعي الكذب متعددة ومنها إرادة إخفاء حقيقة أو إرادة غمط حق أو محاولة التملص من مسئولية، وعلى هذه المستويات المختلفة ينبغي استحضار قضية الصدق والكذب وليس على الأفق المحدود للفرد.

في غالب الأحيان تكون للجماعة معاييرها في ترصد الكذب واكتشاف من هم من جماعتها مبتلون بالكذب، وتدخل في هذا الاكتشاف كل أساليب التقصي والتحقيق، وبدل الاكتفاء باتخاذ الجماعة كذابيها هزءا، فالأجدى هو أن تعينهم على التغلب على جوانب الضعف الدافعة إلى الكذب.

عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: " أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"[1].

[1] - رواه البخاري في صحيحه، باب علامة المنافق.

الخطبة الرابعة: أذى الغير

قال الرسول ﷺ فيما رواه جابر بن عبد الله ﷺ: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده "[1]، فالأذى باللسان يكون بالشتيمة ويكون بالوقيعة والنميمة والبهتان والزور.

فالذي يؤذي الآخرين يظلمهم ويحاربهم، فهو ينسى التزامه في الصلاة بالسلم والسلام الذي ينبغي أن يبذله كل مؤمن للعالم، كما ينسى الأخوة الإيمانية إن كان من يؤذيهم من المؤمنين، قال تعالى: (إِنَّمَا ٱلْمُومِنُونَ إِخْوَةٌ)[2]. فأذى الغير من المناكر التي تتناقض مع مقتضيات الإيمان ومع الالتزام في الصلاة التي تبدأ بالتكبير ويتخللها السلام وتختم به.

وقد بيّن الله تعالى ما في أذى المؤمنين من المسئولية والمغبة العظيمة فقال: (وَالذِينَ يُوذُونَ ٱلْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَـٰتِ بَغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ إِحْتَمَلُواْ بُهْتَـٰناً وَإِثْماً مُّبِيناً)[3].

عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: إن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي المسلمين خير؟ قال: "من سلم المسلمون من لسانه ويده"[4].

الخطبة الخامسة: الظلم

ورد في القرآن الكريم في غير ما موضع أن الله تعالى لا يقبل الظلم فقال: (إِنَّ ٱلذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ

---

[1] - رواه البخاري في صحيحه، بَابٌ: المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ.

[2] - الحجرات 10.

[3] - الأحزاب: 58.

[4] - رواه مسلم في صحيحه، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل.

لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً ﴿١٦٧﴾ إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً وَكَانَ ذَالِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيراً)[1]. وجاء في الحديث القدسي عن أبي ذر: " يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا... "[2] فالصلاة ذكر والظلم من عواقب النسيان، نسيان الالتزام في الصلاة، ولذلك كان الظلم من أصعب ما يحاسب عليه المرء يوم القيامة، قال تعالى عن ذلك الموقف: (وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً ﴿١١١﴾)[3].

عن أبي ذر، عن النبي ﷺ، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع، إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار، إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي، فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي

---

[1] - النساء 168-169.

[2] - رواه مسلم في صحيحه، باب تحريم الظلم.

[3] - (طه 111).

إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا، فليحمد الله ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه"[1].

الخطبة السادسة: تجنب أكل الحرام

تجنب الحرام في ضمير المسلمين شعور قوي وحرص ثقيل الوطأة على النفوس، لكن تصور هذا الحرام الذي ينبغي تجنبه ينصرف على الخصوص إلى أربعة أمور هي. شرب الخمر وأكل الخنزير وأكل الربا ومال الميسر، بيد أن الحرام الأعظم الذي يمس حياة الأغلبية العظمى من الناس هو المال الحرام المكتسب من وجه غير مشروع، فهذا المال الحرام يأتي من وجوه شتى لا يتنبه لها ولا يحتاط لها كثير من الناس.

قال تعالى: (وَلاَ تَاكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِالْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَاكُلُواْ فَرِيقاً مِّنَ اَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِالاِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)[2].

وقال: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَاكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بَالْبَٰطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةٌ عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ)[3].

وعلى هذا يأتي في مقدمة الحرام أخذ مال الغير بوجه غير شرعي، أي المال غير المستحق، وفي مقدمته الرشوة؛

- ومن الحرام كسب مال من عمل لم يتم القيام به حسب الوجه المتعاقَد عليه عرفا أو كتابة، وهذا الوجه هو الغالب في حياة الناس اليومية، ويهم جميع المسئولين وجميع العاملين وجميع أصحاب الخدمات؛

---

[1] - رواه مسلم في صحيحه، باب تحريم الظلم.

[2] - البقرة 188.

[3] - النساء 29.

- ومن الحرام أخذ المال من تجارة فاسدة؛
- ومن الحرام أخذ المال عن صناعة فاسدة؛
- ومن الحرام أخذ المال عن وظيفة أو خدمة غير مؤداة بكامل الاجتهاد؛

إن المال الحرام من التجارات والأعمال والخدمات والصنائع يجب أن يحمل على غاية الخطورة في حياة المؤمن الفرد والجماعة، خطورة أعظم بكثير من خطورة أكل لحم الخنزير أو شرب الخمر لأن ضرر هاتين المخالفتين، بقطع النظر عن كونهما من المعاصي، إنما يعود بالدرجة الأولى على الشخص أكثر من ضرره على المجتمع؛

إذا تدبرنا ما جاء في الحلال والحرام في القرآن الكريم وفي السنة وجدنا أن لهما بعدا ماديا وبعدا روحيا، لذلك يجب الجزم بأن أكل الحرام إضافة إلى ضرره المادي، يدخل الخلل في ضمير المؤمن والظلمة في باطنه.

عن النعمان بن بشير ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "إن الحلال بيّن وإن الحرام بين، وبينهما أمور مُشْتَبِهَاتٌ لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشُّبُهات فقد اسْتَبْرَأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحِمى يوشك أن يَرْتَع فيه، ألا وإن لكل مَلِك حِمى، ألا وإن حِمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"[1].

[1] - رواه البخاري في صحيحه، باب فضل من استبرأ لدينه، ومسلم في صحيحه، باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

الخطبة السابعة: الزنا

قال الله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا)[1].

الزنا من غير المحصنين خرم في الدين الذي بنى العلاقة الجنسية على أساس الزواج بالتزاماته وتعاقداته المؤسسة للطمأنينة والحق والبانية للنهج الأسلم لاستمرار حياة المجتمع في وضوح ونقاء وصفاء؛

فعن عبد الله بن عمر قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ، فقال: " يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلا أخذوا بالسنين، وشدة المئونة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله، وعهد رسوله، إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم "[2].

والزنا من المحصنين خيانة بين الشريكين وإلحاق للأذى بالأسرتين وبالمجتمع؛ فالزنا سرقة تورث الندم؛ ومن ثمة وجب التشديد على المسئولية الكبرى للرجل في الزنا إذا استغل ضعفا عند المرأة كضعف الحاجة المادية، والتشديد على المسئولية الكبرى للرجل في الزنا إذا استغل سوء العشرة في عائلة المرأة، كما يجب التشديد على المسئولية الكبرى للرجل في الزنا إذا بنى إغراءه على الوعد بالزواج. غير أنه ينبغي

---

[1] - الإسراء 32.

[2] - رواه ابن ماجه في سننه، باب العقوبات.

إشراك المرأة في مسئولية الزنا إذا تعمدت الإغراء؛ كما ينبغي تجنب الدخول إلى الزواج من باب الزنا.

ولما كان الإصلاح يوجب العمل على اقتلاع الفساد من جذوره، فالذي يتعين هنا على المجتمع هو السعي إلى التخلص من دواعي الزنا، ويكون السعي، بعد التربية، بالعناية بأمور عدة منها تبسيط شروط الزواج، ولاسيما زواج الشباب الذين يمكنهم الاعتماد في مرحلة أولى على رفد العائلتين قبل العمل وقبل الإنجاب؛

في كثير من الحالات يكون التعلق بمواضعات المجتمع في العيش الباهظ التكاليف هو الذي يجعل الزواج عسيرا ويفتح الباب للزنا؛

بيد أن التربية على إدراك الجوانب الخلقية والعاطفية والنفسية والجمالية والروحية للزواج من أسباب التحصين من الزنا، لأن اللذة الحقيقية هي الزواج أما الزنا فلذته الموقوتة السريعة الزوال لا توفر الفوائد المذكورة؛

ومن تربية الكبار لفت انتباه الزوج إلى أن اللذة العظمى في قوامته على المرأة، أي الصبر لها صبرا جميلا وحملها على ما يغرسه عندها من جمال الفضائل بالعطاء، وهو جمال لا يبلى؛

ومن تربية الكبار لفت انتباه الزوجة إلى أنها إن فرّطت في حالها ولم تحرص على تحصين زوجها بتنمية مستدامة لروابط الحب والعشق بينهما فإنها قد تفتح الباب عليه وعليها للزنا؛

كما أن الزوجة التي تتخذ الانشغال بالأولاد عذرا للتفريط في الرجل قد تدفعه إلى الزنا؛

كما أن الزوج الذي يجهل أو يتجاهل حقوق الزوجة في آداب المعاشرة قد يدفعها إلى الزنا؛

وتدل التجارب على أن شرط تقوية الزواج، لا لمجرد الحفظ من الزنا، بل لبناء الإنسانية الراقية، هذا الشرط هو بناء الزواج على الأركان الروحية المذكورة في القرآن والتي تصمد وحدها للزمان، وهي السكينة والمودة والرحمة، وبذلك يكون الزواج مختبرا كبيرا للإيمان المسدد ولالتزام المؤمن في الصلاة .

بعد هذه الخطبة والموعظة التي جاءت في موضوعها، أوعزتُ للأئمة الثلاثة بأن نقوم بتعبئة بعض أفراد جماعة المسجد للقيام بمبادرات يتحقق بها بعض الإصلاح الذي نتناوله، ومنه:

- **محاربة الزنا بالتشجيع على الزواج.**

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله عليه وسلم: "ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف".[1]

تحدثت مع السيدة المرشدة في الموضوع ووجدت لديها عزما على التأكيد على النساء في ضرورة الحرص على مقوماتهن في الإغراء المعنوي والمادي وإظهار مهارتهن في ذلك، ووجدت عندها وعيا بمخاطبة النساء في أمور منها: الدفع لتخفيف شروط الزواج والتشجيع عليه، ومنها ما يصلح للزوجة احتسابا لله وحرصا على العلاقة الزوجية وإنقاذها من مغبات الأخطاء المضرة بالعشرة، ولاسيما الحض على صم الأذن عن النميمة من جهة وتجنب الوسواس في العلاقة الزوجية.

عدت إلى المذاكرة في الموضوع مع الأئمة فوجدتهم على علم بأحوال القرية في الموضوع الذي يهمنا وهو التشجيع على الزواج، وبحالات بعينها

[1] - رواه الترمذي في سننه، (الجامع الكبير): باب ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب وعون الله إياهم.

تمكن معالجتها مع المعنيين بكل ما يلزم من العفة والكتمان، ولكن الظاهرة العامة هي:

أ. العزوف عن الزواج بحيث توجد بالقرية ما يقرب من أربعين عازبة سنهن يتجاوز بكثير السنّ المعتادة للزواج في القرية، وهو أمر غير مريح للعائلات إذا قورن بالحال في الماضي، أي قبل خمسين عاما، حيث كانت تتزوج كل فتيات القرية في سن لا تتعدى عشرين عاما؛

ب. عجز الأُسر في بعض الأحيان عن إقناع البنات بعدم الخروج والسفر إلى الأسواق أو المدينة لقضاء أغراض خاصة؛

ج. استعمال البنات للهواتف المحمولة في جميع أنواع الاتصال التي لا يخلو بعضها من الضرر.

تطوع ثلاثة من أفراد جماعة المسجد لنشر فكرة التشجيع على الزواج في القرية، ونجحنا، أنا والأئمة، على أن يكون هؤلاء المتطوعون من الشباب المتعلمين المتزوجين، وذلك بعدد من العمليات:

1. الترويج للفكرة التي جاءت في خطبة الخطيب، وشرحتها في موعظتي، وهي زواج الشباب مع بقائهم في كنف الأسرتين لعدة سنين استعدادا لتكوين بيت مستقل؛
2. تصور حفل الزواج على شكل خطبة وكتابة عقد في وليمة جماعية؛
3. الإقناع بمهور وأجهزة بسيطة؛
4. قيام الجماعة بتقديم المهور والأجهزة للمحتاجين؛
5. التدخل لدى الأسر ولدى شبان وشابات معينين ليكونوا نماذج للانخراط في المشروع دون الشعور بمركب نقص؛

6. إقامة مناسبة جماعية لهذه الزيجات مرتين في العام: مرة في بداية الربيع ومرة في نهاية الصيف.

صار هذا الموضوع حديث القرية، وتشكك البعض في إمكان نجاح هذا المسعى. ومن بركة النوايا الحسنة أن القرية استطاعت بعد ثلاثة أشهر أن تقيم حفلة وقع فيها عقد زواج ستة شبان وست شابات على ما سبقت الإشارة إليه من الشروط، وتسامع الناس بالحدث في آفاق خارج القرية، وانتشرت التعاليق في وسائل التواصل الاجتماعي.

حمدنا الله حمدا كثيرا على أن انتقلنا بهذا الحدث من الأقوال إلى الأفعال، وجاء هذا مؤشرا على أمور طيبة منها:

- فهم القرية أن مقاصد الأقوال هي الأفعال؛
- دور الأئمة المباركين في المرور إلى الأفعال؛
- استعداد بعض أفراد جماعة المسجد للقيام بالمبادرات الميدانية؛
- استجابة المعنيين بالرغم من أن الموضوع يتعلق بالزواج الذي تحيط به عوائد خانقة.

الخطبة الثامنة: الإلقاء بالنفس إلى التهلكات

قال الله تعالى: (وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ)[1].

وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: "لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه» قالوا: وكيف يذل نفسه؟ قال: «يتعرض من البلاء لما لا يطيق"[2].

[1] - البقرة 195.

[2] - رواه الترمذي وحسنه.

فالهلاك هو الضرر وهو ما يتجنبه بالغزيرة وبالعقل كل إنسان ويخافه ويتقيه منذ صغره، ويتخذ كل الوسائل ليحفظ منه نفسه؛

غير أن الإنسان إذا لم يتق ميوله وشهواته بإرادة مستمدة من إيمان قوي وتذكُّر دائم فإنه يصبح هو نفسه مصدرا لهلاك نفسه، والقصد هلاك صحته البدنية والعقلية وهلاك ماله والجنوح إلى أمور فيها مغامرة حتى بحياته؛

وحيث إن الحياة أمانة من الله وهبها للإنسان وأراد أن يحفظها حتى يكون على ما يقتضيه التكليف بالواجبات والحقوق على مقتضى الشرع؛

وحيث إن الله رؤوف بعباده يعز عليه أن يصيب المؤمنين العنت والألم والشقاء؛

فإنه سبحانه تعالى قد نهى الإنسان عن الإلقاء بنفسه إلى التهلكة كيفما كان نوعها، واستعمل سبحانه وتعالى فعل "ألقى" للدلالة على حال من يفعل ذلك بحيث يكون ذاهلا غير حاسب للعواقب والتبعات، والحالة أن من يُلقي بالشيء يصعب عليه أن يسترده، كما أن الإلقاء قد يتسبب في الصدمة والكسر الذي لا إصلاح بعده.

والأيدي هي كناية عن النفس، وفيه المعنى بأن ارتكاب هذا المحظور يَحرِم المرتكب من آلة عمل الخير الأولى وهي اليد، كأنه أصبح معوقا، والأمر كذلك في كثير من الحالات المشار إليها.

توجد حالات عديدة من الإلقاء بالأيدي إلى التهلكة، ولكن العقل ينصرف في الدرجة الأولى إلى الحالات التي يفقد فيها الشخص قدرا من حريته إزاء بعض العادات والحاجات المكلفة والمعوقة من جهة، والمخلة بشروط التكليف من جهة أخرى، ومنها أن يتناول ما يُذهب القوة العقلية، وهي بالدرجة الأولى الإدمان على الخمر والمخدرات.

تبين لي أن تحقيق إصلاح في هذا الباب على أرض القرية يحتاج إلى أفعال حكيمة أكثر مما يحتاج إلى تنبيه أو وعيد في خطبة أو موعظة. وقد تذاكرت في هذا الشأن مع السادة الأئمة فكانوا على اتفاق تام مع تخوفي، فهم أعرف بالقرية وأحوالها، والواقع أن ما لا يقل عن عشر سكانها هم من المدخنين، وأقل من نصف هذه النسبة هم من يشربون الخمر، أما تناول المخدر فقد أخذ ينتشر ويصيب المراهقين والشبان على الخصوص، من بينهم حتى بعض الفتيات.

أشار الأئمة بالاستعانة ببعض الشباب الملازمين للمسجد للتعرف ولو على سبيل التقريب على مكامن الداء ابتداء بما يتعلق بتناول المخدرات. وحصلنا على المطلوب من المعلومات على وجه التقدير، وعرفنا على الخصوص الشخص الرئيسي الذي يأتي بالمخدر ويبيعه. ووجدنا لمحاولة استمالته مدخلين دون أن يعلم أحد أنني أنا والأئمة من وراء ذلك المسعى، المدخل الأول هو السعي لدى السيدة المرشدة لكي تستدعي إلى دارها من أجل حديث ودي امرأة أرملة لها بنت شابة يحبها الرجل المتجر في المخدرات وعمره بين الثلاثين والأربعين، وهو يسكن عندها في معظم الأيام.

أعدت المرشدة الشاي والحلوى في دارها واستقبلت السيدة وقالت لها بعد السؤال عن الأحوال: متى تقيمين العرس للبنت مع إبراهيم؟ وهو اسم جالب المخدرات إلى القرية، عندها بدأت المرأة تشكو وتبكي وتقول إنها تخاف منه لأنه هدد ابنتها يوما بالسكين، ولا تستطيع أن تشكو لأحد وهي تخاف أن يصيب ابنتها ما أصاب آخرين في القرية من تناول الأعشاب حتى إن بعضهم وجد عملا في دار للسياحة ولكنه ينفق على هذه البضاعة نصف أجرته، وقالت: الناس في القرية ينظرون إلي باستنكار ويحتقرونني ويذكرون ابنتي بسوء لأن هذا "المسخوط" يدخل

دارنا بلا موجب وهو الذي أوقف البنت عن الدراسة، وكانت بعيدة في داخلية الإعدادية بمركز الجماعة.

قالت السيدة المرشدة: سنرى كيف يمكن أن نعينك على زواج ابنتك إن شاء الله، لا تذكري لأحد شيئا عن هذا اللقاء، لا تذكري ذلك حتى لابنتك.

نقلت إلي السيدة المرشدة ما جرى، وأخبرت الأئمة واتفقنا على أن ندبر ثلاثة أمور:

1. أن ندبر عملية ردع ضد هذا التاجر؛
2. أن نبحث له عن مورد للرزق؛
3. أن نزوجه بالبنت إذا استقام حاله.

تكلم الإمام الخطيب في الموضوع مع شيخ القرية، وكان هذا الأخير يقدر الخطيب، فقال الشيخ: أعرف هذا "المسخوط"، ولم أعد أقبل هداياه لأن ابن أخي كاد أن يفقد عقله بما يأكله من الأعشاب، وقال: ولا عليك، سننصب له مصيدة. قال له الخطيب: إذا وفقك الله وردعته فستشكر لك القرية كلها عملك.

ذهب الشيخ إلى خال البنت وحرّضه قائلا: إن ذلك المسخوط "بياع الحشيش" يسيء إلى سمعة عائلتك، فاقتحِم عليه الدار ليلا مع ثلاثة من أولادك وأوثقوه، وعندما أحضر تعرضون علي الأمر وتخيروه إما أن يلتزم بالزواج من البنت وإما أن نسلمه للدرك قصد كتابة محضر له وتقديمه للمحاكمة.

ذهب الشيخ بالنهار إلى أم البنت وأخبرها بما سيقع بالليل، وقال: عندما أحضر إلى بيتكم اذهبي أنت إلى إمام المسجد واطلبي منه الحضور.

جرى الأمر كما وقع الاتفاق عليه، وتشفع الإمام في البيّاع، وطلب من الأقارب حل وثاقه، وقال أنا أضمنه للشيخ، وكان هذا الأخير قد فتش الغرفة ووضع اليد على حقيبة فيها حشيش للبيع، وأخذ الوعد من الجميع بألا يجري الحديث عما جرى.

ذهب الإمام بالتاجر إلى دار المؤذن وطلب منه أن يبيت عنده إلى غده دون إشاعة خبر ما جرى.

ذهبت أنا والإمام إلى دار المؤذن وقلنا لإبراهيم إننا نريد منه أن يتوب وأن يحسّن سمعته ويكف عن تسميم أبناء القرية.

قال: أقسم لكم بالله أنه لو كان لي مورد رزق آخر ما فعلت هذا.

قال له الإمام: سنبحث لك عن شغل إذا تركت هذا الصنيع وتزوجت البنت التي صارت زوجة لك منذ مدة بدون إعلان.

كتبتُ رسالة إلى السيد رئيس المجلس العلمي المحلي أطلب فيها أن يتدخل لدى السيد عامل الإقليم لكي يعطي لإبراهيم رخصة سيارة نقل مزدوج يشترك في ربعها مع أحد المحتاجين في القرية، سنقترحه فيما بعد.

وقعت الاستجابة بعد شهر والحمد لله، ولزم إبراهيم المسجد كل صلاة صبح قبل الانطلاق للعمل في سيارة اشتراها له أحد العمال في السياحة على سبيل الكراء. وتحدث الناس بخبره، وتراجع البعض عن تناول المخدر. وأقام الخال وليمة عقد قران إبراهيم بالبنت حضرها أهل إبراهيم.

انطلقنا في معالجة بقية حالات الإدمان بالأسلوب المناسب، وقد تمكنت بواسطة أحد الإخوة الأئمة المرشدين من استدعاء رجل مختص في التربية على محاربة الإدمان عامة فشرح للناس هذا المرض.

الخطبة التاسعة: الإسراف في اللذات

من شفقة الله على خلقه أنه سبحانه وتعالى قد بنى دينه كله على الاعتدال الذي فيه عدل الإنسان مع نفسه وعدله مع غيره وعدله مع ربه، فنظّم لنا كيف نتمتع بالطيبات وقال: (يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ)[1] . وقال: (وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا)[2] .

خلق الله الإنسان بحاجات ضرورية كما خلق فيه الميل إلى شهوات أساسية وزائدة، فهو بحاجة إلى الطعام والشراب من ميلاده إلى وفاته، كما أن الإنسان، رجلا كان أو امرأة، هو بحاجة إلى الزواج أي إلى إشباع شهوته الجنسية، لا لأجل النسل بل لأجل حاجة ولذة يرتبط بإشباعها استقرار نفسي مؤكد. على أن في الإنسان ميلا إلى تجاوز الحاجة الضرورية في هذين الأمرين، الطعام والجماع.

من التصورات الخاطئة عن الدين النظر إليه على أنه يدعو إلى الحرمان، والحال أنه يحل كل الطيبات ويحرم كل الخبائث؛ يتوقف الإشباع بالطيبات والإقلاع عن الخبائث، لا على إتيان ما ينفع وتجنب ما يضر وحسب، بل يتوقف على حسن تصريف الشهوة، أي على الحرية إزاء الهوى، كما رأينا في مقتضيات الإيمان، لأن كثيرا من الضالعين في علم أمور الحياة بما فيها علوم الطبيعة، ومع علمهم، لا يقفون بأشخاصهم عند حدود الاعتدال في التمتع بالطيبات، فتجنب الوقوع في التهلكات يستنير فيه الإنسان بالعلم، ولكنه يتوقف أساسا على التربية

---

[1] - الأعراف31.

[2] - الإسراء 26-27.

والإرادة والهداية، أي التحكم في النفس، فالذي لا يخفى عن الإنسان، أيّا كان، أن الزيادة عن الحاجة في الطعام فيها إضرار بالصحة، ومع ذلك فكثيرا ما يعيش الإنسان في هذه الحالة بالذات مواقف صعبة يخضع فيها للشهوة ويضعف فيها أمام اللذة، فالنهم في اللذات يكتسي في بعض الأحيان صفة مرض نفسي، فالمبالغة في استهلاك الطعام الزائد عن الحاجة مثلا تصبح تصرفا لا أخلاقيا، سيما إذا كان الغير من الناس لا يجد ما يسد به جوعته.

ثم إن التربية على معرفة كيفية تحضير الغذاء بالقدر الضروري أساسية، ولاسيما بالنسبة للسيدات، لأن الطعام القليل الأرخص قد يكون أفيد من الطعام الكثير الأغلى، و معلوم أن للعوائد في هذا الباب دورا كبيرا.

تستعمل في هذا العصر مفردات "الكم" و"الكيف" ومصطلح "الجودة"، وهي مفردات تعين على فهم المراد، وتصلح كذلك في تدبير الأكل كما تصلح في علاقات الزواج، هذه العلاقات التي يفترض فيها التبادل الثنائي الذي يرقى بتلك العلاقة إلى مرتبة التعابير الراقية.

للسُّنّة النبوية الشريفة توجيهات نيرة في هذا الباب، ولحكمة الأمم أقوال مثل قولهم: ارفع يدك من الطعام وأنت تشتهيه، وقولهم الثلث للطعام والثلث للماء والثلث للهواء. أما شرب الماء فقلما يكون فيه الإسراف، بل النقص هو السائد، والنقص فيه مضر ة كذلك.

لم يترك الدين أمرا يتوقف على اختيار الإنسان إلا بيّنه ونظّمه وبناه على الاعتدال، ومن جملة ذلك، كما ذكرنا، الطعام والجماع في الزواج.

فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم يخالطه إسراف، أو مخيلة"[1].

الخطبة العاشرة: التبذير في المستهلكات

من راقب الناس وجد قدرا من همهم وشغلهم وكدحهم منصبا على تحصيل أمور يستهلكونها للحاجة إليها أو يستهلكونها لمتعة زائدة بها، غير أن معظم ما يستغرق جهد الناس ومالهم ووقتهم وحماسهم وسياستهم ونزاعاتهم يتعلق بما فوق الحاجة الضرورية إلى الطعام والشراب وما يتقون به البرد والحر بل يتعدى الضروريات ويتعدى حتى الحاجيات إلى الكماليات.

من هنا فإن نظام العالم، أي نمط العيش السائد، وكل البلدان جزء منه بدرجات متفاوتة، نظام مختل إذا لوحظ ما هو غارق فيه من التهافت على الكماليات في البلدان المسماة بالمتقدمة اقتصاديا، في حين أن ناسا آخرين كثيرين يعانون من الاحتياج المفرط للضروريات، وهذا التفاوت موجود بين البلدان وبين الفئات في كل بلد، فهو نظام على سكة التبذير التي يمكن أن تؤدي إلى ما لا تحمد عقباه من النتائج على مستوى عدم الاستقرار، إذ هي حالة قائمة على تحقيق الشهوات على حساب الآخرين، سيما إذا كان بظلمهم أو استغلالهم أو نهبهم أو استعمال الحرب والقتال ضدهم.

إن الحرص على اكتساب هذه الحاجات الزائدة يفسد الذوق السليم ويفسد طبيعة الإنسان، لأنه يجره إلى التكاثر الذي وصفه الله تعالى بأنه يلهي الإنسان عن أن يعيش حقيقته ويكون بصيرا بمصيره؛

[1] - رواه ابن ماجه، بَابُ الْبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَكَ سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ، والنسائي في الكبرى، باب الاختيال في الصدقة.

قال تعالى: (أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ)[1].

ثم إن الحرص على اكتساب هذه الحاجات الزائدة، كما تشهد تجارب الأمم في الماضي والحاضر، يجر إلى الطغيان والعلو في الأرض.

ومن مظاهر هذا التبذير كثرة ما تلقيه أسواق البلدان الغنية من الطعام الزائد عن الحاجة وما يفيض عن استهلاك البيوت في هذه البلدان ويلقى في النفايات.

إن المقصود في قريتنا في ما يتعلق بالموضوع الذي نحن بصدده هو ثلاثة أمور:

1. تجويد الطعام بناء على العلم لا على العادات؛
2. الاقتصاد في كميته، علما بأن الزيادة لا تنطبق على حال كثير من الناس؛
3. مقاسمته مع من لا يجدون الضروري منه، كما وكيفا؛

والمقصود الثاني هو الحرص على ضرورة تجويد العلاقات الحميمية بين الأزواج ليحصل في ظلها الإشباع في جو المودة والسكينة والرحمة؛

ولابد من التذكير، هنا أيضا، بما رأيناه من مقتضيات الإيمان وهو تحرر الإنسان من التهالك على الأشياء إلى حد نسيان الحقيقة التي ينبغي استحضارها، وهي توحيد الله بالعبودية، لأن الشكر يعطي المذاق للحياة، بينما تؤدي الغفلة إلى سلسلة من مشاعر الحرمان والشقاوة والأمراض.

[1] - التكاثر 1-3.

عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله - ﷺ - مر بسعد، وهو يتوضأ، فقال: "ما هذا السرف؟ " فقال: أفي الوضوء إسراف؟ قال: "نعم، وإن كنت على نهر جار"[1].

الخطبة الحادية عشرة: الغلو والتشدد، ومنه دعاوى الإرهاب

يقع الإنسان في أنواع مختلفة من الغلو، منها الغلو في الدين، قال تعالى: (يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لاَ تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْحَقَّ)[2].

والغلو مرض معد، فوجب الاحتياط من الإصابة به من الضالين، قال الله تعالى: (قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لاَ تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَد ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ)[3].

كانت سيرة رسول الله ﷺ مثالا على اليسر والرفق والوسطية والاعتدال والدفع بالتي هي أحسن، واتخذه إسوة في ذلك أصحابه رضوان الله عنهم. ومن أماناته ﷺ أن حمّل ورثته العلماء مهمة حماية الناس من الغلو والتشدد، فقد اعتبر في حديثه المشهور الغلو تحريفا للدين، وما ذلك إلا لأن الغلو كذب يبعد الدين عن طبيعته وعن مقصده؛ كما اعتبره باعثا على فتنة الناس؛ وقد شهد الناس في الماضي، ونشهد في الحاضر، أن معظم الغلاة في الدين هم إما مرضى بالهوس والوسواس وإما هم طُلّاب زعامة باسم الدين، يزدرون غيرهم ويُخَيّل إليهم أنهم وحدهم الفرقة الناجية. والغلو في الدين من أعراض

---

[1] - رواه ابن ماجه، باب ما جاء في القصد في الوضوء.

[2] - النساء 171.

[3] - المائدة 77.

مرض النفوس، سيما إذا أراد أهله أن يحملوا عليه بإكراه غيرهم بدعوى إنقاذهم؛

في هذا العصر يظهر عدد من الغلاة في مواقع التواصل التي يتوجهون منها إلى الناس بلا استئذان، ولذلك زاد ضررهم وزادت مسئولية الناس في الحرص على أخذ العلم عن العلماء العدول، وصفة العدل تفيد الحياد إزاء الفرق والأحزاب، كما تفيد الاعتدال. قال صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة الذي أخرجه ابن عبد البر في التمهيد[1]: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين".

وقد قام علماء المغرب في مجلسهم الأعلى بجانب من هذه الحماية عندما بيّنوا في ندوتهم عام 2007 أن دعاوى الإرهاب الذي يضرب المسلمين قبل غيرهم دعاوى مستندة إلى فهم فاسد لبعض المفاهيم كالجاهلية والسلفية والولاء والبراء والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والشورى والخلافة وغيرها.

فيكون علاج الغلو هو إقامة العدل في الأمة وحسن تبليغ العلماء وتربية عموم الناس على الاحتياط في اختيار من يسترشدون بهم أو من يقتدون بهم في أمور الدين ففي الأثر المروي في مقدمة صحيح مسلم[2] عن محمد ابن سيرين قال: "... فانظروا عمن تأخذون دينكم".

فالتشدد والغلو يسيء إلى المسلمين ببث التفرقة في صفوفهم بزرع التشويش بخصوص مظاهر من حياتهم، سيما وأنه يركز على صغار المسائل لا كبرياتها، كما يسيء إلى الإسلام أمام العالم بإظهاره بمظهر مخالف لجوهره في الرحمة والعفو وكخطاب للعالمين.

---

[1] - مقدمة التمهيد: 1 / 28.

[2] - مقدمة صحيح مسلم، باب في أن الإسناد من الدين.

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: "إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة"[1].

الخطبة الثانية عشرة: التعصب للمعتقدات والانتماءات

اجتهد السلف الصالح في شرح الدين للناس بناء على ما ورد في الأصلين، الكتاب والسنة؛

كانت بينهم اختلافات في الجزيئات حسب ما ذهبوا إليه من الاجتهادات، ولم ير أحد منهم في هذه الاختلافات ما يجعل فريقا يدعي الصواب المطلق، ويصف الآخرين مطلقا بالبدعة أو الضلال أو حتى بالكفر.

غير أنه نشأت فرق منذ عهد الخوارج الأُول ذهبت في التطرف إلى حد ادعاء احتكار الحقيقة واتهام الغير بالباطل؛

ظهر في هذا العصر تيار يدعي أنه المقتدي وحده بالسلف، وأن الغير على بدع وضلالات، والمنتمون لهذا التيار، بحسن نية أو بجهالة، يفهمون الاقتداء فهما ضيقا ويُعملون التركيز في الدين على جزئيات غالبها يتعلق بالمظاهر، وقد شغل هذا التيار الناس على التخويف، وبذلك أضر كثيرا.

يتعصب بعض الناس لأفكار في الفكر أو السياسة دون عرضها على أخلاق الدين، ويحملون شعاراتها ويبذلون من أجلها الغالي والنفيس؛

[1] - رواه أحمد في مسنده، (مسند أبي هريرة).

هنالك مشاعر بشرية طيبة تقرها الفطرة ويقبلها الدين كالغيرة على الوطن والفخر بالانتساب إلى فضلاء الأجداد، وذلك مطلوب ومقبول في الحدود التي لا تجعل التفاخر بتلك الأنساب مثل التفاخر في الجاهلية، يصدق هذا الأمر على العرب والعجم على السواء.

واستنادا إلى ما رأيناه من مقتضيات الإيمان، وهو اعتبار التقوى هي الفضيلة القصوى في التفاضل، فإن كونية الإسلام هي الحقيقة التي يتعين أن يتربى عليها المسلمون مع اعتبار وقائع التاريخ بفكرة واسعة عملا بقوله تعالى: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ)[1] ، وفهم التعارف ينبغي أن يكون على حقيقته في الاعتراف بالآخر، والفهم عن الله الذي قدر كل شيء وأحسن تقديره.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، ثم مات مات ميتة جاهلية، ومن قتل تحت راية عمية، يغضب للعصبة، ويقاتل للعصبة، فليس من أمتي، ومن خرج من أمتي على أمتي، يضرب برها وفاجرها، لا يتحاش من مؤمنها، ولا يفي بذي عهدها، فليس مني"[2] رواه مسلم.

الخطبة الثالثة عشرة: الحرمان من الطيبات

من قصور فهم بعض المؤمنين التشدد في الدين حتى إنهم يحرمون على أنفسهم وعلى غيرهم ما أحل الله من الطيبات، وهو ما يخالف مراد

---

[1] - الحجرات 13.

[2] - رواه مسلم في صحيحه، بَابُ الْأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وتحذير الدعاة إلى الكفر.

الله تعالى الذي نهاهم عن سلوكهم المترتب عن فهم خاطئ حيث قال سبحانه:

(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ)[1] ، ومثل هذا السلوك المتشدد يفضي، كما بيّنت الآية، إلى العدوان الذي لا يقبله الله.

الطيبات هي المتع التي ركّب الله الإنسان على أن يستلذها بلسانه وشمه وبصره وسمعه ولمسه وعقله وكل أحاسيسه دون أن يضره ذلك في نفسه ودون أن يؤذي غيره؛

كل ما لم ينه الله عنه من هذه المتع فهو حلال في دائرة الاعتدال الذي رأينا أنه يحكم منهاج الدين؛

انطلاقا من تصور غير سديد للدين كان بعض أهل الكتاب يحرمون على أنفسهم الطيبات ظنا منهم أن ذلك الحرمان يرضي الله ويكون فيه تقرب إليه؛

وقد تسرب هذا الفهم إلى بعض المسلمين كما تشهد على ذلك توجيهات السنة حيث كان ﷺ ينهى بعض المشددين بمثل قوله: "...أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[2].

ولهذه الظاهرة صلة باستعدادات بعض الناس، ومنهم ذوو أمزجة ميالة إلى التشدد والتشديد في جميع الأديان، وهو ما يخالف الفطرة ويخالف رحمة الله بالعباد، ولا يوافق اسمه الغني الحميد.

---

[1] - المائدة: 89.

[2] - رواه مسلم في صحيحه، بَابُ اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، وَوَجَدَ مُؤَنَهُ، وَاشْتِغَالِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الْمُؤَنِ بِالصَّوْمِ.

ما عند مختلف البلاد والثقافات التي دخل أهلها الإسلام، وما جدّ في حياة الناس منذ ظهور الإسلام في باب الطيبات كم لا حصر له، وليس منه إلا القليل المحرم نصا قاطعا.

قياس السلوك في الإسلام على مقاس ثقافة واحدة من الثقافات التي نشأ فيها أو استقبلته إضرار بالإسلام، وهو الدين الذي جاء لكافة الناس.

استفحلت المظاهر الثقافية في أحوال الناس، وما تزال تتغير منها الألوان كل يوم، ولا يجوز أن يُحكم بالتنافي مع الإسلام إلا على ما أضر منها بالنفس أو أضر بالغير أو جاء فيه النص القاطع، ولا يسلم فهم الدين من هذا الجنوح إلا إذا قام على مقاصد كبرى هي الإيمان الباني للشخصية الكونية المتميزة والعمل الصالح الذي ينفع الناس ويوافق أولويات مناسبة لما ذكر.

وما عدا هذا النهج فإن سلوك التشدد سيظل يفتح على المسلمين أبواب الفتن ويجعلهم عاجزين عن الخروج إلى الناس بالنموذج المنتظر منهم، نموذج خير أمة.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إن الله عز وجل إذا أنعم على عبد نعمة يحب أن يرى أثر النعمة عليه، ويكره البؤس والتباؤس، ويبغض السائل الملحف ويحب الحيي العفيف المتعفف"[1]

الخطبة الرابعة عشرة: الإفساد في الأرض عموما

قال الله تعالى في كتابه العزيز: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا

[1] - رواه البيهقي في شعب الإيمان.

وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيۤ أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)[1] .

قضى الله أن يخلق الإنسان ويكرمه ويستخلفه في الأرض، وقد سبق في علمه ما سيقترفه من الإفساد، وأسكنه الأرض وقد مهدها له وبسطها وجعل له فيها الأقوات وسائر الأرزاق من الطيبات، وأهله للإصلاح بأن جعل له السمع والبصر والفؤاد، ونهاه عن الإفساد وقال سبحانه: (وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي ٱلأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ)[2] ويدل قوله: "بعد إصلاحها " على المقصود وهو الحفاظ على ما قدره سبحانه في نظامها، وهو ما يسمى اليوم بالتوازن البيئي، وقد استبق القرآن الكريم ما جاء بعده عندما قال: (ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ)[3] . وقال مبينا أبعاد هذا الإفساد: (وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ)[4]، وربط سبحانه الفساد بسلوك الإنسان الذي سماه بالعتو وهو السعي إلى الاتصاف بما ليس للإنسان أن يتصف به وهو الكبر بإرادة الاستكثار من أشياء تجعله يتعدى المقادير وهو يظن أنه بذلك يسعى إلى الإصلاح، فقال سبحانه : (وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي ٱلأَرْضِ مُفْسِدِينَ)[5] ، والحقيقة أن هؤلاء العتاة من

---

[1] - البقرة 29.

[2] - الأعراف56.

[3] - الروم41.

[4] - البقرة: 203.

[5] - هود: 84.

(ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ)[1]. وقال: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)[2]. وقد يتصرف العتو في صور أخرى ترجع إلى الغبن فيترتب عنها الفساد، قال تعالى: (وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)[3]. فالإفساد في الأرض يشمل الطبيعة ويشمل البيئة الاجتماعية التي يفترض أن صلاحها الأول هو بناؤها على الفطرة، أي القواعد الضابطة للعدل بين الناس، فقال سبحانه : (وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ)[4]، وقال تعالى: (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ)[5]، فاستخلاف الإنسان في الأرض يقتضي أداء الأمانة في كل شيء واتباع سياسة ربانية في باب الأمانة الكبرى، واستعماره فيها يتعلق بما ينبغي من الشفقة عليها لصالح الإنسان، وهذان المفهومان هما اللذان ينبغي أن يؤطرا نظام الإنسانية التي ما فتئت عبر تاريخها، وإلى يومنا هذا، تبحث عن نظام يحميها من الظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي، فالأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين واستحضار هذا المفهوم هو الذي ينبغي أن يوجه أي سياسة كونية ينبغي أن يكون المسلمون في بلدانهم نموذجا

---

[1] - الشعراء :152.

[2] - البقرة: 10.

[3] - هود: 84.

[4] - الرعد: 26.

[5] - هود: 60.

جذابا لها، استلهاما من قول الله تعالى: (وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلاَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ)[1] . فشرط تحقق ذلك النموذج واضح في قوله تعالى : (وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلاَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ)[2] . وقوله تعالى: (ٱلذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلاَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلهِ عَـٰقِبَةُ ٱلاُمُورِ)[3] ، وبين الله وعده بمصلحة الإنسان في الأخذ بهذا النظام فقال:

(وَلَوَ اَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرىٰٓ ءَامَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَالاَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)[4] . ومن خبرة الله بهذا الإنسان ورأفته به أن لم يوسع له في الرزق وابتلاه بما يسمى بالأزمات، لأنه يعلم أنه سيطغى فقال: (وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلاَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٌ)[5]. فالإفساد في الأرض يكون بأنظمة الظلم والبغي، قال تعالى: (إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلاَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ)[6]. والحزب المعارض للنظام الرباني يتحالف ليقف معارضا في وجه الإصلاح المبني على الربانية، يقول تعالى: (وَالذِين

---

[1] - القصص: 77.

[2] - الأعراف: 9.

[3] - الحج: 39.

[4] - الأعراف: 95.

[5] - الشورى: 25.

[6] - الشورى: 39.

كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) [1].والفرقان ليسوا سواء، قال تعالى: (أَم نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)[2].

[1] - الأنفال: 74.

[2] - ص: 27.

عمل الصالحات

بعد أن قضينا شهرين في التمهيد والاستئناس، وشهرين في شرح الإيمان ومقتضياته، وشهرين في شرح الصلاة ووجوه الفحشاء والمنكر التي يقتضي الالتزام المتجدد في الصلاة الانتهاء عنها، وجب المرور إلى شرح العمل الصالح، وبهذا الصدد اتفقتُ مع الأئمة على جمع أكبر عدد ممكن من جماعة القرية حول وليمة بعد عشاء يوم السبت، جمع نبدأ الحديث فيه عن المرحلة المقبلة من الخطب والمواعظ تتميز بالمرور إلى ما يقتضيه القول من العمل والتغيير، وذلك عبر التحاور مع الجماعة في الشئون المنتظر فيها الإصلاح .

وكذلك كان جمعا حافلا بالمسجد، سعى الأئمة ليحضره أكثر مما يحضر حتى في صلاة الجمعة، وبعد صلاة المغرب وقراءة الحزب، قلت أمام الجماعة وبحضور الأئمة وبعض الأعيان وأشخاص حضروا حتى من خارج القرية:

قدر الله أن نبدأ في هذه القرية مواعظ شرحنا أن الغرض منها الاجتهاد لتسديد تديننا بحيث توافق الأعمال الأقوال، وتكلمنا عن الإيمان وبيّنا أن من المفترض، إذا صح وتسدد، أن يمدنا بطاقة نقدر بها على محاسبة النفس حتى ننتهي عن الفحشاء والمنكر ونسارع إلى العمل الصالح ونتعرض لوعد الله لنا على الشرطين الواردين بالحياة الطيبة، وقلت: لقد تغيرت حياتنا اليوم في كثير من الجوانب بفضل الاستجابة لمقتضيات الإيمان وبفضل استحضار ثمرات الصلاة في الانتهاء عن كثير من المناكر، ولكن لا أظن أن أحدا منا راض عن حياته كل الرضا، والحق أن الله تعالى بيّن لنا السبيل لتحقيق الحياة الطيبة، وقد تعمدنا في الخطب والمواعظ تكرار الكلام في هذا المعنى، لأن المهم هو أن نؤمن ونتيقن أن الدين هو في العمل وليس في كثرة الكلام بلا

عمل ، كنا في ما مضى وكأننا نغرس الشجرة ونسقيها، وها نحن قد وصلنا إلى وقت جني الثمار ،إن كان غرسنا قد أطلق جذوره في تربة نفوسنا واستوى على سوقه، فهل الأمر كذلك؟ فهل الكلام الذي سمعناه عن الإيمان قد استقر في نفوسنا بحيث نستطيع أن ننطلق لتحقيق الشرط الثاني للحياة الطيبة وهو العمل الصالح؟ إن هذا العمل الصالح سيُصلح في قريتنا ما يجب أن يُصلَح ويغير ما ينبغي أن يتغير، وذلك بإرادة من أنفسكم بعد أن تشبعت هذه الأنفس بمعاني الإيمان المستمد من مراقبة الله والاستعداد للاستجابة لأمره ونهيه، من خشيته من جهة، ومحبته من جهة أخرى، والله تعالى يقول: (إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ)[1] ؛ هكذا بلّغ رسول الله ﷺ، إذ ربى النفوس بالإيمان على العمل بطاعة الله ورسوله، ثم هداها إلى ما ينبغي الانتهاء عنه من الأفعال التي لا تصلح للإنسان، وحضها على الأعمال التي يتعين عليهم الإقبال عليها والانتفاع بها، وبعد رسول الله ﷺ ونيابة عنه، فإن هذه التربية هي مسئولية العلماء الذين ورثوا الأنبياء، وهي جوهر التبليغ الذي ليس مجرد إيصال الخبر بالدين.

قضينا من الوقت ما يكفي لبيان كل هذا وكررنا بيانه، وقلنا إن غاية الدين هي حماية الناس من شرور أنفسهم التي تتعرض لإغراء الشيطان، وشرور غيرهم التي لا تؤثر فيهم إلا إذا ضعف إيمانهم وانعدم حرصهم على موافقة مراد الله منهم.

قلت هذا ثم وجهت السؤال للحاضرين: هل قوي إيماننا بما سمعناه إلى الحد الذي يدفعنا إلى العمل وييسرنا لمتطلباته؟ وطلبت

[1] - الرعد: 12.

منهم أن يجيب بعضهم: فقال من قال وصدق: نستعين بالله ونسأله أن يوفقنا.

قلت لهم: الحمد لله على ذلك، في مثل هذا الوقت من الأسبوع المقبل، نتذاكر إن شاء الله في أنواع العمل الصالح التي ينصح بها الدين وما يوافقها من الأعمال التي تنتظرها منكم هذه القرية المباركة، ثم نتذاكر في ترتيب القيام بما ينبغي وفي وسائل العمل،وفي من سيسهر عليه منكم، أي من جماعة المسجد، وهي تشمل جميع من يحضر ومن يريد أن يتعاون على العمل. وأذكّركم بما سبق أن شرحناه من قول الرسول الأكرم عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[1] وقوله: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه "[2]. نريد أن يدور الإرشاد على إحياء هذه السبيل الني هي روح المنهج النبوي، وعسى أن يوفقكم الله، ولو على سبيل البداية، لأن الخير يبدأ قطرا ثم ينهمر، وإذا بدأ البعض في طريق الخير تيسر أن يتبعهم الآخرون، وعسى أن يذكر الناس من هو منكم سابق بالخيرات ويشكروه ويتخذوه مثالا يُحتذى.

في غد ذلك المجمع، دعوت عضو المجلس العلمي المحلي المكلف بمتابعة عملي في القرية وعمل السيدة المرشدة، وجاء يوم الخميس، واجتمعنا مع الأئمة ومعنا السيدة المرشدة والمؤذن، وعرضت عليهم

---

[1] - رواه مسلم، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم.

[2] - رواه مسلم، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ.

المقترح المتعلق بالمرور إلى انخراط سكان القرية في جوانب أساسية من العمل الصالح. وكان المقترح كما يلي:

1. استعراض مداخل المواعظ حول العمل الصالح، والتفاعل مع السكان بعرض هذه المواعظ على أحوال قريتهم، وتبيان ما ينبغي إصلاحه حسب الميادين والأولويات؛
2. استعراض الوسائل المادية للتنفيذ، وفتح الباب لاقتراحات السكان في ماعدا الزكاة التي هي من الأركان؛
3. استعراض الوسائل البشرية، وهي أساسا جماعة المسجد، وترك المبادرة للناس، ولكن بتوجيه من الأئمة الذين يعرفون الأشخاص، ولكن دون إغلاق الباب عن أي شخص يريد التطوع؛
4. الحرص على أن يكون جو التدخل في هذه المواضع بعيدا عن التردد والجدل القولي الذي لا ينتهي، بل يكون مبنيا على مشاعر الثقة والأخوة، وأن يكون الهدف هو الاستجابة للمطالب المعبر عنها في مختلف الأمور، وتقديم الاقتراح في أمور أخرى؛
5. أن يكون تقديم مداخل الإصلاح للسكان دفعة واحدة، والشروع في مباشرتها حسب الإمكان، لأن الأمور التي فيها مصالح إنما يأتي ترغيب الشارع فيها على سبيل التعاون في أمور معتادة وأخرى مبتكرة، ويتعين أن تتدرج مواضيع الوعظ موازية للعمل الميداني، لأن المهم هو ما رسخ في الصدور من طاقة الإيمان وهي وازع الخير الذي يأمر وينهى.

حمد العالم عضو المجلس العلمي المحلي هذا التصور وشكره الأئمة.

بنفس هذه المناسبة سأل العالم السيدة المرشدة عن منهجها فأمدته بورقة بيّنت فيها أن تدخلاتها مبرمجة بعد أن تم الاستئناس مع نساء القرية وكسب ثقتهن على ما يلي:

1. إبراز مكانة المرأة في الدين؛
2. إكرام الله المرأة بأن الحياة تتخلق في رحمها؛
3. إكرامها بالقوة النفسية والمادية التي بها تحمل وتضع وتربي في الأيام والليالي على امتداد السنين؛
4. إكرامها بالمودة التي يتنعم بها الرجل ويبذل في تحصيلها الغالي والنفيس؛
5. إكرامها بمكانة فاعلة في المجتمع البشري؛
6. التأكيد على ضرورة عناية المرأة بنفسها صحيا للاستجابة لما ينتظر منها من المسئوليات الجليلة تجاه الأسرة والمجتمع؛
7. التأكيد على ضرورة عنايتها بنفسها من حيث أخذ الزينة والبهجة؛
8. التأكيد على دورها في تربية الأولاد وأن تكون تربية على المسئولية لا تفسدها العاطفة الفياضة؛
9. التأكيد على ضرورة حرص المرأة على تربية الأولاد والبنات على النظام كقيمة مثلى في الحياة؛
10. وجوب نبذ المرأة استعمال العنف مع الأطفال؛
11. التأكيد على دورها في الاقتصاد وتجنب الإسراف والتبذير؛
12. الفوائد المادية والنفسية في حرص المرأة على إتقان تدبير شئون الأسرة وخدماتها؛
13. أهمية حرص المرأة على اختيار الرفيقات؛

14. أهمية حرص المرأة على حفظ اللسان وترك الغيبة والفضول العقيم؛
15. أهمية الاستعاذة بالله من الوساوس؛
16. أهمية دور المرأة في تقوية التدين داخل العائلة؛
17. أهمية دور المرأة في إعانة الرجل على فعل الخيرات؛
18. فوائد الاستماع للقرآن في البيت ودور المرأة في هذه العادة؛
19. أهمية حسن استعمال الهاتف ووسائل التواصل الاجتماعي والاستفادة الفضلى من شبكات المعلومات؛
20. أولى واجبات المرشدة تعليم النساء أركان الدين وفرائضه وسننه؛
21. أهمية تبصير المرأة بالأمور الخصوصية التي تهمها في الدين.

بارك السيد العالم برنامج السيدة المرشدة. حيث إن ما هو متوقع من العمل الصالح قد يتطلب تكاليف مادية ينبغي تدبيرها، التفت إليّ السيد العالم يحذرني من مشاكل جمع الأموال للإحسان، لأن للناس حساسية كبرى في هذا الباب الذي تحيط به الشبهات، إن هذه الحساسية قد بينها القرآن الكريم عندما فضح المغرضين بقوله تعالى : (وَمِنْهُم مَّنْ يَّلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ اعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ)[1]. فقلت له: سنحرص على ذلك إن شاء الله بإبعاد كل الشكوك والملابسات المتعلقة بمسألة جمع الأموال والتوسط فيه مستعينين بذوي المروءة والنيات الحسنة في هذا الباب.

قبل شهر ذكرت لي السيدة المرشدة أن من النساء اللائي يحضرن دروسها سيدة أصلها من جنوب ورزازات هي متزوجة بأحد الأجانب الذين يسكنون القرية، وهذا الزوج هو ابن عائلة نبيلة من إيطاليا،

[1] - التوبة: 58.

عشق المغرب وكانت له فيه سياحة فالتقى هذه السيدة وتزوجها، وهو يقول إن زواجه بها نعمة عظمى عليه من الله تعالى، هذه السيدة ألحت على السيدة المرشدة في أن تستضيفها في بيتها وتستضيفني معها.

أجبنا الدعوة، وكانت مباركة لأن الزوج شخصية اعتنقت الإسلام على يد زوجته، اسمه إلياس، وهو متشوف إلى معرفة المزيد عن الإسلام، له اطلاع واسع على المسالك الروحية للأديان الأخرى ولاسيما اليوڭا، يتأسف كثيرا لأن المسلمين في نظره لا يعرّفون بدينهم كما هو منتظر منهم. قلت له: " هل تقصيرهم في التعريف من جهة الأقوال أم من جهة الأفعال؟" فرأيت على وجهه الإحراج من السؤال، فقلت على التو: جئنا إلى هذه القرية لتذكير أهلها بارتباط العلم بالعمل في الإسلام.

قال: هذا ما فهمته من يامنة (اسم زوجته) التي تنقل إلي كل ما تقوله السيدة المرشدة وما يبلغها من كلامكم أنتم للرجال.

قال: أعتبر هذه القرية مثل محراب روحي بطبيعتها، وأرى بعض البراءة في أهلها الذين يشتغلون عندنا، وإن كنت لا أخالط السكان إلا نادرا، ومعنا من الأجانب المقيمين في القرية ما يزيد عن عشرة، فيهم بعض الموسرين، هذا بالإضافة إلى أصحاب الدور السياحية، ونحن نرغب في أن نقيم جلسة هنا بدارنا وتحضرها أنت والسيدة المرشدة وتحدثوننا عن مشروعكما في التوعية بالدين، فهذا التوجه هو بحق الرد المناسب على الجاهلين خارج بلاد الإسلام وعلى الغلاة والمتطرفين من بين المسلمين. وسيكون هؤلاء القاطنون سعداء إذا رأوا مظهركما الجميل واستمعوا لكلامكم عن السعي إلى نفع الناس بالدين، فهذه لغة يفهمها الناس على اختلاف الأديان.

قلت في نفسي: لقاء أهل هذا البيت فتح من الله مبين.

قامت السيدة يامنة وزوجها بتنظيم اللقاء في دارها بعد أسبوع واحد، وحضره القاطنون الآخرون إلا قاطنين كانا في سفر.

تعرف الحاضرون على مشروعنا في شرح الدين وأُعجبوا به وفرحوا وكأنهم المستفيدون، ولم يتوقعوا أن يرونا شابين يلبسان لباسا تقليديا أنيقا جميلا ويفهمان اللغة الأجنبية ويعرفان ما يجري في العالم من الكلام حول أزمات المعيشة وأزمات الأخلاق.

قالوا للسيد إلياس وزوجته في نهاية اللقاء: قولا للشابين أن يقترحا علينا الإسهام الذي يمكن أن نأتي به لتسير القرية في الدرب الذي يتصورانه، فبعضنا دأب على تقديم بعض المعونة، ولكن ذلك لا يغير الأحوال إلى ما يرضي.

وفي لقاءات موالية اقترحنا على السيد إلياس وزوجته أن ينظرا في إمكان قيام هؤلاء القاطنين الأجانب بتحسين حال السكن في القرية، وذلك ببناء قنوات الصرف الصحي وإقامة الميضاءات وربط دور الفقراء بالماء وبالكهرباء.

رد علينا السيد إلياس وزوجته بما يفيد الترحيب بالاقتراح، وقالا: نشرع في الدراسة؟ قلت: بارك الله فيكم، سأخبركم عندما نخبر السكان وننال موافقتهم. قمنا أنا والعالم المكلف والأئمة بتقديم مداخل العمل الصالح المطلوبة مباشرته في القرية، وذلك في جمع كبير عشية يوم سبت.

تكلّم العالم عضو المجلس العلمي المحلي فقال:

كانت جماعتكم منذ شهور مدعوة للعلم بشرطي الحياة الطيبة، وهما الإيمان والعمل الصالح، وقد علمتم مضمون الإيمان وهو الإقرار والالتزام مع الله تعالى باتباع ما أمر به، ورأيتم من خلال الكلام عن الصلاة وما هي أنواع الفحشاء والمنكر التي لا تناسب المصلي، وها أنتم

قد بلغتم إلى مرحلة توضيح جلية العمل الصالح، وأن من عمل صالحا عبد الله تعالى بعمله من جهة، وحيث إن لكل عمل صالح ثمرة عملية فإن صاحب العمل ينتفع بتلك الثمرة من جهة أخرى، وما تكاسل الناس في العبادة إلا لظنهم الخاطئ أنها لا تنفع في حياتهم، والحال أن فهم هذه الحكمة يجعلنا نحرص على إتيان الأعمال الصالحة لأن فيها خيري الدنيا والآخرة، ومن هذه الحكمة ما بيّنه الله تعالى لنا من شفقته بنا حيث ربط بين العبادة وبين أمر أساسي في الحياة يتمناه كل الناس ألا وهو الأمن، أمن الإنسان الذي هو نعمة من الله تتحقق بسعي الإنسان وتوفيق الله حيث قال تعالى: (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿3﴾ٱلذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ﴿4﴾وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ)[1]. فنفهم منه سُنّة الله في الحياة وأنه إذا انعدم الأمن تعذرت أو صعبت العبادة، فأهم العمل الصالح ما سعى الناس به إلى تأمين أنفسهم من أنواع الخوف وفي مقدمتها الخوف من الجوع. وإذا توثقت مشاعر الأخوة بينكم على مقتضيات الإيمان واستيقظت هممكم لمحاسبة النفوس، فإنكم إن شاء الله ستكونون مثال القرية الصالحة، والله تعالى يقول: (وَلَو اَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرىٰٓ ءَامَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَالاَرْضِ)[2].

بعد موعظة الأستاذ العالم قلت: جزى الله فضيلة الأستاذ، فقد ذكّرنا بقول الله تعالى في موضوع الأمن من الخوف، فنسائل أنفسنا عن أنواع الخوف التي يتعين أن نتعاون لنؤمّن منها جماعتنا، نشخصها وننظر في كيفية الأمن منها ووسائل ذلك، وهذا يعني أننا سنتحدث عنها في الخطب والمواعظ المقبلة، وحيث إن ذلك التأمين يدخل في العمل

[1] - قريش:3 – 5.

[2] - الأعراف: 95.

الصالح فإننا سنباشر تنزيلها في الميدان من خلال هذه الأعمال، وتتعلق على الإجمال بالأمن من الاحتياج إلى ضروريات الحياة التي هي الغذاء والمسكن والصحة وموارد العيش، وتتعلق قبل كل شيء بمعرفة الضروري من علم الدين، والتربية على الأخلاق والأمن من الشقاء العائلي ومن سائر التهلكات.

ومن أجل ذلك فنحن بحاجة إلى أن تتعاون جماعة المسجد في تصور المبادرات والمتابعات، فالقوة في إيماننا وأخوتنا والهدي إلى سبل النجاة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمن شاء أن يتطوع للعمل فليخبر إمام مسجده خلال أسبوع، وفي الجمع المقبل إن شاء الله نمر إلى مزيد من التوضيح في ما يتعلق بتدقيق أنواع العمل وبوسائل تحقيقه. والمقصود هو ألا يرتاح لنا بال حتى لا يبقى بيننا في القرية محتاج إلى الغذاء أو إلى ضرورة أساسية من ضرورات الحياة، ولا يبقى بيننا مريض أو يتيم أو عاجز أو معوق بدون إسعاف، ولا يبقى بيننا بيت إلا وبين زوجيه مودة ورحمة، ولا يكون بيننا أهل يشقون بإدمان ولدهم أو جنوحه، ولا عاطل يقدر على الشغل إلا دبرنا مسألته، ولا غارم يشقى بدينه إلا أدركناه. وقد رأينا مثالين عمليين في مسألة التشجيع على الزواج وفي مسألة محاربة المخدرات، المهم هو أن نبدأ باستثمار أخوتنا والاستجابة لكلام ربنا وسنة نبينا، وهو ما ذكرناه أو سنذكره في الخطب والمواعظ القابلة، وعلى الله قصد السبيل.

قضت القرية أيامها الموالية لذلك الجمع وهي في نوع من الغليان النفسي، بين الشك واليقين، بين الاندهاش والحيرة والتعجب والاستغراب والحماس والاستهزاء، لا يخفى على أحد في القرية أن فيها عددا ممن لا يملكون قوتهم، وعددا ممن يسكنون سكنا غير لائق، وكل الأمور التي تحتاج إلى الإصلاح والتغيير.

في الجمع الموالي، ولكي أقطع دابر عدد من التقولات التي كانت ترى أن هذه الأمور التي نتصور إدراكها مجتمعة لا تدرك إلا في الجنة، قمت بإخبارهم بأن القاطنين الأجانب في القرية، لما سمعوا بالسكان يريدون تغيير أحوال حياتهم إلى الحسن على أساس مشاعر من التآخي وانطلاقا من المسجد، اقترحوا أن يجهزوا دورهم بالميضاءات وبقنوات الصرف الصحي ويربطوا دور المحتاجين بالماء من بئر يحفرونها، وبالكهرباء من ألواح الطاقة الشمسية. قلت لهم: " من أراد أن يستفيد من هذا الخير فليسجل نفسه لدى إمام المسجد القريب منه، وسنطلب من بعض ذوي المستوى العلمي من شباب القرية أن يعين المهندس الذي سيكلفه القاطنون. وأجل التسجيل أسبوعان ".

اندهش الناس لما سمعوا وقال بعضهم: "من هذه سنرى ماذا يمكن أن يكون مما يتصوره الأئمة (يسمونهم الطّلْبة)، بينما استبشر جلهم ورأوا أن وعد الله بهذه الحياة الطيبة حق بالشرط الذي اشترطه الله وهو سعي الناس :(وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَـٰنِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ﴿38﴾وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿39﴾ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلأَوْفَىٰ)[1].

الخطبة الأولى

ركز الخطيب في خطبة اتفقنا عليها على بيان أن العمل الصالح الذي هو الشرط الثاني للحياة الطيبة، بعد الإيمان، منه ما هو منوط بالأفراد ومنه ما هو منوط بالجماعة في مختلف مستوياتها، كما أن منه ما هو لصالح النفس وما هو لصالح الغير، مع ما يوجد من الارتباط الشديد بين أثر عمل الفرد على حياة الجماعة وأثر توجهات الجماعة واختياراتها على حياة الفرد. ولذلك فلا يظن أحد أن عمله الفاسد لا

[1] - النجم 39-40.

يؤثر سلبا على الجماعة، ولا يظن أن عمله الطيب لا يفيد الجماعة، ولذلك قال الله تعالى: (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ)[1].

الخطبة الثانية: إيتاء الزكاة

قال الخطيب: بعد أن بدأنا بالركن الأول في الدين وهو الشهادة بالإيمان بالله ربا، وتوحيد العبودية له سبحانه، وشرحنا ما هو الإيمان وما هي مقتضياته لبناء شخصية المؤمن القوي، وبعد أن بدأنا نذوق حلاوة هذا الإيمان، وبعد أن رأينا الركن الثاني وهو الصلاة وأن ثمرتها العظيمة أن تنهى مقيمها عن الفحشاء والمنكر، ورأينا أن من تلك الفحشاء وذلك المنكر الكذب، وأذى الغير، والظلم، وأكل الحرام، والزنا، والإلقاء بالنفس إلى التهلكة، والإسراف في اللذات, والتبذير في المستهلكات، والغلو في العبادات، والتعصب للمعتقدات والانتماءات، والحرمان من الطيبات، نأتي إلى الركن الثالث في الإسلام وهو الزكاة.

الزكاة كما لا يخفى هي الركن الثالث في الإسلام، ومن أهميتها وخطورتها ما تكرر في القرآن الكريم من اقتران إقامة الصلاة بإيتاء الزكاة، على أن إقامة الصلاة فيه منافع للشخص ومنافع للجماعة كما رأينا من خلال تقوية النفس حتى تنتهي عن الفحشاء والمنكر الذي فيه ضرر للنفس وللغير. لأن المؤمن عضو في الجماعة، ينفعها ما ينفعه ويضرها ما يضره، كما ذكرنا غير ما مرة في كلامنا، أما الزكاة ففيها نفع الغير أولا، ولكنها تنفع دافعها أيضا، لأن الله تعالى يخلص معطي الزكاة من مرض الشح بدفعها، مصداقا لقوله تعالى: (خُذ مِنَ اَمْوَٰلِهِمْ

[1] - المائدة: 3.

صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا)[1] . كما تنفع الفرد لأن الزكاة تسهم في أمن الجماعة من الخوف والجوع، والمؤمن الفرد إنما يسعد بالحياة في جماعة آمنة، ويجري التعبير عن هذا المعنى في العصر الحاضر عند الكلام عن شروط السلم الاجتماعي بتقاسم الخيرات العامة وتجنب التفاوت الفادح.

عن ابن عباس ﷺ: أن النبي ﷺ بعث معاذا ﷺ إلى اليمن، فقال: "ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم"[2].

ولا شك أن أهل هذه القرية يعطون بعض الزكاة، لا سيما في الماضي، ولا شك أيضا أن العمل الصالح في إطار الدين يقتضي أن يكون أداء الزكاة أداء منضبطا بالشرع تاما، سواء فيما يتعلق بالأموال التي هي أوعية للزكاة، أو في ما يخص النصاب والمقدار الواجب فيه، أو في ما يخص المدة التي تجب فيها، أو الجهات التي ينبغي أن تصرف إليها.

وقد وضع المجلس العلمي الأعلى ورقة مرجعية مستندة إلى النصوص الشرعية والاجتهادات الفقهية سنذكر منها ما نحن إليه بحاجة في قريتنا.

لقد علمتُ من السادة الأئمة بخصوص الزكاة أمورا مفيدة ضرورية منها:

1. أن بعض الناس تراخوا في إخراج الزكاة عامة؛

---

[1] - التوبة: 104.

[2] - رواه البخاري في صحيحه، باب وجوب الزكاة.

2. أن عددا من الأموال لا يُخرج أصحابها زكاتها لأن الناس لم يألفوا الزكاة إلا في الفلاحة والماشية؛
3. أن العلم بالمقادير والكيفيات ووجوه الصرف ضعيف في الجماعة؛
4. أن أثر الزكاة لا يُرى في معالجة الفقر وأنواع الاحتياج الموجودة في القرية.

تبين أن الأموال التي تروج في القرية حاليا، وينبغي أن يحرص أصحابها على إخراج زكاتها، هي على العموم:

1. حرث الحبوب، بعضها بالسقي وبعضها في البور، وكان الناس يعطون عشرها للمساكين، وقد تراجعت زراعتها، ومن أراد أن يعرف ما يجب عليه فيها ومتى يجب فليسأل الأئمة؛
2. الخُضَر، إذا كانت للبيع وبالمردود الذي يحدده الفقهاء؛ ولم تكن الزكاة في هذا النوع من الزراعة معروفة في القرية لأنها كانت في حدود الاستهلاك الذاتي أو المشاركة بالمجان، ولم تكن موجهة إلى السوق من قبل؛
3. ثمار الأشجار، وكان المعروف منها الزيتون، وقلما كانت تخرج منها الزكاة وإن كانت مهمة؛ واستجدت أشجار مثمرة أخرى تأتي بأموال مهمة مثل التفاح والخوخ والبرقوق؛
4. المواشي، تراجعت تربيتها، وإن كانت بعض القطعان ما زالت تزيد عن النصاب؛ وقد تراجع إخراج الزكاة منها؛
5. تربية دواجن جديدة بطرق عصرية، وتدور فيها أموال مهمة؛
6. التجارة، من بقالة وغيرها، ولم يكن معتادا فيها إخراج الزكاة؛

7. الصناعات المختلفة، إذا كانت تأتي منها الأموال التي يجب عليها أداء الزكاة؛
8. الخدمات المختلفة، ومنها الأجور التي أصبحت بالنسبة لبعض الفئات بالقدر الذي يجب إخراج الزكاة عليها سنويا؛ ولم يعتد الناس إخراج الزكاة عليها؛
9. المعادن، وتدر بالنسبة لبعض الناس أموالا تزيد عن النصاب.

بعد هذا وضحت للناس أنه يمكن لكل من أراد أن يؤدي هذا الفرض أن يسأل الأئمة عن التفاصيل، فالأمر يتعلق بيقظة ضمير المؤمن في مسألة أساسية في الدين، علما بأن المقادير تتراوح عادة بين عشر المال ونصف العشر وربعه. وأهل القرية المستحقون هم قبل غيرهم الفقراء والمساكين.

تبين لنا أن هذا الأمر يتطلب من الجماعة أن تعين من يقوم على جمع الزكاة وتوزيعها، كما هو منصوص عليه في القرآن الكريم بقوله تعالى:
(وَالْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا)[1]. ويجوز أن يكون لهم نصيب منصوص عليه شرعا، ومن المناسب بالنسبة للقرية أن يكون على رأس هؤلاء أئمة المساجد وبعض الموسرين ليكون الجمع والتوزيع بمقتضى ما يرونه، على أن تتعاون على هذا الأمر جماعة المسجد وتدبره بما لا يترك مجالا للريبة والخلاف، كما يمكن أن يصرفها بعض الناس مباشرة لمستحقين إذا فضلوا ذلك، على أن التنظيم في التوزيع أولى.

اتفقتُ مع الأئمة على أن نشرح الزكاة بما قلناه ونزيد ونقول للجماعة في كل الخطب والمواعظ وفي اللقاءات والزيارات للأفراد

[1] - التوبة: 60.

والضيافات إن أمر الزكاة هو باب التطهير الروحي للقرية وفتح جميع أبواب البركات والخيرات عليها، وبأننا سنتوقف عندها وننصح الناس في أمرها ونتوسل إليهم ونرغّبهم حتى نرى ما يكون، ولا نغادرها إلى غيرها قبل الاطمئنان إلى ما سيكون فيها ولو على سبيل التدريج.

تكونت على صعيد جماعة المسجد مجموعة صغيرة للتوسل، بغير إحراج، لمن يظن أن أموالهم في أي نوع من الأنواع السابقة تبلغ النصاب، وتم الشرح للناس على أن كل صاحب مال يحدد الوقت الذي يكون قد مرت عليه سنة ليخرج ما عليه، ولو حددت القرية كلها موعدا أو موعدين في العام لكان ذلك أنسب للتدبير.

وتكونت مجموعة أخرى لتنظر في من يستحقون الزكاة في القرية، وفي مقدمة المستحقين العجزة والأرامل وذوو الأيتام وكل الذين لا يجدون ما ينفقون.

أخذتُ الوعد من الأئمة ومن بعض أعيان القرية على أن يجعلوا أمر الزكاة أمرهم الديني الأول، نظرا لما فيه من المنافع من جهة، ومن البركات من جهة أخرى، وأن يتحروا في توزيعها وأن لا يلتفتوا إلى من يلمزونهم أو يشككون في عملهم، لأن الشيطان لا يحب أن يتطهر الناس ولا يعجبه أن يستقيم أمر هذا الدين.

بعد شهر من التداول في القرية، حول الزكاة، ظهر الاهتمام من ذوي اليسار النسبي وممن دونهم ومن ذوي الحاجة على السواء، وبدأ يلوح على الملامح ما يشبه هذا السؤال: أين كنا من أمر الدين؟ وقال آخرون: من السهل أن تدخل وتخرج من المسجد وتظن نفسك ناجيا وصالحا وأنت لا تؤدي الزكاة، ولكن الذي أثلج الصدر هو أن خمسة من الشباب ممن لهم مستوى التعليم الثانوي أو حتى الجامعي من سكان القرية قد تجاوبوا مع مطلبي لهم بأخذ هذا الأمر من جهة الإحصاء

التقديري دون إبداء فضول زائد، وكانوا يجتمعون عندي في الدار، وبعضهم ربطت زوجته علاقة طيبة مع السيدة المرشدة، قال هؤلاء بعد تحريات ضرورية:

1. إن مجموع ما يمكن أن يخرج من الزكاة من مختلف الأموال في القرية قد يصل إلى ضعف الحاجة الضرورية القصوى للمحتاجين، أي الاقتصار على الضروري من الغذاء واللباس، بحيث يمكن صرف النصف الآخر على حاجات ضرورية زائدة عن العادة؛
2. أنه بإمكان إقناع شخص أو شخصين ممن عليهم إخراج الزكاة بالتعهد للجماعة في المسجد بتقديم زكاته لبيت معين أو عدد من بيوت المستحقين؛
3. أن هذا التوزيع والتعهد يكون بالمواصلة مع المجموعة المكلفة على صعيد المسجد؛

سعدنا بما وقع التوصل إليه، وقد توفرت لدينا الآن لائحة بأسماء المعنيين تأكيدا بالزكاة، لأن مداخيلهم المقدرة لا تخفى، وكذلك لائحة بأسماء المستحقين؛ وقد قام الشباب بهذا التقدير على أساس ما هو بيّن ظاهر:

- أصحاب المداخيل من الأشجار المثمرة لاسيما الزيتون والتفاح وما في حكمه؛
- أصحاب المداخيل من تربية الدواجن الحديثة؛
- أصحاب المداخل من المعادن.
- تبين أن أدنى ما يمكن أن يتحصل من زكاة هؤلاء، وعددهم سبعة هو مائة وخمسون ألف درهم، وأنها تسد الحاجة الضرورية الدنيا لخمس عشرة عائلة هي الأكثر احتياجا.

- أما أصحاب التجارات وأصحاب الخدمات، وحيث إنهم لم يتعودوا على إخراج الزكاة، فقد ظهر أنهم بحاجة إلى الوقت للاقتناع ولمعرفة نصابهم والاستعداد للأداء، وهذا لم يمنع قلة منهم من الإلحاح في السؤال وإظهار الاستعداد. وتقدير ما يمكن أن يأتي من هؤلاء قد لا يقل عن القدر المذكور، لأن تقدير العمال ذوي الأجور البالغة النصاب وحدهم يكون 15000 درهما على الأقل،في الشهر للعامل الواحد ، أي 180000درهما للواحد في العام، أي ما يقرب من 200000 درهما إذا كانوا مائة. وزادوا فقالوا: ثلاثة من أصحاب سيارات الطاكسي وشاحنتين يمكن أن يكون قدر زكاتهم ما لا يقل عن المبلغ المذكور.

في آخر الشهر الذي خصصناه للكلام مع الجماعة في شأن تدبير الزكاة، قال الخطيب:

إن الله وفّق هذه البلدة لتبدأ استكمال حياتها بأركان الدين؛

إن العمل السديد بأركان الدين غايته العمل الصالح الذي تنتفع به البلاد والعباد؛

السر كله في الإيمان بوعد الله والرجاء في هدايته والعمل بما أمر والانتهاء عما نهى عنه؛

هكذا ينبغي أن نفهم الدين ونعيشه وننظر إليه على أن فيه الحل لكل مشاكلنا دون حرج ولا مشقة؛

لا يجوز أن ننظر إلى الفقراء، وهم يعانون من الخصاصة، وهم إخوتنا وجيراننا، ولا نفعل من أجلهم شيئا، ونظن أننا غير مسئولين عنهم في مشاطرتهم ما عندنا؛

لا يجوز أن ننظر إلى الفقراء كما لو أن الله أراد لهم أن يكونوا كذلك؛

لا بد أن نطمئن إلى أنه لن يمر وقت قصير حتى يكون كل مكلف مسئول في هذه القرية متوجها إلى ربه وهو يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة؛

لابد أن نضمن استمرار العطاء للمحتاجين، وإذا وفّق الله فستكون زكاتنا كافية لحاجتنا الضرورية ويفيض عنها ما يمكن استثماره في بعض المشاريع المدرة للدخل، على حسب ما اجتهد فيه الفقهاء من جواز هذا الاستثمار إذا أمكن ودعت إليه الحاجة؛

إن المبادرة إلى الزكاة يجب أن تكون كالمبادرة إلى الصلاة، وذلك بأن يشعر المعني بها أن عليه أن يؤديها كما يجب أن تؤدى الصلاة، وفي وقتها وعلى أنها حق الله عليه.

تصوروا غيركم من أهل القرى الأخرى وقد سمعوا بكم وما أنتم عليه في هذه النهضة للقيام بركن أساسي في الدين، وتصوروا أن يقوم بعضهم بمحاسبة نفسه والمبادرة إلى هذا الواجب، كم يكون عليكم فيه من حسن الذكر وأجر السبق والتذكير والقدوة؛

إن هذه القرية بحول الله لن تعود إلى غفلتها عن الحرص على الزكاة.

الخطبة الثالثة: الإنفاق عامة من غير الزكاة

اتفقتُ مع الخطيب على أن يتحدث في خطبته إلى الناس عن الإنفاق عامة، فقال:

إن الله تعالى يتجلى على الناس باسمه " المعطي "، يريد منهم أن يكونوا معطين على مثاله، ورأى بعض الحكماء أن الزكاة المفروضة هي دعوة إلى العطاء الذي لا يقف عند مقدارها، فالله تعالى يعطي للجميع من غير حساب ويبين للمنفقين أنهم مؤهلون لفضل الإنفاق وهو عظيم في حين أن لا ضياع لما ينفق المنفقون، فالله كتب أنه سيخلف للمنفقين

كل ما أنفقوا، فقال تعالى: (وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ)[1].

وبيّن آداب الإنفاق ومنها أن لا يتبعه انتظار العرفان من الناس وهو المن فقال: (ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[2].

وبيّن سمة أخرى لعمل الإنفاق وهي أن يكون باعتدال، فقال: (وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا)[3]. وأكد سبحانه أن الله الغني لا يحتاج إلى العبد أن ينفق، لأن المنفق إنما ينفع نفسه، فقال: (وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ)[4].

واشترط البِر وهو الفضل الكبير بالإنفاق، لأن المنفق يؤثر الله على المال وهو محب له، فقال: (لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ)[5].

وقال:(وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ)[6].

واشترط أن يكون المال الذي يكون منه الإنفاق حلالا طيبا: فقال: (وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ)[7].

---

[1] - سبأ: 39.

[2] - البقرة: 261.

[3] - الفرقان 67.

[4] - البقرة: 271.

[5] - آل عمران: 91.

[6] - الأنفال: 61.

[7] - البقرة:266.

وحض خصوصا ذوي السعة على الإنفاق، فقال: (ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ)[1]. ولكن السنة حضت على الإنفاق من إقتار ، أي من القليل، كذلك؛ وهو ما حث عليه القرآن في قوله تعالى: (وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ)[2].

وأكد على الإنفاق عامة، وأن يكون ذلك سرا لما فيه قصد وجه الله وعلانية ليتنافس الناس في الإنفاق، فقال تعالى: (قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً)[3].

وجعل الإنفاق ثمرة للإيمان وحسن إقامة الصلاة، فقال: (ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ)[4].

ولبيان أن الإنفاق في سبيل الله لا يخضع لحساب التجارة بين الناس قال: (مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ)[5].

وأراد أن يتحرر المرء في الإنفاق من الأحوال والمكاره التي تضعفه فقال: (ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ)[6].

---

[1] - الطلاق: 7.

[2] - الطلاق: 7. ومعنى قُدِر: ضيق.

[3] - إبراهيم: 33.

[4] - البقرة: 2.

[5] - البقرة: 260.

[6] - آل عمران: 134.

ووصف المؤمنين الفقراء وهم مدركون لمزايا الإنفاق وكيف يتحرقون على أنهم لا يستطيعون الإنفاق وهم ولا شك يعاملهم الله على قدر نواياهم فقال:

(تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَناً ٱلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ)[1].

ولا شك أن الإنفاق لا يخص الأفراد وحدهم، لأنه أمر ينبغي أن يأتي في عظيم اهتمامات الجماعة وأسبقياتها، وقد ورد في سورة الشورى بما يوحي أن الجماعة السياسية التي تقوم على الشورى حري بها أن تولي اهتمامها لتنظيم الإنفاق، فقال: (وَأَمْرُهُمْ شُورىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ)[2].

ولعل ما يقوي المعنى السابق ما ورد من الوعيد الموجه لمن يسلكون سياسة الكنز المنافية للتداول والنماء الاقتصادي، فقال: (وَالذِين يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ ٱلِيمٍ)[3].

وجاء تحذير في نفس التوجيه في قوله: (وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ)[4].

وأصرح مما ذكر في باب الإنفاق كنظام اجتماعي قوله تعالى:

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ لِلذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُ)[5].

---

[1] - التوبة: 93.

[2] - الشورى: 35.

[3] - التوبة: 34.

[4] - البقرة: 194.

[5] - يس:47.

وما التردد في الإنفاق إلا بسبب نسيان الحقيقة الكبرى وهي أن الإنسان وما يرزق ويكسب كله وما في الأرض إلا من باب الاستخلاف على أرزاق ليست له على الحقيقة، ولذلك قال سبحانه:

(ءَامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ)[1].

فالإنفاق قيمة روحانية وخلق رباني كالصبر والصدق والذكر والاستغفار، كما يفهم من قوله تعالى: (ٱلصَّٰبِرِينَ وَالصَّٰدِقِينَ وَالْقَٰنِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ)[2].

لقد فرض الله الزكاة على الأموال وبين المقادير والأنصبة ووجوه الإنفاق، وهو سبحانه تعالى بهذا الفرض الإجباري إنما أراد ألا يكون بين الناس من لا يجدون ما ينفقون، ولذلك أمر بالإنفاق في سبل كثيرة غير الزكاة، واستنبط العلماء من التأكيد على ذلك أن في الأموال حقا لله غير الزكاة؛

من يتدبر القرآن يجد أن الدين كله يدور على الإنفاق حتى إن الله تفضل بحبه على المنفقين؛

وسر الإنفاق بالنسبة للمنفق أن يكون له اليقين في قوله تعالى: (وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ)[3].

والنص على "من شيء " يعني كل ما يملكه المؤمن، والمؤمن قد لا يملك المال ولكنه يملك أشياء كثيرة منها الكلمة الطيبة وبذل السلام للعالم والنصيحة الغالية والعلم النافع وبذل المعونة ومد يد المساعدة.

---

[1] - الحديد: 7.

[2] - آل عمران: 17.

[3] - سبأ: 39.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره، وولدا صالحا تركه، ومصحفا ورثه، أو مسجدا بناه، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو نهرا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، تلحقه من بعد موته[1]».

الخطبة الرابعة: السعي وفق الأسباب والسنن ونبذ التواكل

عندما يتعلق الأمر بالعمل لابد من التنبه إلى اختلاف مواقف الأمم منه باختلاف الثقافات، فهنالك أمم أكثر نشاطا من غيرها في الإقبال على العمل والمبادرة إليه والقدرة على مواصلته والصبر عليه، وهنالك أمم أخرى لا تجعل من العمل قيمة إنسانية كبرى، فتجد أهلها ميالين إلى البطالة والخمول والتقاعس، وبالنسبة للمؤمنين، ومهما تكن عوائد ثقافتهم السابقة فإن العمل بمقتضى الدين قيمة عليا ينبغي تمثلها وإدخالها في العادات إذا كانت هذه العادات غير محفزة في أصلها، فالعمل بمقاصده الربانية مورد بركة ومطية عبادة سواء كان للشخص أو لغيره، لذلك يؤكد الدين على أهمية العمل في حياة الفرد والجماعة، والتنبيه لازم لأن بعض المتدينين لا يميزون بين التوكل على الله في العمل وبين التواكل والنكوص وترك الواجبات والأسباب والاستسلام إلى الأوهام، فبالعمل تتم الصالحات ويُبذل المعروف وتُتقى الآفات وتتحقق المكرمات. وهو سبيل الحياة الطيبة، ولكي تكون للعمل الثمرة المرجوة لابد أن يتم مستندا إلى الإيمان ومقتضياته، لأن الإيمان كما رأينا هو الذي يعطي للحياة معناها بربطها بخالقها الذي أراد لها أن تكون لائقة بمقام تكريم الإنسان، فالعمل

[1] - رواه ابن ماجه في سننه، باب ثواب معلم الناس الخير. وابن خزيمة في صحيحه (ح: 2490).

شرط لنفع النفس ونفع الغير وجلب المصالح ودرء المفاسد، فللعمل إطار وله غاية موعودة وعدا إلهيا محققا، وذلك ما ندركه من قوله تعالى:

(مَن عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ انثىٰ وَهُوَ مُومِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً)[1]. وقوله تعالى: (مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحاً فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ)[2].

والعمل سعي تتحقق به سعادة الدنيا والآخرة، ولا مجال للوهم بأن هناك شيئا ينتظر تحقيقه بلا سعي، وهو ما نص عليه القرآن في قوله تعالى:

(وَمَنْ أَرَادَ ٱلآخِرَةَ وَسَعىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُومِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً)[3].

وقال أيضا : (مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُوتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ)[4].

والله تعالى شكور عدل يعطي لمن سعى مقابل سعيه، والسعي كل مبادرة قاصدة من ورائها طلب الوصول إلى ما يرضي، قال تعالى:

(فَمَن يَّعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُومِنٌ فَلاَ كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ)[5].

وجماع حكم الدين في العمل قوله تعالى: (وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَالْمُومِنُونَ)[1].

---

[1] - النحل: 97.

[2] - فصلت: 45.

[3] - الإسراء: 19.

[4] - الشورى: 18.

[5] - الأنبياء: 93.

إن من مقتضيات الإيمان أن يعمل المؤمن صالحا وأن يعمل شاكرا لأنعم الله وأن يستحضر مراقبة الله له في عمله وجزاءه عليه، وبهذا يختلف موقع المؤمن وموقفه واستعداده ونشاطه عن غير المؤمن الذي لا يرى في العمل إلا تسخيرا مقترنا بالإكراه والمشقة. وإذا عرفنا أن حياة الإنسان كأفراد وكجماعات وكأنظمة تدور كلها على العمل وتنظيمه فهما أصالة التوجيه القرآني في هذا الباب وما يمكن أن يمثله هذا التوجيه بالنسبة للنموذج الذي يفترض أن يخرج به المسلمون للناس.

عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "خير الكسب، كسب يد العامل إذا نصح"[2].

الخطبة الخامسة: التعاون على البروالتقوى

قال الله تعالى: (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)[3].

بعد التنبيه في خطبة سابقة إلى أن الدين يدعو إلى العمل كقيمة عليا، وجب التنبيه إلى حقيقة أخرى يتوقف على فهمها وتبنيها حسن التدين، ألا وهي:" التعاون ".

فالمخاطب بها في الآية المذكورة هم جماعة المؤمنين، والمراد منهم العمل المشترك، وهو كل عمل يدخل في البر والتقوى ويتطلب بالضرورة الإعانة لأن الفرد وحده لا يقوم به، فمن الأعمال ما هو ضروري للأفراد والجماعات، ولكن القيام به لا يتأتى للفرد الواحد، ثم إن الدين نفسه يتطلب التعاون لأن الدين كله بِرّ أي إحسان وتقوى أي إحسان إلى

---

[1] - التوبة: 106.

[2] - رواه أحمد في المسند (مسند أبي هريرة)، والبيهقي في الكبرى، باب التوكل على الله.

[3] - المائدة: 3.

النفس وإلى الغير، وإطاره النفسي هو التقوى وهي بدورها تحتاج إلى التعاون، لأن المتدينين أقوياء بعضهم ببعض، وهكذا فأمور الدين وأمور الدنيا هي بحاجة إلى التعاون على حد سواء، فالإنسان خلق ضعيفا وضعفه يزداد أمام تحديات الدنيا كما يزداد أمام تكاليف الدين التي هي التزامات يتوقف عليها فلاحه وحمايته، لذلك وجب التعاون في كل الأمور، فالدين أمر جماعي بهذا الاعتبار، ولذلك فهو لا يستقيم بسلوك فردي أناني؛ ثم إن الله عز و وجل بمقتضى ما يخاطبه من نوازع الإنسان يدرك أن هذه النوازع تذهب ببعض الجماعات إلى الميل إلى التعاون، لا على البر والتقوى، بل التعاون على الإثم والعدوان، ومن هذا التعاون تكونت الأحلاف بين الأمم الطاغية وجرّت على الناس حروبا مدمرة مهلكة كاسحة، قال الله تعالى: (وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلَكِهِم مَّوْعِداً)[1].

فبذل الجهد مطلوب في إعمال التعاون، لأن الإنسان يبذل فيه وسعه ولكنه يظل مستحضرا أنه يجاب على وفق ما كتب له من الاعتماد على الله في كل شيء اعتماد حقيقة مع المبادرة واتخاذ الأسباب من باب التشرع. قال تعالى:

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [2]. وهكذا فتعاوننا امتداد لاستعانتنا بالله.

وقد بيّن لنا سبحانه كيفية الاستمداد من الله في الأمور بما يناسبنا ونقدر عليه من لزوم الدعاء من جهة، وكيف نتحلى بالصبر من جهة أخرى فقال:

(وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ) (البقرة 45)[1] ؛

---

[1] - الكهف: 58.

[2] - الفاتحة: 4.

ولكي لا يبقى التوجيه الرباني مجرد أمر لا موقع له في حياة الناس وجب التنبه إلى أن المطلوب إخراج هذه الفضيلة وإعمالها في الحياة اليومية للناس، فوجب على الجماعة أن تنظر في ما فيه خير لها من الشئون الدائمة والمؤقتة وتُعمل فيها هذا التوجيه إلى التعاون، وهي أمور تدرك بالعقل بديهة لما لها بجلب المصالح ودرء المفاسد من ارتباط.

فالتعاون شعار حاضر في حياة الجماعات في يومنا هذا، وذلك من جملة النوازع الخيرة التي تقوم من حيث المبدأ على هدي الدين، غير أن التعاون الذي يريده الدين مشروط بموضوعه، أي الهدف، وبإطاره المعنوي في التقوى. وبمجرد أن يكون التعاون على خير مشترك لائق بحياة الناس فهو في صميم التدين إذا كان مشمولا بالقصد الشرعي وهو الخير عامة، لذلك وجب دمج كل مبادرات الناس في هذا المنوال وحمد كل المبادرات.

ومن مقتضيات التعاون على البر والتقوى أن يدخل في هذا التعاون مواجهة الذين يتعاونون على الإثم والعدوان، لأنهم يعملون على الإفساد في الأرض من جهة، ولأنهم غير مأمونين على الذين يتعاونون على البر والتقوى من جهة أخرى. والمطلوب الحماية منهم إذا لم يكن في الوسع كف أيديهم العادية، وتدل شواهد التاريخ على وجود هذه الأحلاف المتعاونة على الإثم والعدوان في كل زمان ومكان ولا يليق بالمؤمنين الحياد إزاءها.

---

[1] - البقرة: 44.

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث"[1].

الخطبة السادسة: التعلم والتعليم

يقدر المؤمن العلم ويحرص على تحصيله إذا علم أن كل علم أصله من علم الله سبحانه وتعالى، ومن الاستعداد الذي وضعه تفضلا في الإنسان ليتعلم، فقال:

(وَعَلَّم ءَادَمَ ٱلأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ ان كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) (البقرة 31).[2]

ومن ثمرات علمه سبحانه ما هو مقترن بالعلم من أسباب الهداية بالوحي، وآخره وحي القرآن الكريم فقال: (ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿1﴾خَلَقَ ٱلإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ)[3].

وجعل سبحانه القراءة والكتابة أبوابا للتعلم والتعليم فقال: (ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلذِى خَلَقَ ﴿1﴾خَلَقَ ٱلإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿2﴾ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ ﴿3﴾ٱلذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿4﴾عَلَّمَ ٱلإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)[4].

وجعل تبليغ أمره منوطا بالرسل، وفصل مقاصد تعليمهم الناس في المهام الأربع، وهي تلاوة الآيات وخلق الاستعداد للاتباع لأن العلم في الدين غايته قبل كل شيء إنقاذ الإنسان من جهله وأنانيته وشحه ثم

---

[1] - رواه الترمذي، باب ما جاء في الحسد، وقال: حديث حسن صحيح.

[2] - البقرة: 30.

[3] - الرحمن: 1-2.

[4] - العلق:1-5.

تفاصيل تلك الهداية في تعليم الكتاب والحكمة فقال: (هُو ٱلذِے بَعَثَ فِے ٱلاُمِّيِّيںَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَإِں كَانُواْ مِں قَبْلُ لَفِے ضَلَـٰلٍ مُّبِيںٍ)[1] . على أن العلم المقترن بالهداية، أي السلوك السوي في حياةَ الإنسَان، علم تمهد له التقوى، فمن طلب هذا العلم توسل إليه بلزوم التقوى ليوسا، قال تعالى: (وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ)[2].

ويعتقد المؤمن أن من علم الله ما اختص به بعض عباده كما يفهم من قصة النبي موسى مع العبد الذي آتاه الله من لدنه علما، فقال تعالى على لسان موسى عليه السلام : (هَلَ اَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَں تُعَلِّمَںِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً)[3].

على أن عموم العلم المطلوب يشمل الصنائع النافعة كذلك، وقد وقعت الإشارة في القرآن الكريم إلى هذا النوع من التعليم التطبيقي بقوله تعالى: (وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُم مِّںۢ بَأْسِكُمْ)[4].

ورفع سبحانه شأن العلماء إذ ذكرهم في مقام الذين يخشونه، ويفهم من قوله تعالى في نفس الوقت أن العلم الذي تكون ثمرته خشية الله هو العلم بالنسبة للمؤمن، ويدخل فيه العلم المستعمل لنفع عباد الله، قال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِںْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ)[5].

---

[1] - الجمعة:2.

[2] - البقرة: 281.

[3] - الكهف: 65.

[4] - الأنبياء: 79.

[5] - فاطر: 28.

عن قيس بن كثير، قال: قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء، وهو بدمشق فقال: ما أقدمك يا أخي؟ فقال: حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ، قال: أما جئت لحاجة؟ قال: لا، قال: أما قدمت لتجارة؟ قال: لا، قال: ما جئت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقا يبتغي فيه علما، سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد، كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر"[1].

خطبة ثانية في موضوع العلم والتعلم

ذكرنا في الخطبة السابقة فضل العلم وأصله في علم الله والصفات المقترنة به في الخشية والتقوى، وذلك استنادا إلى عدد من آي القرآن الكريم، ونورد في هذه الخطبة بعض ما جاء في الحديث النبوي الشريف.

قال رسول الله ﷺ: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين "[2] ذلك أن فقه الدين هو المؤسس للإيمان الذي يؤسس بدوره لفهم معنى الحياة، ولا معنى لعلم في حياة ليس لها معنى، أي لا يعرف صاحبها لماذا هو فيها. وحيث إن مذاهب العلم شتى وأغراضه متنوعة فمن الطبيعي أن العلم الذي لا ينفع لا مكان له في حياة قاصدة ذات معنى، وقد جربت الإنسانية في تاريخها ما أكد لها أن بعض العلم ليس عديم النفع وكفى،

[1] - رواه الترمذي، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، وأبو داود ، باب الحث على طلب العلم، وابن ماجه، باب فضل العلماء.

[2] - رواه البخاري، باب العلم قبل القول والعمل، ومسلم، باب في النهي عن المسألة.

بل هو قد يكون شديد الإضرار. ورد في الحديث المروي في صحيح ابن حبان[1] عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "سلوا الله علما نافعا وتعوذوا بالله من علم لا ينفع".

ومن تعظيم السنة لتعلم العلم أو تعليمه مماثلته بالجهاد في سبيل الله ما أخرجه ابن ماجه[2] عن أبي هريرة ﷺ من قوله ﷺ: "مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا، لَمْ يَأْتِهِ إِلَّا لِخَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ". ومن التحريض على طلب العلم ما رواه ابن ماجه[3] وغيره عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: "من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة... "، بل جعلت السنة العلم تعلما وتعليما في أسمى درجات العبادة، حيث جاء في تتمة حديث أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: "...وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب..." ، وكيف لا وقد قال ﷺ في هذا الحديث: " ...وإن العلماء ورثة الأنبياء " [4]، وكما انتفعت الأمة بالأنبياء فإنها تنتفع بورثتهم من العلماء، وما يزال هؤلاء العلماء ينتفعون بعلمهم حتى بعد مماتهم كما يعلم من حديث أبي هريرة ﷺ في صحيح مسلم[5] من قوله صلى الله عليه وسلم: " إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له".

---

[1] - الجزء:1/ 273.ط.مؤسسة الرسالة. سنة: 1988.

[2] - في باب فضل العلماء والحث على طلب العلم.

[3] - باب فضل العلماء والحث على طلب العلم.

[4] - نفسه.

[5] - في باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

خطبة ثالثة في موضوع العلم والتعليم والتعلم

حيث إن للعلم أهمية خاصة في حياة الإنسان فقد ارتأينا في هذه الخطبة أن نكرر ما تعلّمناه في الموضوع من شواهد القرآن والسنة وأن نستنتج منه ونزيد عليه، ذلك أن الله تعالى رفع شأن العلم والعلماء، وبنى دينه على العلم يطلبه المؤمن من المهد إلى اللحد، ورتب على تعلم العلم وتعليمه أجرا عظيما، وجعلت السنة هذا التعليم من الصدقة الجارية. اعتبر الإسلام التفاوت في العلم أمرا واقعا، فقال الله تعالى: (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)[1]، وإذا كان الحديث عن الراسخين في العلم يعني فئة مخصوصة، فإن السنة جعلت العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، مما يعني ضرورة اكتساب كل مسلم لثقافة عامة تؤهله لتلقي التبليغ والقيام بالتكاليف بشعور يستحضر مهمة الإنسان في الأرض في الأبعاد المختلفة التي تكلمنا عنها في ما قبل، فعلوم الصنائع للمعاش ضرورية، ولكن الأساس في بناء شخصية المؤمن كما رأينا هو مهمات النبوة في تبليغ القرآن وتفسيره بالسّنة والتربية على نبذ الأنانية وتعلم الفقه والحكمة، أي أن التعليم في الإسلام لا ينفصل عن التربية بمعنى تغيير الشخص في ذاته تغييرا على مقتضى مراد الله. فالعلم أساسي في الإسلام ولكنه علم للتغيير في النفوس في اتجاه طبعها بالخيرية والغيرية.

والإسلام، وهو يحض على العلم، جعله سبيلا للإيمان وأساسا لخشية الله تعالى، كما جعله وسيلة للمعاش بتعلم الصنائع العقلية واليدوية، وجعله طريقا للتفكر والتدبر، وخص بعض عباده المخلصين بعلم من لدنه وبيّن للإنسان ما يليق بحامل العلم من التواضع أمام علم

[1] - يوسف: 76.

الله تعالى حيث قال: (وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)[1] وجعل التفاوت في العلم تفاوتا في الأرزاق وقال: (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)[2].

ومن أهم ما وجه إليه الإسلام في موضوع العلم أن الغاية منه أمران أولهما الاهتداء إلى حقيقة الإيمان وثانيهما العمل النافع للنفس وللغير، وما عدا ذلك فمضيعة للوقت والجهد ومطية للضلال. ولذلك فالمؤمن يحرص على العلم من باب الواجب الديني، وليس من المقبول في عصرنا، وقد كثرت العلوم والمدارس ووسائل التعلم، أن يكون المسلمون متأخرين في سلم التعليم بين الأمم، لأن حرصهم على التعلم والتعليم وربطه بالإيمان هو الذي يؤهلهم ليكونوا مثالا لغيرهم، بينما يجعلهم التخلف في علوم الدنيا غير مؤهلين في نظر الغير للقدوة والإرشاد.

فواجب كل واحد من الآباء أن يحرص على تعليم ابنه أو بنته على السواء، وأن يحرص على نجاح الأبناء في الدراسة وأن لا يقبل انقطاعهم عنها بأي عذر من الأعذار، وأن يعتبر هذا الحرص عبادة محققة الأجر والنفع.

عن حميد بن عبد الرحمن، سمعت معاوية، خطيبا يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله"[3].

---

[1] - الإسراء:85.

[2] - يوسف: 76.

[3] - رواه البخاري في صحيحه، باب " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين".

الخطبة السابعة: أداء الحقوق والأمانات والوفاء بالعهود والعقود

وردت في القرآن الكريم أوامر وتوجيهات ربانية في موضوع هذا السلوك الذي ينسجم مع مقتضيات الإيمان ومع الالتزام في الصلاة ومع تأهيل الإنسان للمسئولية في العدل والسلام، وإن كان هذا الإنسان ظلوما جهولا، فإنه موضوع أداء الحقوق والأمانات والوفاء بالعهود والعقود؛ ذلك لأن الحياة تستوجب تعاملات لا تنفع إلا إذا كانت سليمة بمرجع أخلاقي مستمد من عدل الله ومما أراده للناس من الخير والطمأنينة، والأصل في هذه المرجعية قوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا ٱلأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَّحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلإِنسَـٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ جَهُولًا ظَلُوماً)[1].

وقوله: (فَإِنَ اَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ ٱلذِے اِوتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ)[2].

ورأفة من الله بعباده أمرهم بأمور تصلح لهم وتشيع السلامة في حياتهم وتقلل فيها أسباب الشقاء، منها أمر أداء الأمانات، وكرر ذلك بقوله : (اِنَّ ٱللَّهَ يَامُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلأَمَـٰنَتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا)[3]. ومن الغاية في هذه الرأفة أن ربط بين تعامل الناس بعضهم ببعض بالتعامل مع الله فحذر من المخالفة في هذا الباب لأن خيانة الأمانة خيانة لله فقال: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِيں ءَامَنُواْ لاَ تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)[4]. وعلى عكس ذلك مدح رعاية العهد

---

[1] - الأحزاب: 72.

[2] - البقرة: 282.

[3] - النساء: 58.

[4] - الأنفال: 27.

والأمانة فقال: (وَالذِين هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ)[1]. وقال: (ٱلذِين يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلاَ يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ)(الرعد 20). [2]وبيّن أن الله رقيب على هذه المعاملات فقال: (وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا)[3]ومدح الوفاء فقال: (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُواْ)[4]. وقال: (وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـَٰىَ فَارْهَبُونِ)[5]. وقال: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ)[6].

هذا هدي القرآن في أداء الأمانات والوفاء بالعهود والعقود. وفيه وعد ومدح لمن أوفى ووعيد لمن خان أو أخلف. وكل عهد أو أمانة أو عقد هو عهد الله وأمانته وعقده. لأن الله وكيل المتعاهدين والمتعاقدين والمؤتمنين بعضهم بعضا، والأصل أن الله عدل وحق وسلام.

فالأمانات الصغرى في كل شئون حياتنا اليومية هي فرع من الأمانة العظمى التي عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان، كان ذلك بقضاء الله الذي له الحكمة البالغة، وهو أراد أن يبتلي هذا الإنسان.

أما الأمانات والعهود والعقود في حياة الناس فهي جزء من حياتهم اليومية وتتوقف عليها سعادتهم إذا وفّوا بها وأحسنوا الأداء، ويصيبهم الشقاء والنزاع والشقاق إذا ضعفوا وأخلفوا، وبسبب هذا الإخلاف تزدحم المحاكم والسجون ويدخل الخراب إلى العائلات والجماعات، بل تندلع نيران الحروب

---

[1] - المؤمنون: 8.

[2] - الرعد: 22.

[3] - الإسراء:34.

[4] - البقرة: 176.

[5] - البقرة: 40.

[6] - المائدة: 1.

بنقض المعاهدات، وهي روابط يومية في معاملات الناس في التجارة والأشغال والخدمات والشركات والديون والسياسات، فجودتها مؤشر مهم على حسن حياة تدين الناس.

من نوازع هوى الإنسان ميل إلى الإخلاف وضعف في الوفاء بالعقود والعهود وخيانة الأمانات، والذي يقوي ضمير الإنسان هو رد الأمانات والعهود والعقود إلى الله تعالى.

كل من تبايع أو تعاقد أو تعاهد ووفّى فقد أدى الأمانة أو بعبارة العصر " أرضى ضميره "، وهذه العبارة تعبير أخلاقي ولكنه على مستوى اللغة ينبئ عن عدم الغفلة أو النسيان أو انعدام الإيمان، وحق أن يمتلئ باطن الإنسان بشعور السلام لأنه أرضى الله من حيث أرضى ضميره المؤمن وتعامل مع غيره بصدق وإخلاص، تنطبق هذه الحقيقة على كل من ارتبط بعقد خدمة كتابيا كان أو شفويا، وكذا على كل من ارتبط بعقد شغل؛ وكل واحد منا في حالة ارتباط بعقد مع غيره في الشغل أو الشركة أو التجارة، ويقضي الإيمان أن يستحضر المؤمن أنه تحت رقابة ضامن العهود والعقود، ربنا سبحانه وتعالى، ويترتب عن هذه الحقيقة أن يحرص على الوفاء قبل العمل وأثناءه وأن يحرص على المحاسبة بعده، فليسأل كل واحد في يومه أو أسبوعه لمن وفّي ومن وفّى له هو، ومن خانه ومن خان هو. ولنتصور حياتنا خالية من خيانة الأمانات ومن الإخلال بالعقود، ماذا سيكون الربح المادي والمعنوي؟ سيكون هو الثقة وتجنب كثير من التبذير في المال والوقت وسائر المقدرات.

هذا واقع يتعين أن يستحضره كل شخص في حياته اليومية فيقضي دقائق من كل مساء يسأل نفسه هل أدى ما اؤتمن عليه وهل اشتغل بإخلاص في ما تعاقد عليه من شغل أو خدمة.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: "أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك"[1].

الخطبة الثامنة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بوازع السلطان

هذا أمر عظيم آخر من أمور العمل الصالح، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال تعالى: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[2]. فالخطاب موجه إلى الأمة، ويفترض أن تقيم الأمة التراتيب التي يتأتى بها الأمران، الأمر والنهي، وهما مما لا تنصاع له النفوس في كل حال عن اقتناع وطواعية، والأمة تحتاج إلى هذه التراتيب وتتوقف عليها، والمنطق يفترض أن الأمر داخلي يهم الجميع، ولصالح الجميع، فالمرجع في ما هو معروف وما هو منكر هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولكن قيام الأمة بترتيب كيفية التنزيل يتوقف على ما كان يعرف عند علمائنا بالتراتيب الإدارية وما نسميه اليوم بالقوانين والمؤسسات والسلطات، لأن مقتضيات القوانين من جهة المصلحة تلتقي بأحكام الشريعة، كان معروفا من الساهرين على هذه التراتيب في الماضي الحكام والولاة والقضاة و المحتسبون والشرطة وغيرهم من القائمين بالتعزير ، أما اليوم وقد تشعبت أمور الحياة، فإن نفس الهدف، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تُرصد له نفس الآليات والوسائل البشرية بالعدد والقدر المطلوبين، وهي الحكام في مختلف المستويات والقضاة وغيرهم من المتدخلين، غير أن الذي وقع في تاريخ

[1] - رواه الترمذي، بَابُ مَا جَاءَ فِي النَّهْيِ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى الذِّمِّيِّ الخَمْرَ يَبِيعُهَا لَهُ.

[2] - آل عمران: 104.

المسلمين هو أن قلة الاستقرار السياسي وضعف وسائل الحكم وكثرة الجماعات المعترضة على الحكام وعدد من الساخطين الذين لا يرضون بحال، كل هؤلاء، وإلى عصرنا، يظنون أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شأن المتصدرين له من الأشخاص الأفراد.

غير أن العلماء المجتهدين الذين هم المراجع في الدين كانوا دائما يدافعون عن القول بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من اختصاص الإمامة العظمى ومن ترتبه لتلك الأمانة العظمى. فهو مدار الحكم كله، ولو وقع إبطاله لذهب الدين، ولو تُرك للأفراد والجماعات المنتمية للأهواء لذهب الدين ولاختل أمر الدنيا بوقوع الفتنة.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتحقق في حياة المسلمين اليوم بإقامة القوانين التي هي تفصيل بلغة الوقت لمقاصد الشرع ومصالحه، ومن ثمة يكون العمل بالقانون والالتزام به من باب التعبد لله تعالى.

إن ما جاء في القرآن الكريم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آيات تضع أساس النظام العام في الجماعة كما يتصوره الإسلام، التمييز بين ما ينبغي أن يكون، فوجب على الأمة أن تأمر وتأتمر به، وبين ما يبغي أن يتم تجنبه فيُمنع أن يكون، فإذا همَّ به بعضهم نهاهم الآخرون بما يناسب من الأساليب، ولربما كان النهي عن المنكر أهم من الأمر بالمعروف لأن المنكر يترتب عنه الفساد، ولذلك شجب القرآن الكريم صنيع قوم لا يقومون بهذا الأمر فقال: (كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ)[1]، والناس في هذا العصر يحرصون على إقامة آليات النظام في كل التفاصيل كما يحرصون على مستوى الأمة على قيام المعارضة السياسية المشروعة، لأن تدافع الآراء هو الضمان ضد فساد أمر الناس والضمانة لإمضاء

[1] - المائدة: 81.

قواعد صلاحهم، وهو كما هو واضح متوقف على أمور منها: العلم بالأمرين، المعروف والمنكر، علما بالفطرة السليمة وعلما مستقى من بيان الحق في كلام الله وسنة رسوله ﷺ، وهو متوقف كذلك على معرفة الكتاب والحكمة بتعليم العلماء، لأن هذا الأمر وهذا النهي قد يكتنفه التباس، كما يتوقف على التعاون، تعاون جمهور الناس لحمل الآخرين على الانصياع للحق في اتباع المعروف والانتهاء عن المنكر، لأن بعض الناس قد تدفعهم أهواؤهم إلى ما هو منكر وتأبى نفوسهم الانقياد للمعروف. وهو أمر جماعي، وكل ما هو أمر جماعي، كما رأينا، فالتنظيم فيه والتحكيم من شأن إمامة الجماعة، لأن أمر الشخص نفسه بالمعروف ونهيها عن المنكر أمر يبني شخصيته كمؤمن ويقوي الجماعة، ولكن الجماعة لا تنجو من الفتنة وتتيسر لها حياة الدنيا وخلاص الآخرة إلا إذا كانت على هدى من الله ورسوله في تنظيم هذا الأمر، وكما هو واضح بالمنطق السليم فهذا الأمر يتوقف على تعاون وجهاد دائبين لأن النفوس ميالة إلى أنواع النزوع الضار، ولقد ظن بعض الناس أن ما جاء في القرآن الكريم في شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين يتصدى له كل واحد، وهو أمر لا يقبله السياق كما لا يقبله النقل والمنطق، وحتى الجماعات التي تجعل هذا الفهم منطلقها في التشويش وفي نقد الحكام هي على ضلال، لأن هذا الشأن شأن الجمهور أي الأغلبية التي تبايع الإمامة. ويتجلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وقتنا هذا في القوانين التي تضعها البلدان الراشدة في مختلف جوانب الحياة، وفي مختلف مستوياتها، وبها يتعامل الناس وإليها يحتكمون ويجددون النظر فيها حسب التجارب، وهي إما قوانين تجيز أفعالا أو تأمر بها أو قوانين تنهى عن أفعال وتمنعها وتعاقب على إتيانها، وحيث إن هذه القوانين كلها في موضوع جلب المصالح ودرء المفاسد، فهي ذات

مقاصد شرعية سيما في سياق بلدنا حيث التزام إمارة المؤمنين بحماية المصالح وإصدار القوانين التي لا تخالف الدين ولا تمس بأي حكم شرعي قطعي في الدين. إن عدم استيعاب هذه الحقيقة مصدر التباس كبير في أذهان بعض المسلمين ممن يطالبون في بعض البلدان بحكم يطبق الشريعة.

والذي يتوجب على المسلمين الحرص عليه في وقتنا هو تقوية هذا النظام القائم على التفاوض والتشاور في المصالح المنضبطة بالقوانين وعلى رأسها الأمن والاستقرار والأخذ بالعمل الجماعي المتخصص المسمى اليوم بمؤسسات المتابعة والمحاسبة والتحكيم على أنها تدخل في التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وهو نظام يتضمن موضوعيا إقامة مستويات الشورى، وهذا المنهج وحده هو الكفيل، لاسيما في وقتنا هذا، بدفع أنواع الفتنة ونبذ التطرف والغلو والعنف. فسياسة القرآن تدور على وجوب تعاون الجماعة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتناصح والتشاور، لأن الاجتهاد الجماعي وحده يوصل إلى الحق، وقد بين لنا التاريخ الذي تصرف تحت ملك الله تعالى منذ تبليغ هذه الرسالة ما هي السنن التي أظهرها الله في هذا الشأن عند الأمم، والحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أنى وجدها.

على أن القوانين بأوامرها ونواهيها لا تكفي، بل ينبغي بناء الائتمار بالمعروف والانتهاء عن المنكر على أساس تربية أخلاقية ربانية ينشأ عليها الأفراد في كنف أهلهم من جهة، وفي ظل أنظمة مجتمعهم المتواصي بالحق من جهة أخرى، لأن التربية داخل البيت والتربية داخل المجتمع إن لم تتكاملا تفسد إحداهما الأخرى، فالتربية الأساسية هي التي يمكن أن تمهد لهذا السلوك وتضمن سريانه حتى يصبح طبيعة ثابتة للأفراد وبالتالي للجماعات. وقد شدد الله النكير على من يعيش بلا نظام ولا قانون في حياة

تشبه حياة الغاب. وقد نص القرآن على أهمية التنشئة على هذا الأمر فقال على لسان نبيه لقمان: (يَٰبُنَى أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ)[1].

وعلما منه سبحانه وتعالى بأسباب النجاة في هذه السبيل وجهنا إلى ما يقوي عزيمتنا على تجنب المنكر وبالتالي الإقبال على المعروف فقال: (إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ)[2].

عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: "ليس منا من لم يوقر الكبير، ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر"[3].

وهذه سبيل الانضباط الذاتي الذي يوفر على المؤمنين كثيرا من تكاليف الترتيب والتعزير.

الخطبة التاسعة: التواصي بالحق، وهو إقامة مؤسسات الشورى والحكامة وتراتيبها في جميع المستويات درءا للفتنة

الحق ثلاثة: حق الله وحق النفس وحق الغير، والواقع أن حقوق النفس وحقوق الغير هي من جملة حقوق الله، لأن الله تعالى لا يقبل الظلم، لا ظلم النفس ولا ظلم الغير، وهو الولي والوكيل؛ فهو سبحانه الذي خلق السماوات والأرض بالحق، وله دعوة الحق، وأرسل رسوله بدين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، لا يقبل أن يلبس الناس الحق بالباطل، ولا يقبل أن يكتم الحق، وإذا اختلف الذين آمنوا في شيء من الحق واجتهدوا فإن الله يهديهم إلى الحق وما نزل الكتاب

[1] - لقمان: 16.

[2] - العنكبوت: 45.

[3] - رواه أحمد في المسند (مسند عبد الله بن عباس)، وابن حبان في صحيحه، باب ذكر الزجر عن ترك توقير الكبير.

بالحق إلا ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، والذين أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق، وقد أمر الله أهل الكتاب ألا يغلوا في دينهم وألا يقولوا على الله إلا الحق، وممن خلق أمة يهدون بالحق وبه يعدلون، وقال: (وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لاَ يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا)[1]، وقال: (بَل نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ)[2]. وقال عن بعض الضالين: (لَقَد جِئْنَـٰكُم بِالْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ)[3] ، وقال: (وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَالاَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ)[4] . وقال: (إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلاَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[5] .

إن من حكمة الله أن هدى الناس عبر التاريخ إلى البحث عن السبيل التي تؤدي بهم إلى إقامة هذا التواصي بالحق في هذا الأمر الذي هو من أعظم الأمور وهو الحكم، فسموا هذا الموضوع ب " السياسة "، وأدرك المسلمون مغزاها فاستنبطوا ما كان فيها من اجتهادات المسلمين تشاركوا فيها جميعا حكاما وعلماء وحكماء وسماها بعضهم ب" الأحكام السلطانية " وسماها آخرون ب " السياسة الشرعية " ،وكلها تدور حول واجبات الحاكم وواجبات المحكوم لنصب العدل ودفع الطغيان، والمرجع الفكري العملي القرآني فيها هو الشورى لقوله سبحانه عن

---

[1] - النجم: 28.

[2] - الأنبياء: 18.

[3] - الزخرف:78.

[4] - المؤمنون: 71.

[5] - الشورى: 39.

الرسول وصحابته: (وَأَمْرُهُمْ شُورىٰ بَيْنَهُمْ)[1] ، وقلما تنبه المهتمون إلى أن هذه الآلية التي هي الشورى يعضدها توجيهان قرآنيان هما قوله تعالى في شروط النجاة، نجاة جماعة الناس من الخسر : (وَالْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿1﴾إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ ﴿2﴾وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ)[2] . وقوله تعالى عن قوم وقعوا في الخسر: (كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ)[3] ، كان المسلمون في ضمائرهم متمسكين بهذه القيمة، قيمة " الشورى "، ولكن الإشكال الذي كان يواجههم منذ البدايات هو تنزيل هذه القيمة " السياسية " في واقع الناس، واقع يواجههم بهذا السؤال: من يشاور (بكسر الواو) ومن يشاور (بفتح الواو)، لا شك أن الأمر جماعي كما عمل به الصحابة والهيبة والورع حاضران في موقف اختيار سيدنا أبي بكر خليفة. ولا شك أن الصحابة رضوان الله عليهم، وحسب ما ورد في أخبارهم، ظلوا يتشاورن في مهمات أمور الأمة وهم خيرة المؤمنين، ويبقى الإشكال الذي ورثه المسلمون هو تعيين هذه الفئة من الفضلاء الذين سموا فيما بعد ب" أهل الحل والعقد".

لقد أفضت تجارب الإنسانية في عصرنا إلى أن الشورى أمر جماعي يهم الجميع، بيد أنه ليس من المتوقع أن يتفق الجميع على من يكون في أهل الحل والعقد، فقد كان الناس في المغرب عبر تاريخه يرون أن أهل الحل والعقد هم الذين يوقعون على البيعة لأمير المؤمنين، وهم على العموم الشرفاء والعلماء وشيوخ الزوايا وأعيان المدن والقبائل وأمناء التجار والصناع ورؤساء العساكر. وهكذا قادت التجربة المغاربة إلى هذا

---

[1] - الشورى: 35.

[2] - العصر: 1-3.

[3] - المائدة: 81.

الأسلوب السليم فعملوا به مدة طويلة، هذا في عقد البيعة، أما في ما عدا ذلك فقد كان السلاطين في تواصل مع جميع تلك الفئات لحل المشاكل النازلة، ولكنهم كانوا على الخصوص يطلبون الفتاوى من العلماء.

أما في العصر الحاضر فإن أسلوب الانتخاب (الصوت الواحد للشخص الواحد المواطن، ذكرا كان أو أنثى دون أي اعتبار آخر) هو الذي قادت إليه تجارب الأمم الأخرى، ولا يسع أحدا في العالم إلا الأخذ بهذا الأسلوب وأن يجتهدوا في تحسينه بعد كل العيوب التي أبان عنها، وبالرغم من الصعوبات التي تواجه تنزيله السليم. ذلك لأن سلامته تتوقف على التزامات أخلاقية تبنيها التربية ولاسيما التربية على قيم الدين، يعضدها القانون، أي وازع السلطان.

فإذا أخذ المسلمون بهذا الأسلوب، وهم على تربية أخلاقية عالية مستمدة من الدين، فإنه يفضي إلى نفس النتائج المرجوة، وهي اختيار فضلاء الناس ليقوموا بواجب الشورى، ولكنهم سيظهرون للعالمين نظاما سياسيا خاليا من الفساد وهو أعز ما يطلب.

يتعين على المبلّغ أن يقوم بتوعية الناس بجلية هذا الأمر الخطير في الدين وهو الشورى، وأن الأمر يتوقف على تخليق الأمة التي يمكن أن تعطي للآلية على الصيغة الديموقراطية مصداقيتها، وفي انتظار ذلك فلا محيد عن تطبيق مبدإ الانتخاب الذي هو مبدأ في صميم مبدإ الشورى إذا لم يشُبه الفساد، تطبيقه وتنزيل كل ما يتبعه من إقامة المؤسسات الساهرة على التواصي بالحق كأساس للعدالة السياسية والقانونية، حيث تصبح المشاركة في الانتخاب والحرص على سلامة هذه الآلية واجبا دينيا عالي الأهمية بالرغم من سلامتها النسبية، والتوعية بهذه الوقائع من شأنها أن تحمي الناس من دعاوى الفئات التي تشكك في

"الديموقراطية "وتتهم الأنظمة العصرية بأنها لا تمارس الشورى في الحكم، ومعلوم أن هذه الفئات المناوئة للديموقراطية تسعى باسم الخلافة إلى فرض طريقة في الحكم لم تصرح قط بتفاصيل اختيار المرشحين فيها للشورى، لأنها تنوي فرضهم بمعاييرها في فهم السياسة.

بعد أكثر من شهر على طرح موضوع اقتراح جماعة المقيمين الأجانب في القرية إصلاح الدور في ما يتعلق بالتصريف الصحي والربط بالماء، تقدم ثلاثون من السكان بالطلب للاستفادة من هذا المشروع؛ وعلى أساس ذلك قامت السيدة يامنة بالتنسيق الذي يراعي توقع ازدياد الطلبات فيما بعد؛ وتحسبا لذلك اشتغل المهندس الذي وقع تكليفه، وعلى أساس تصوره القابل للتطوير تم الشروع في ما يلي:

1. تكليف مهندس بالمشروع؛
2. قيامه بطلب رخصة حفر بئرين في أعلى القرية لتزويدها بالماء؛ حسب ما تقضيه تضاريسها؛
3. قيام السيدة يامنة باستقدام مختصين من بلدها بجهة وارزازات في حفر الميضاءات على أساس توجيه المهندس؛
4. شروع الحفارين في العمل على نفقة الممولين؛

بعد شهر تم الفراغ من أربع ميضاءات، ولم يعد أصحاب تلك الدور، ولاسيما النساء، يخرجون لقضاء الحاجة إلى الخلاء أو إلى حظائر الحيوانات.

وبعد شهرين انتهى الفراغ من حفر البئرين، وبدأ ربط الدور بالماء الشروب.

وتعجب السكان مما يقع، ومن كون هذا العمل يأتي على أيدي قاطنين أجانب، وكيف أن السبب جاء على أيدي أئمة المساجد (الطلبة) وكانوا لا يتدخلون من قبل في هذه الأمور، وحمد جل الناس دور تلك

السيدة المعروفة بالخير وإن كانت لم تفلت في الماضي من ألسنة السوء، من الرجال والنساء على السواء.

ولم تمض مدة شهرين حتى كان جميع السكان قد تقدموا بطلب الاستفادة من المشروع، ما عدا ثلاث دور منها دار الشيخ كانت فيها مضاءات ومرتبطة بعيون ماء.

بعد ما تم من التطوع لجمع الزكوات وإسعاف المحتاجين، وبعد عملية الشروع في القضاء على تناول المخدرات، وما تلاها من الاتفاق على تنظيم عمليتين في السنة لتشجيع الزواج، ساد في القرية جو من الشكر والاستعداد للمزيد، وترتب عنه الإقبال على خطب الجمعة وعلى المواعظ في المسجد، وكذا الأسئلة الموجهة إلي شخصيا وإلى السيدة المرشدة عبر الهاتف المحمول.

إحصاء حاجيات القرية ووجوه الخلل في حياتها

اتفقتُ مع الإمامين والخطيب على المرور بالجماعة، بناء على ما ذكر من الاستعداد، إلى المرحلة العملية الكبرى للعمل الصالح ومواكبتها بالخطب والمواعظ، بعد أن جاءت كل الخطب والمواعظ السابقة تتوخى التمهيد وتهييئ النفوس، ومن أجل ذلك لجأ الشباب العاملون مع جماعة المسجد إلى أسلوب يستعمله الناس في هذا العصر من أجل التشخيص والمعالجة الناجعة، وهو أسلوب الإحصاء، حتى يمكن التدخل على بصيرة لإيجاد الحلول للمشاكل المحسوسة القائمة، بدا ذلك ضروريا بالرغم من أن المجال لا يتعدى قرية متوسطة، وقد أسفرت التحريات المحاطة بما يلزم من التحفظ عن الوصول إلى المعطيات الآتية:

- البيوت التي لا يملك أهلها ما ينفقون، ما هي؟ وما عدد أفراد كل عائلة؟؛
- عدد الأرامل، ومن هن؟
- عدد الأيتام، ومن هم؟
- عدد العجزة، من الرجال والنساء، ومن هم؟
- عدد المشتكين من أنواع الإعاقة، ومن هم؟
- عدد الذين عليهم أعراض مرض عقلي، ومن هم؟
- عدد الذين عليهم أعراض الحالات المحسوبة عادة على مس الجن أو الجذب، ومن هم؟
- عدد المرضى بأمراض مزمنة، ومن هم؟
- عدد العازبات اللائي تجاوزت سنهن بكثير السن المعتادة للزواج في القرية، ومن هن؟
- عدد العاطلين عن العمل، ومن هم؟

- عدد الأجراء الدائمين، ومن هم؟
- عدد مالكي الأراضي من مزارعي الحبوب، مع تقدير أعشارهم؟
- عدد المالكين للأشجار المثمرة، مع تقدير جزافي لدخلهم السنوي، ومن هم؟
- عدد المربين للماشية، وتقدير جزافي للرأسمال الذي يمكن أن تكون عليه زكاتهم، ومن هم؟
- عدد التجار الذين يمكن أن تترتب عليهم الزكاة ؟
- عدد المستغلين لبعض المعادن الذين يمكن أن تترتب عليهم الزكاة؟
- عدد ذوي الدخول من أنشطة أخرى وتقدير دخولهم؟
- عدد ذوي المنشآت ذات الدخل السياحي في القرية؟
- عدد المهاجرين من أهل القرية ممن لهم قدرة على الإسهام في سد حاجاتها؛
- عدد من يعرف عنهم الإحسان إلى الناس ممن تمكن الاستعانة بهم في تنظيم توزيع الزكوات والعطاءات على المستحقين؟
- عدد التلاميذ المتمدرسين، الذكور والإناث، في مختلف المستويات؟
- عدد الحاملين للشهادات من العاملين؟
- عدد الحاملات للشهادات من العاملات؟
- عدد المنقطعين عن الدراسة من الذكور والإناث؟
- عدد التعاونيات المدرة للدخل؟
- عدد جمعيات المجتمع المدني ممن يتردد بعض أعضاؤها على المسجد؟
- عدد المساكن التي فيها إصطبلات لصيقة بها؟

- عدد الدور التي ليس لمطابخها نوافذ لخروج الدخان؟
- عدد الدور التي ليس بها ميضاءات؟
- عدد الدور التي ليس لها صرف صحي؟
- معلومات عن نقط التزود بالماء الصالح للشرب؟
- معلومات عن التزود بالكهرباء؟
- معلومات عن التجهيزات المتعلقة بالنظافة؟
- عدد الرجال المتزوجين بأكثر من زوجة؟
- عدد المطلقات؟
- عدد المتعلمات من ربات البيوت؟
- البيوت التي يُسمع فيها عن العنف بين الأزواج؟
- البيوت التي يسمع فيها عن تعنيف الأطفال؟
- عدد المدخنين؟
- عدد من يشربون الخمر؟
- عدد من يتناولون المخدرات؟
- من يقال عنهم بأنهم يروجون المخدرات؟
- الأشخاص الذي لهم سوابق في الجنوح أو الإجرام؟
- التجهيزات الصحية؟
- المشوشون على الثوابت الدينية؟

استعملنا في جمع هذه المعلومات عشرة من الشبان ممن يترددون على المسجد، ويعرف الأئمة حسن سلوكهم، وممن لهم نصيب من التعليم، وعدناهم بمكافئة مالية مني ومن المرشدة ومن صاحبي متجرين خاطبهما الإمام في ذلك، وقلنا لهم إن الهدف وهو النفع دون إحراج ولا كشف لأسرار الناس أو تجسس عليهم.

خطبة بعد الإحصاء

قال الخطيب: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. لقد مررنا من الحديث عن مقتضيات الإيمان لتقوية الاستجابة والوسع، وتحدثنا عن ارتباط الصلاة بثمرتها في النهي عن الفواحش والمناكر التي ذكرنا كبرياتها، بعد هذا مررنا إلى العمل الصالح وذكرنا الزكاة التي بها يتم تحقيق الضروري من العمل الصالح، ورأينا أن أنواعا تكميلية للعمل الصالح تتوقف على ما وقع عليه الإلحاح في القرآن الكريم من الإنفاق عامة، ثم رأينا أن الإقدام على هذا العمل يتطلب الفهم الصحيح للدين بخصوص العمل، وأنه القيمة الكبرى في الإسلام، وأن المؤمن يعمل العمل في نظام وينظر إليه على أنه يتم طبق ما فرضه الله تعالى من السنن والأخذ بالأسباب، وبعيدا عن التواكل والتكاسل، وأن العمل كما تقتضي هذه السنن لا يتأسس إلا على التعاون بين المؤمنين، بعد هذا كله نذكر أمرين:

أولهما: أن كل الناس يعملون ويلحون على أهمية العمل، ولكن عمل المؤمنين يتميز بقصده وبأنه عمل لوجه الله، وهذا الاعتبار يعطي للحياة ملامح مخالفة تماما لما عليه حال أكثر الناس، وهو اعتبار يجعل العمل يفوح برائحة السلم الزكية، بعيدا عن أنواع النزاع والأطماع؛

ثانيهما: أن الموقف يقتضي أن ننظر في ما ينبغي القيام به من العمل الصالح داخل القرية وأن نسلك إليه طريق السنن أي الترتيب والتنظيم وحسن تدبير الوسائل بإخلاص.

موعظة

في موعظة عشية يوم السبت رجعت إلى ما ذكره الخطيب من لزوم المرور إلى العمل الصالح بعد أن تبين تأصيله في الدين، وبعد أن ظهر أن النفوس قد تهيأت له، وقلت إن العمل الصالح يشمل كل ما ينفع الناس

ولا يقف عند أمور بعينها وأن مداخله الكبرى، كما ذكرنا، فيها أبواب كثيرة، وأن وجوهه لا تخفى عن عقلاء الناس لأنهم يحسون بالحاجة إليه، وإنما الذي لا يجوز أن يغيب هو التعاون على هذا العمل، فهو في صميم البر وله كما قلنا مضامين وفوائد عملية وله آثار طيبة حتى في تطييب النفوس وإدخال السكينة عليها، وما ذلك إلا لأنه منسوب لوجه الله وإن كانت فوائده عائدة على العباد. قلت: الآن نريد أن ننظر ما هي جوانب العمل الصالح، من غير ما بدأناه لحد الساعة، مما يمكن أن نسارع إليه في قريتنا، والمقصود هو أن يشمل كل أنواع إزالة الأضرار وأنواع جلب المنافع، ولكن ينبغي أن نجد من يتعاون ويسهر على كل جانب من جوانب هذا العمل. وقلت للحاضرين في الأخير: تذاكروا في ما بينكم لمدة أسبوع واستعينوا بالشباب المتعلمين لعرض ما طلبناه في المرة المقبلة.

خلونا بعد الغد، أنا والأئمة والمؤذن، ببعض الشباب من رواد المسجد وزدنا في شرح المطلوب ووجدناهم على وعي بالمقصود. وقلنا لابد من أن نميز بين ما يلي:

1. الأضرار التي ينبغي أن تعالَج وتزول، سواء كانت تقع على الأفراد أو على الجماعة؛
2. وجوه الوقاية التي ينبغي السهر عليها، دفعا لتجدد الأضرار أو استفحالها؛
3. أنواع التحسينات التي ينبغي العمل عليها في حياة الناس بما يوافق جلب النفع لهم وتسديد تدينهم في عبادة خالقهم المحسن إليهم.

وقد تبين أن إدخال هذا التمييز في عقول الناس يتطلب التكرار، لأنهم لم يتعودوا على هذا الأسلوب من حيث الشرح في أمور الدين،

ولكن السكان نبيهون في أمور الحياة التي اعتادوا تدبيرها بتلقائية، ولذلك يتوجب فتح بصائرهم وشحذ هممهم إلى موجبات تنظيم العمل الصالح، وبهذا الصدد ينبغي استحضار الأطراف العاملة على النفع والإصلاح من منطلقات عمل الدولة أو عمل التطوع، ولا يجوز إهمالها ولا تجاهلها لأن الإنصاف يقتضي الشكر، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، وإنما الخطأ في ما هو سائد من حرمان العمل الصالح من الدور الذي يفترض في المسجد أن يلعبه وإبعاد المسجد كمنطلق للإصلاح تأصيلا وتدبيرا وتخليقا، ومن جهة أخرى فليس من الإنصاف النظر إلى المصلحين في كل الميادين كما لو أن أعمالهم لا تمت إلى العبادة بصلة، ومن هؤلاء من تمكن الاستعانة بهم في ميدان التعليم وهم:

- مدير المدرستين الابتدائيتين في القرية والمعلمون والمعلمات فيها؛
- ومدير المدرسة الإعدادية في الجماعة، والمدرسون والمدرسات فيها؛
- والقائمان على محاربة الأمية في المسجد الكبير؛
- والشباب المترددون على المسجد من المنقطعين بمستوى تعليمي مشهود أو ممن ينتظرون الحصول على الشغل؛

ومن هؤلاء تكونت على صعيد جماعة المسجد مجموعة صغيرة للاهتمام بالتعليم، وذلك من خلال الاتصال بالمعلمين والمعلمات وربط علائق التقدير والشكر معهم، ومتابعة سير تعلم التلاميذ من خلالهم، ومعرفة مكامن النقص في أحوال التلاميذ وحاجاتهم وتقوية ضعاف المستوى منهم، وتزويد المحتاجين بالأدوات، وتزويد المدرسة بأربعة حواسب وتمكين التلاميذ من حسن استعمالها في الحصول على المواد العلمية والثقافية، وتكوين مكتبة في كل مدرسة تضم كتبا يستعيرها

التلاميذ، وتشجيع الجميع بإقامة الحفلات وتوزيع الجوائز. ويبقى الهاجس الأول هو الحيلولة دون الانقطاع المدرسي ومد العون للمحتاجين وتوعية الآباء والأمهات بحسن التعامل مع أولادهم التلاميذ في البيوت، لاسيما بتنظيم حياتهم في اليقظة والنوم والتغذية، مع تحميلهم المسئولية عن مسارهم الدراسي بالأسلوب المناسب.

وكان للجماعة اهتمام بمن يدرسون خارجها من أبناء القرية من حيث التتبع والتشجيع وتنظيم لقاء كبير يضم كل من يتعلم ويدرس، وذلك في بدايات العطل أو عبر وسائل التواصل.

أقامت الجماعة موقعا على شبكة الإنترنت للتعليم في القرية، يشترك فيه التلاميذ لتبادل الأخبار والتوجيه إما عبر الحواسب الأربعة وإما عبر الهواتف التي هي بأيدي بعض التلاميذ.

وضعت جماعة الطلبة المنقطعين برنامجا لهذا الجانب التعليمي وتحمست له الجماعة وأدخلته في صميم اهتماماتها.

وكذلك كان الأمر في جانب الصحة، حيث تبين أن في عين المكان من تمكن الاستعانة بهم في هذا الميدان، وهم بالدرجة الأولى القائمون على مستوصف القرية، وهما طبيب وممرضة وممرض؛ والاتصال هو قبل كل شيء للتعاون وإشعار كل جانب بما يمكن أن يأتي به للآخر في ما يهمه، وذلك في جو بعيد عن التدخل في الاختصاص، وبعيد عن التحكم والنقد والاحتجاج، وتبيّن أن الحالة الشاذة التي كانت سائدة، وهي حالة التجاهل بين الفرقاء المعنيين بنفس الشيء، مضيعة لفرص التعاون وللزيادة في النجاعة والمردودية، فجماعة المسجد مدعوة إلى شكر هؤلاء القائمين على العناية بالصحة، وهي مدعوة إلى القيام بالدور المناسب في التوعية والتحسيس بضرورة الوقاية، ومن المؤكد أن التواصل والاعتراف والشكر سيزيد من خدمة القائمين على المستوصف حتى

تمتلئ بالحماس والتفاني والاستعداد للاشتراك في الرأي بالنسبة للحالات المتعلقة بالأمراض ومتابعة المرضى وحمل بعضهم إلى مستشفيات المدن وإسعاف بعضهم في شراء الدواء.

ومما اهتمت به الجماعة التشجيع على استعمال وسائل العلاج المحلية إذا ثبتت نجاعتها، ذلك أن القرية ذات ثقافة غنية في مجال العلاج، فهنالك عرفاء من الرجال يداوون بمهارة حالات التواء المفاصل وحالات الكسور وحالات حريق الجلد، وحيث إن التجربة هي التي يمكن أن تقنع فلا بأس في التوقف عند الاعتقاد المحلي بأن هذه المهارات مواهب روحية يتوارثها الأبناء عن الآباء، ومن حسن الحظ أن أشخاصا ليسوا كلهم من الشيوخ ما زالوا يمارسون بعض هذه العلاجات بنجاح. وأما معظم مهارات العلاج فهي في أيدي النساء، وتهم على الخصوص أمراض الأطفال وإسعاف الحوامل، ولكن هذه التدخلات الأصلية المحلية هي في طريق الانقراض حيث يزداد اتهام العرفاء المحليين بالشعوذة، ومن ثمة اللجوء إلى الطبيب وإلى الصيدليات لشراء الدواء، وقد اتفقت المجموعة المكلفة بالصحة على إقامة تظاهرتين في المسجد، الأولى وتتعلق بالنداء على كل من يعرف أو يحسن وصفة للعلاج المحلي ليأتي ويذكرها ويسجلها الشباب بما في ذلك استعمال الأعشاب البرية وأوراق الأشجار المختلفة، والثانية قيام الطبيب والممرضة بحملة تحسيس من أجل الاحتياط في استعمال أدوية من الصيدلية بدون وصفة طبية.

قام الطبيب والممرضة من جهة أخرى بالتنبيه إلى العلاقة بين الصحة والبيئة اليومية التي يعيش فيها الناس، وأن الناس يتصرفون على ما وجدوا عليه آباءهم من نمط البيئة، وفيها ما هو مضر كتسرب دخان المطابخ إلى أماكن الجلوس والنوم، وكوجود حظائر أو مزابل

داخل المساكن، وقد بنيت موعظتي في هذا الموضوع على كون النظافة من الإيمان، والتمست من الجماعة في هذا الصدد السعي لدى نظارة الأوقاف لإعادة فتح حمام المسجد بعد إغلاقه مدة طويلة.

ولقد كان لقيام بعض أفراد جماعة المسجد بتصوير المواعظ، ولاسيما باللغة المحلية، وإرسالها إلى أناس من أصل القرية في مدن داخل المغرب وأماكن في الخارج، كانت لهذا الصنيع نتائج حميدة، إذ تكوّن لدى هؤلاء المهاجرين حماس إيجابي، فكانوا لا يتابعون المواعظ القولية وحسب، بل كانوا يتابعون مبادرات العمل الصالح، ومن تلك النتائج توسط بعضهم في إرسال من يقوم بحملات طبية من المدن لفائدة سكان القرية، وذلك في تخصصات كصحة الأسنان وعلاجها وحملات طبية لعلاج أمراض العيون ولاسيما إزالة السواد من عدسة العين.

غير أن المشكل الأعوص في حياة القرية من أجل صلاحها هو التمكن من تشغيل كل من هم قادرون على الشغل، وبقطع النظر عن الانقطاع الذي يحدث للمشتغلين، فإن عدد الذين هم عاطلون على الدوام ولهم تحمل عائلي يقارب الأربعين، وأن عدد الذين لو اشتغلوا لتزوجوا وأسسوا عائلات هم قرابة الثلاثين. وقد تكونت جماعة مكرسة لهذا الشأن، ألا وهو محاولة إيجاد الشغل للعاطلين، وأسفر الحوار عن دفع المجموعة المكلفة إلى تصور عدد من الحلول، والمفرح هو أن في القرية الآن تضامنا حتى في هذا الأمر الذي ظل شخصيا لا يهتم له إلا المعنيون به. وقد تبين أن من يمكن الاستعانة بهم لإيجاد الشغل هم المزارعون للحبوب والمزارعون للأشجار ومربو الماشية والتجار ومستغلو المعادن والعمال المهاجرون وأصحاب الاستثمارات في القرية وأصحاب المنشآت السياحية. كما تبين أن جهات أخرى يمكن أن تسهم في هذا

الموضوع، وهي السلطات الإدارية الإقليمية والسلطات الجماعية المنتخبة وإدارة الأوقاف، وتبين أيضا أن بعض الحلول يمكن أن تأتي من إيجاد رأسمال يقدم لمن يطلبه على أساس إقامة مشروع صغير مدر للدخل.

في إطار التعاون على الإصلاح داخل القرية، وانطلاقا من المسجد، رأينا أن عددا من الشباب منخرطون فيه بحماسة ونشاط، والحالة أن بعض هؤلاء الشباب منخرطون في الجمعيات القانونية المؤسسة في الإطار المعروف بالمجتمع المدني؛ والموقف المناسب من هذه الجمعيات هو التشجيع والترحيب في إطار العمل الصالح من داخل المسجد دون خلط في صيغة العمل، لأن جمعيات المجتمع المدني لها قوانينها وأهدافها ومسئولياتها ومحاسباتها أمام القانون، لذلك وجب عدم توريطها في مبادرة تُنسب للمسجد، ولاسيما وأن الزكاة التي يمكن أن يتم بها جزء من العمل الإحساني، انطلاقا من المسجد، لا يدخل جمعها في إطار قانون طلب الإحسان العمومي.

هنالك نوع آخر من جمعيات المجتمع المدني لها توجه سياسي معلن أو غير معلن، لكونها ذات انتماء إلى تيار حزبي أو إيديولوجي معين، وحيث إن المساجد هي للأمة جمعاء فإن حيادها إزاء اجتهادات الإصلاح على صعيد المجتمع أمر أساسي، لأن توجيه المسجد هو إلى قيم عامة مشتركة بين الجميع، بينما التوجيه الحزبي في أي مسألة تهم الإصلاح هو توجيه مقابل توجيهات حزبية أخرى باعثة على الخلاف والمنافسة، وإن مراد الجميع هو الإصلاح ، لكن الذي يختلف هو الاجتهاد في زوايا النظر والمقاربات، وهذا لا ينقص قط من قيمة العمل الذي تقوم به هذه الجمعيات، ولكن الاختلاف واقع في المنطلقات، أضف إلى ذلك أن تعامل المسجد مع أي منها سيخلق تساؤلات عند جمعيات التيارات

الأخرى؛ لذلك لا يمكن التعامل معها على صعيد المسجد، ولو على سبيل العمل الخيري، لما في ذلك من شبهة قد تسيئ للجانبين.

هناك جمعية من هذا النوع على صعيد القرية، تلقينا منها طلبات تعاون وعتاب، ولكننا عملنا دوما على إفهامها بالتي هي أحسن.

من العناصر الحاضرة في القرية، وعلى صعيد المسجد، أشخاص يعدون على رؤوس الأصابع كان لهم تدخل في شؤون المسجد والأئمة قبل حضورنا، لهم مظهر خارجي مخالف للمألوف في القرية، من قبيل اللباس وغيره، ومن قبيل تميز بعض نسائهم بارتداء الأسود ووضع البرقع على الوجه. وهم إلى ذلك يظهرون للناس ما يفيد أن حركاتهم في الصلاة وفي غيرها هي جوهر الدين القيّم، وما عدا ذلك فبدعة شائنة. وهم يترددون على أصحاب لهم خارج القرية ويستدعون هؤلاء لبعض الولائم. كانت لهؤلاء جرأة على الأئمة من قبل، يعيبون الدعاء دبر كل صلاة والقراءة الجماعية بالجهر للحزب الراتب ويعيبون على المصلين السدل ويسارعون إلى الجنائز لفرض أمور تخالف ما جرى به العمل في هذا الباب، عددهم خمسة أشخاص، أفهمناهم أن الأسلم هو الكف عن التشويش على الناس، ولاسيما داخل المسجد،

تحدثت إلى الناس في مواعظ تصحح أغلاط هؤلاء بخصوص ثوابت الأمة في العقيدة والمذهب وعلى أساس المبدإ العام الذي هو نبذ الفرقة والكف عن زرع الفتنة.

فهم الناس فهما جيدا تلك المواعظ وأدركوا أن هؤلاء إخواننا ومن جماعتنا، قد يكون لهم اجتهادهم الذي يخصهم في أنفسهم، ولكن المسجد هو للجميع، ثم إن كل ما كان يقوم به أجدادنا في الدين قائم على ثوابت مؤصلة في الكتاب والسنة واجتهاد فضلاء الأمة، وأن ما يُظهره هؤلاء اجتهاد وقع في مذهب آخر ليس هو مذهب جمهور الأمة،

وحتى لو كان فيه شيء من الصواب فإن التشويش به يعد من الفتنة في الدين وهي منكر عظيم.

بعد إنصات الناس لهذه المواعظ لم يبق في القرية من يولي الاهتمام لهؤلاء المشوشين.

ألقيت موعظة أعدتُ فيها السؤال حول مدى استعداد الجماعة للمضي قدما في مبادرات العمل الصالح؛ كان القصد من السؤال هو أن تأتي المبادرة من السكان تعبيرا عن حاجتهم ورغبتهم في الإصلاح، وبالرغم من أنهم جميعا يعرفون المصالح فإن التمييز والترتيب من أجل التدبير هو أمر غير مألوف، وفي ذلك ما يدعو إلى الاستعانة بالشباب القارئين لإرشاد الباقين، علما بأن من بين السكان، حتى من الأميين، نابهين يقظين نشطين. وقد جاء الوعي واضحا وتم الاتفاق مبدئيا على تكوين خمس مجموعات، كل واحدة منها من أربعة أشخاص، اثنان من الشباب واثنان من الكهول أو المتقدمين في السن وهي:

أولا: مجموعة النظر في حالات الفقر؛

ثانيا: مجموعة العناية بالصحة؛

ثالثا: مجموعة العناية بالعائلة؛

رابعا: مجموعة العناية بالمعاملات؛

خامسا: مجموعة العناية بالتعليم.

وارتأينا أن الأعمال المطلوب التعاون فيها هي التي سبق تصنيفها بحسب "الأضرار" و" الوقاية " و" التحسينات".

ففي الصنف الأول، أي الأضرار التي تنبغي معالجتها نجد:

أولا: الاحتياجات المعيشية الضرورية التي لا تغطيها الزكاة؛

كتب الله تعالى أن يبارك في النصيحة التي كنت أتعاون مع الأئمة في إسدائها للجماعة على سبيل التبليغ، ظهر ذلك جليا من عدة أمور منها:

أ. الاهتمام بالمتابعة والحرص على حضور المجالس في المسجد، والحرص على تتبع المواعظ بإخبار الحاضر الغائب وقيام بعض الحاضرين بإشاعة المواعظ عن طريق الهواتف الذكية؛

ب.الحماس للانخراط في المجموعات الصغرى الموكول لها التتبع الميداني لجوانب العمل الصالح.

ومن مظاهر هذه الروح التعاونية الالتفات إلى المحتاجين في الجوانب التي لا تغطيها الزكاة.

وقد شرحنا لهم المعاني السامية التي في المشاطرة مع الناس في الجماعة حتى يحس الذي عنده أكثر والذي عنده أقل بحاجة المحتاج، فلا يستريح حتى ينفق عليه، ولو من إقتار، كما رغّبت في ذلك السنة المطهرة، فقد عملنا على أن يفهم الناس أن العمل الصالح في الدين يقوم بدرجة عالية على خُلُق الإنفاق الذي ينبغي أن يكون متأصلا في نفوس الجميع وألا يقتصر على مجرد الواجب بأن يعطي الأغنياء للفقراء، فهذه الروح، روح الإنفاق، هي التي تحمي النفوس من شرور الأنانية وتهيؤها للفلاح والطمأنينة، فحاجة الجماعة أولا إلى هذه الروح ثم إلى ما يُبنى عليها من الأعمال النافعة وعلى رأسها الإنفاق.

أ- إحياء عادة تقديم "رتبيات"

توسلت الجماعة المكلفة بالمعيشة، توسلت إلى الناس بإحياء عادة قديمة تتمثل في تقديم "رتبيات" (وجبات) طعام يومية تودع في المسجد، يأخذ منها الإمام وجبة للفطور ووجبة للغذاء ووجبة للعشاء ويأتي الراغبون لأخذ الوجبات الباقية، وذلك للأمن من الجوع في حالاته

القصوى، وقد تمت الاستجابة، وكان عدد "الرتبيات" يزيد مع مرور الأيام، حتى كان من المستفيدين من يأخذ رتبيتين؛ وبذلك تيقنا أن موضوع إشباع الحاجة الغذائية الضرورية قد تحقق فيه التآزر المطلوب.

ب- مرافقة حالات الإعاقة في العائلات

كان في القرية ما يزيد عن عشرين حالة من الإعاقة، وقد استطاعت المجموعة المكلفة بالصحة أن تتمكن، بمعونة مهاجرين، من عرض حالات الصمم والعمى على أطباء مختصين في المدن، فتبين أن بعضها قابل للعلاج، وأما حالات الإعاقة النهائية فقد بدأت فيها المجموعة المعنية المساعي لإلحاق طفلين بمدرسة الأطفال مرضى التوحد بالدار البيضاء، بواسطة شخص مقيم بها، أصله من القرية، وقع الاتصال به في الموضوع، وتدبير الاستشارة الطبية لثلاثة من المرضى العقليين، ثم الإعانة على شراء الدواء الموصوف لهم، أما صبيان صغيران توأمان معاقان فقد تم ترتيب إعانة العائلة عليهما، ولاسيما بإعانة الأم وشراء فراش ولوازم ضرورية للطفلين.

ت- الأمراض المزمنة؛

من فضل الله على هذه القرية التائبة أن رصدت المجموعة المكلفة بالصحة في القرية اثنتا عشرة حالة من مرضى الكلى في المرحلة التي تحتاج إلى تصفية الدم، وقد سعت لدى مهاجرين من العمال والتجار واستجابوا بأن قرروا بناء مركز صغير بجانب المسجد تكلف القاطنون الأجانب بتجهيزه والنفقة عليه، وذلك بمساعدة جمعية في أوروبا، وقالوا إنه سيكون جاهزا قبل مرور العام وأن المرضى الحاليين سيوفر لهم النقل إلى مركز تصفية الدم موجود في مركز العمالة.

ث- العناية بالصحة الجسدية،

وذلك من خلال ثلاثة أمور:

- التعاون والتحسيس على مستوى خدمات المستوصف؛
- إعانة المحتاجين على شراء الأدوية الضرورية؛
- الاستشارة في إمكانيات اللجوء إلى الخدمات الصحية التقليدية الناجعة. ففي ما يتعلق بالتعاون مع المستوصف المحلي قامت الجماعة بمبادرات لجعل العاملين فيه، وهم طبيب وممرضة وممرض، ينخرطون في جو التعاون والتراحم الذي أخذ يهيمن على الناس في القرية، وكان هذا الطاقم من قبل يقوم بعمل آلي روتيني متقطع في بعض أوقات العمل وبسلوك خال من أي عطف أو تضحية، وقد تغيرت هذه الحال بمبادرة مني ومن السيدة المرشدة وبإشراك الأئمة وشيخ القرية وبعض الشباب.

ظهر من هذه المبادرة ومن المبادرات المماثلة أن إشراك الموظفين المحليين بجميع أنواعهم في هموم الناس، ولاسيما من جهة تثمين دورهم في إطار العبادة القائمة على نفع الناس، يجعلهم قادرين على أداء أجود، كما وكيفا، ثم إن هذا التواصل يحفظهم من الغش ومن الرشوة على الخصوص.

أما الإعانة على مستوى شراء الدواء للمرضى المحتاجين فقد تقرر أن يكون منضبطا بتوجيه الطبيب، أي في الحالات القصوى ودون تبذير ولا تهور.

أما في ما يتعلق باللجوء إلى العلاجات والأدوية التقليدية فقد تقرر أيضا أن ينضبط بتوجيه الطبيب، وذلك بفحص الخبرة الموروثة وضمان فعاليتها دون إنكار لتجارب الناس السابقة، أما في ما يتعلق

بالأعشاب والنباتات المتداول وصفها تقليديا في بعض حالات الأمراض فقد استدعينا، أنا والسيدة المرشدة، شخصا مهندسا زراعيا يقدم في هذا الموضوع أحاديث في الإذاعة، وقد قبل هذا الخبير أن يأتي إلى القرية ويتكلم مرتين في المسجد للرجال ومرتين للنساء، ووصف أعشابا موجودة في الطبيعة أو مزروعة في ذلك الوسط القروي، واكتفى منها بالنصح بستة أنواع: مبينا لأي شيء تصلح؟ وكيف يكون الاستعمال؟ وما هي المقادير؟ على أن يعود ليصف أعشابا أو أوراقا أخرى في مرة ثانية، وقد جمعناه مع الطبيب ووجده متخصصا في الزراعة أصلا، ولكن اهتمامه بموضوع الأعشاب جاء زائدا على اهتمامه بتخصصه، وقد كان الطبيب منفتحا لهذه الخبرة تاركا الحكم للناس بعد التجريب.

ج- العناية الصحية النفسية بالوسائل الروحية

وعلى رأسها قراءة القرآن وتقوية العلاقة مع الله بالتعبير عن الشكر وحضور الخشوع؛

ح- العناية الصحية الروحية

وذلك بوسائل لها أصل في السُّنة مثل الرقية، أو بوسائل لها علاقة بالتصور الشعبي مع الغيب كزيارة أضرحة أناس يعتقد الناس فيهم الصلاح المبني على عملهم في حياتهم للتقرب إلى الله؛ فمن الخطأ حمل هذا الاعتقاد على الشرك، ومن ثمة لا يجوز للمبلّغ أن يصدم الناس في ظنهم الحسن بهؤلاء على أساس العلاقة مع الله.

تناولنا في بعض المواعظ مسألة تهم الصحة يتحير فيها العامة من الناس هل هي مرض يرجع إلى الطبيب أم إلى غيره من المشتغلين بالرقية و"التسببات" المحسوبة على الجانب الروحي، ويذكر الناس في القرية أن هذه الحالات كانت كثيرة، وتقع فيها النساء على الخصوص، حتى إن من

عوائد القرية تنظيم زيارة في أواخر الصيف لضريح في قبيلة أخرى يحملون إليه " زيارات" أي هدايا ويذبحون هناك رؤوس بقر أو غنم، ويرجع المرضى بعد ثلاث ليال وقد تماثلوا للشفاء. وبيّنت لهم أن العقول والنفوس تمرض كما تمرض الأجسام، وأن الطبيب المختص يعرف نوع المرض ويصف له الدواء، ولكن هذا لا يمنع أن تكون بعض حالات المرض راجعة إلى مس الجن الذي هو ثابت الوجود بنص القرآن، ويستعان عليه برقية الأفاضل من القراء إن وُجدوا، وما أقلهم، لا من المنتحلين، وعلامة المنتحلين أنهم محترفون يدعون أنهم يمتلكون سرا أو صناعة يبيعونها، والذي ينبغي تجنبه هو تفسير كل الأمراض غير البدنية العادية بأنها من مس الجن، لأن عددا منها أمراض عقلية، والأمراض العقلية هي كسائر الأمراض ينبغي الاحتكام فيه إلى الطبيب المختص، وإذا ثبت عند الناس أن الصدقة في بعض الأضرحة تعين على زوال بعض الأحوال فلا بأس من الاستعانة بها، وذلك لسببين هما بركة الصدقة وأثر الاعتقاد النفسي في التأثير على الأحوال البدنية.

خ- القضاء على أنواع ا لإدمان (التدخين والمسكر والمخدر)

اجتمعت أنا والأئمة مع المجموعة المكلفة بهذا الموضوع، ورأينا أنه من الأهمية بمكان أن تعمل الجماعة عل استئصال كل أنواع الإدمان من القرية، نظرا للأضرار الصحية والاقتصادية للإدمان على الناس، وفي ذاكرة القرية أن المعروف من قبل أن المدخنين كانوا معدودين على رؤوس الأصابع، أولهم كان مجندا في الجيش الفرنسي، أما شرب الخمر فقد بدأه عامل تقاعد من فندق يملكه أجنبي في قرية مجاورة، أما المخدرات فقد أدخلها إلى القرية بعض الفتيان الذين انتقلوا إلى المدن وعملوا بها، لكن الابتلاء بكل هذه الآفات زاد في العشرين سنة الماضية.

وقع الاتفاق على أن موضوع القضاء على هذه الآفات في غاية الحساسية، سواء تعلق الأمر بمقاربة المعنيين أو بالتحدث في الخطبة أو الموعظة، لأن المدخنين عادة لا يقبلون أن يُعاب عليهم سلوكهم وإن كان العامة منهم عادة يقرون بأنها بلية ابتلوا بها ويعبرون عادة عن الأسف وعن طلب العفو من الله أن يعينهم على ترك التدخين. أما الذين يشربون الخمر فإنهم على العادة لا يرون أن أحدا يعلم بهم، لأنهم يعلمون أن الناس لا ينظرون إليهم بعين التبرئة، أما المخدرات فلم يكن يعرفها أحد في هذا الوسط، أما اليوم فالكل يعلم أنها رائجة في الخفاء وأن أذاها وأثرها واضحان على العقل وعلى المال، ولكن المعنيين بها يستخفون، ومعظمهم في القرية من الشباب الذين غادروا المدارس ولم يحصلوا على عمل، بل صار تناول المخدر يُنسب حتى لبعض الفتيات اليتيمات أو من في حكمهن في العائلات المنكوبة بالطلاق أو بغيره من الآفات، وعلى العموم فالمعنيات هن البنات المتحررات في تحركاتهن خارج سلطة العائلة، وقد أُصيب بعضهن من العدوى جراء أنواع من المخالطة.

اتفقنا على أن يكون التخلص من الإدمان من أولويات الجماعة، ولكن العمل سيكون بمقاربة فردية تعالج فيها حالة بعد حالة، سيما وأن الكمين الذي نُصب لبائع المخدرات قد كان ناجعا، والرجل اليوم في القرية مثال الزوج التائب، وهو الآن عضو في مجموعة القرية المكلفة بهذا الشأن.

د) معالجة مشكل إيجاد الشغل للعاطلين

أسندت هذه المهمة إلى المجموعة المنبثقة عن جماعة المسجد المكلفة بالبحث عن موارد الأرزاق للمحتاجين، وقد اشتركنا معها في

التفكير في كيفية تدبير هذا الأمر فهدى الله المجموعة إلى تصور عدد من المبادرات في هذا الشأن ومنها:

أ. استثمار هبات، ولو بسيطة، من المحسنين، في شراء رؤوس ماشية لبعض العائلات، سواء كانت أبقارا أو معزا أو أكباشا، لأن رعيها مضمون العائد في سنة أو في أقل من سنة؛

ب. مطالبة بعض المحسنين بوقف أرض على وجه من وجوه الإحسان مثل الأيتام أو مثل نفقة الدراسة لأبناء المحتاجين أو مثل العلاج أو الرفد لبعض ذوي العاهات، أراض يمكن كراؤها أو الشركة في حرثها أو مغارستها، وهي بدورها مضمونة العائد؛

ج. حث بعض القادرين على تقديم رأسمال بسيط يستثمر في شراكات تجارية صغيرة لتقاسم الأرباح في مواد معينة مع عاطلين يقومون بترويج بضائع يحملونها إلى الأسواق أو يطوفون بها في القرى كما كان يفعل العطارون من قبل؛

د. التدخل لدى بعض المنشآت السياحية في القرية للتبرع على هؤلاء التجار الناشئين بعربات نقل ذات ثلاث عجلات؛

هـ. إنشاء تعاونيات نسوية لبيع منتجات فلاحية محلية أو مواد محلية صناعية أو غيرها مثل نوع الزيت الذي تعصره النساء من الحب المقتطف باكرا بكيفية رحيمة ويعصر فوق النار ويكون بطيبة خاصة؛

و. التدخل لدى الجماعة والعمالة للحصول على رخصتي نقل جماعي كما سبق في حال إنقاذ الشخص المتجر في

المخدرات، تستفيد من كراء كل واحدة منها أربع أرامل من ذوات الأيتام؛

ز. مطالبة إدارة الأوقاف بإقامة ثلاثة محلات للكراء بالأرض العارية التي بجانب المسجد وبكرائها بالمزاد لعاطلين، مع إعفائهم من الكراء في العام الأول وتخصيص الكراء بعد ذلك لإعانة ذوي الأمراض المزمنة على شراء الدواء؛

ح. التدخل لدى إدارة الأوقاف بقصد الاحتفاظ في عين المكان بما زاد من مداخيل الأحباس عن حاجة المسجد وصرفه في وجوه اجتماعية تتفق عليها جماعة المسجد وتوافق عليها الأوقاف.

ط)محاربة الجهل بالقراءة والكتابة

تقرر الاعتماد في هذا الأمر على برنامج محاربة الأمية الجاري بالمسجد الكبير، وكان الإقبال عليه من النساء خاصة، وقد أصبحت نسبة العارفات منهن بالقراءة والكتابة في القرية أكبر بكثير من نسبة الرجال، فكان علينا أن نقوم بحملة تحسيس وترغيب وتدبير وقت التعليم لكي ندفع بالرجال إلى الاستفادة من هذا البرنامج على أمل القضاء نهائيا على الجهل بالقراءة والكتابة في القرية في مدة تتراوح بين أربع وست سنوات.

ي) تعليم الضروري من أمور الدين

كنت قد طلبت من السادة الأئمة أن يخصصوا أوقاتا في الأسبوع، بين العشاءين، لتعليم الناس ما هو أساسي وضروري من أمور العبادات، واتفقنا على أن يعلّموا الضروري منها في شهر واحد ويعيدوا التعليم في الشهر الموالي. وكنت تذاكرت معهم على أسلوب التيسير وعلى

ضرورة إفهام الناس أن الدين لا يقبل التشدد، ومن التشدد التشعيب في أمور العبادات على عامة الناس، وأن يبينوا لهم الرخص ووجوه قضاء الفوائت، ويشرحوا لهم كيفيات بعض الأمور مثل الغسل والتيمم، وكنت تذاكرت في هذين الأمرين مع السيدة المرشدة التي اهتمت بهما وقالت إن النساء سعدن بما قدمته لهن من البيان العملي بخصوص التيمم والغسل. وقد كنت لأجل هذا الغرض وما يماثله قد طلبت في بداية إقامتنا بالقرية، طلبت من السيد مندوب الوزارة أن يشتري ثلاثة هواتف ذكية للسادة الأئمة، وتم إعلام الناس بالأرقام بواسطة منشور سمح الإمام الخطيب بتعليقه بالمسجد، وفيه أخبرنا أن بإمكان كل شخص أن يسأل الأئمة عما يريد، وذلك باللغة التي يريد، وينتظر الجواب على نفس المنهاج. كما قام الأئمة في حلقات وعظهم بتحذير الناس من بعض المتكلمين في الدين في شبكات التواصل الاجتماعي، سواء كان الكلام عن العبادات أو عن غيرها من أمور الدين.

ثانيا: أنواع الوقاية التي ينبغي السهر عليها

أ) النظافة

من الوقاية التي يتعين أن يتعاون عليها الناس النظافة، مصداقا للحديث الشريف "النَّظَافَةُ تَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ مَعَ صَاحِبِهِ فِي الْجَنَّةِ"[1] وذلك لأن النظافة تحمي الصحة والصحة تحمي البدن والبدن هو وعاء الإيمان وآلة العمل بالدين وبمقتضياته على حد سواء، والنظافة ينبغي أن يتربى عليها الأولاد والبنات وتصير هاجسهم في كل الحركات، بيد أن النظافة أمر فردي وجماعي لذلك وجب فيها التعاون، ومن هذا القبيل

[1] - رواه الطبراني في الأوسط.(7 م 215).ط. دار الحرمين.

توعية الناس بأن النظافة المطلوبة في الدين ليست مجرد عبادة للعبادة، وإنما هي أيضا لمصلحة الأفراد ومصلحة الجماعة، فالعادة في تصور الناس أنهم يحرصون على النظافة للصلاة ولا يربطونها بدورها في الوقاية من الأمراض، فكما أن الزكاة توجيه للوقاية من الفقر بمزيد الإنفاق فالوضوء والغسل وغسل اليدين قبل الأكل توجيه لمزيد من النظافة للوقاية من المرض، ومن وجوه التعاون عليها وتيسيرها على مستوى القرية الوعظ بهذه الحقائق وأمور عملية كتشغيل حمام مسجد القرية؛ وقد اتفقنا مع المعلمين والمعلمات في القرية ومع طبيب المستوصف على أن نتحدث إلى التلاميذ عن السلوكيات الفردية من أجل النظافة وعن الدور الذي يمكن أن يقوموا به لتوعية عائلاتهم، وكيف أن الدين أمر بالنظافة، ولابد من الوعي بعلاقتها بالصحة، مع الخروج بالتلاميذ مرة في الشهر إلى القرية للنظر في ما يمكن أن يقوموا به من عمليات تدخل في النظافة لحفظ الصحة، ولاسيما في موضوع الماء والهواء.

ب) الوقاية من المرض بتحسين البيئة

يعيش الناس في بيئتهم عيشة معتادة ولا ينتبهون إلى أثرها عليهم إذا كان فيها ما يضر، وهي أمور لو نظرنا في الدين لوجدناها كلها مذكورة في الأوامر أو النواهي أو المكارم، رأينا أن الاهتمام بالنظافة جزء من العناية بالبيئة، وقد شهد أهل القرية أن مشروع القاطنين الأجانب في القرية في ما يتعلق بالتصريف الصحي وإقامة الميضاءات سائر في الإنجاز، وكان له دور في لفت انتباه الناس إلى جانب ساروا فيه على العادة وله أثر سلبي على صحتهم التي هي جزء من حياتهم الطيبة. فبالإضافة إلى ما ذكر، طلبنا من حارس الغابة أن يأتي إلى المسجد ليحدث الناس على أضرار إفقار الغابة بالقطع المسرف للأشجار الخضراء، مع أن بإمكانهم الاستفادة من الأشجار اليابسة، وكذا الصيد

غير المرخص لبعض الحيوانات، كما استدعينا المرشد الفلاحي ليتحدث للناس عن أمور تهم البيئة، ولاسيما التمييز بين الأسمدة الطبيعية وغير الطبيعية وعن الأدوية التي تستعمل للنباتات وكيفية التعامل معها، وعن دور الحشرات في توازن البيئة، كل هذه التوجيهات كانت مناسبة لمواعظ تُبصّر السكان بعجائب خلق الله في أرضه، وكيف ينبغي فهم المقادير التي عليها عناصر الأرض وبيئتها.

ج) الوقاية من المرض بممارسة الرياضة

قد يكون من المستغرب أن يطلب من الناس في بيئة قروية أن يقوموا بالتمارين الرياضية لحفظ صحتهم والحالة أن العاملين في القرية يقضون النهار في الحر والبرد وهم يشتغلون أشغالا تؤديها أيديهم وأرجلهم في الهواء الطلق في الغالب، والنساء يقضين النهار وجزءا من الليل وهن عاكفات على أشغال الدار وأشغال قضاء عدد من المآرب في البيت وخارج الدار، غير أن الأمر لم يعد على هذا النمط في كل الأحوال، لذلك وجب التنبيه إلى أمور منها عدم إعفاء الأطفال مما يناسب من الأشغال لمجرد أنهم يذهبون إلى المدرسة، ومنها الحرص على تعليم البنات أشغال البيت، ومنها التنبيه إلى أخطار السمنة بالنسبة للرجال والنساء، ومنها ضرورة إنشاء فرق للمنافسة الرياضية في مختلف الألعاب، بالنسبة للجنسين في مختلف الأعمار.ومنها إظهار الفوائد الروحية والصحية للمشي إلى المسجد، مع تنبيه الجميع إلى أهمية التنفس العميق عدة مرات كل يوم.

د) الوقاية من المرض بتجويد التغذية

بالغذاء ينمو الجسد ويصح ويتجدد في مختلف مراحل حياة الإنسان، والمهم في الطعام أمور منها ثلاثة، المقدار والجودة والوقت، وقد

بيّن القرآن الحكمة في الطعام في قوله تعالى : (وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُوٓاْ)[1] فوجب تنبيه الناس في الخطب والمواعظ إلى هذا التوجيه الرباني الجامع، فلولا خطورة هذا الأمر ،أمر الطعام، لما ورد فيه أمر قرآني، أمر يؤكد على الأكل وعلى الشراب، وينهى عن الإسراف، والناس في الغالب يسرفون في الطعام ويقللون من شرب الماء، والإسراف المنهي عنه يجري على القدر والإيقاع والوقت، والتغذية مبنية على العوائد عامة، بيد أن تغيير بعض العوائد من الصعوبة بمكان، فبعض الطعام المعتاد فقير في المواد المغذية وبعضه أقل فقرا، وقد توجد في البيئة مواد أغنى لا يُلفت لها، وقد تضيع عناصر مغذية من الطعام بسبب طريقة الطبخ، وللأحوال النفسية دور في الاستفادة من الأكل، كما أن للتوترات العاطفية دور في الأكل بسرعة لا تعين على المضغ والهضم، وكل هذه الجوانب سبقت السنة إلى الإرشاد إليها، وهي معروفة اليوم عند المختصين في التغذية التي أصبحت مبحثا قائما بذاته، والتوجيه القرآني إلى الاعتدال هو مدخل هذا الأمر الخطير في حياتنا اليومية، ويهم الرجال كما يهم النساء، ولذلك لا يجوز أن يغيب عن الوعظ، بل يجب أن يعالج من ضمن تربية قارة.

هـ) الوقاية من المرض بتجويد النوم

جعل الله النهار معاشا والليل سباتا، جاءت السنة المطهرة بكراهة السهر بعد وقت صلاة العشاء، وأظهر طب النوم أن الساعات الأولى في الليلة هي وقت النوم الأفيد، فالنوم حاجة ضرورية للجسد كالغذاء، والنوم بدوره تختلف حاجة الأجسام إليه، ولكن الحاجة إليه تهم الكم والكيف، والتنبيه إلى ذلك من مهمة الوعظ لما للنوم من تأثير على

[1] - الأعراف: 29.

الصحة الجسدية والعقلية والنفسية. فقلة النوم تتسبب في عدد من أنواع الخلل في جسم الإنسان ومردوديته وقدرته على الحكم والتصرف السليمين. وقد نقص نوم الناس عموما بسبب سهرهم، وما أحرى المسلمين بأن يستنيروا بهدي دينهم في أمور الدنيا، وقد أظهرت معارف الناس في هذا العصر أن هذا الهدي صواب في كل شيء، ومنه مسألة النوم، ففي هذه المسألة وفي غيرها لا يجوز أن يترك الناس دون توعية برأي الدين، ولا بأس بأن يشار إلى الأمور التي جاء العلم ليؤيدها، ولا تجوز الاستهانة بأي منها، لأن الحياة الطيبة هي جزئيات كاللبنات المتعددة في بناء متكامل.

و) الوقاية من العنف داخل العائلات

تذاكرت مع السيدة المرشدة حول هذه المسألة وحول إمكان تقصيها بالكياسة المطلوبة لمعرفة مدى وجود ظاهرة العنف داخل العائلات حتى لا نثير الكلام عن أمور لا وجود لها أو حتى لا نبالغ بالنسبة لما هو موجود، والمقصود بها العنف بين الأزواج والعنف ضد الأطفال.

وبعد شهر من مذاكرتنا أخبرتني بوجود أربع حالات عنف يسمع بها الناس، تتعلق الأولى بزوج تزوج زوجة ثانية ويقع له أن يضرب زوجته الأولى أم أولاده لأنها لا تنفك تلومه وتحرض ضده الأولاد؛ وتتعلق الحالة الثانية بزوج يضرب زوجته مدعيا أنها لا تعامل أمه المعاملة اللائقة، وتتعلق الحالة الثالثة بزوج يشك في نزق زوجته في التعامل مع الرجال في القرية، وإذا نهرها قالت: إنما أضحك في وجوههم لأنك أنت لست رجلا، وتتعلق الحالة الرابعة بزوج ماتت زوجته الأولى وتزوج ثانية تزيد سنه عن سنها بأربعين عاما، وهو الآن بشأنها فريسة الوساوس، وقد وضعها

في سجن الدار لا ترى أحدا، ويروج أنها تثور في وجهه فيضربها، وقد حضر أهلها مرارا لإصلاح ذات البين.

وقد ذكرت السيدة المرشدة أن عددا من النساء ذكرن لها على انفراد أنهن كن في بدايات زواجهن يتعرضن لعنف الأزواج، وأنه مع كبر الأولاد لم يعد يقع مثل ذلك، وأن ما يروج من الحديث عن القانون واستنكار العنف وحيثيات مدونة الأسرة ومسألة الطلاق للشقاق لربما كان له أثر في تراجع ظاهرة العنف.

أما العنف ضد الأولاد فلا يمكن توضيح الصورة المتعلقة به، لأنه في تصور الناس يدخل في لوازم التربية. ولكن حالة سيئة من العنف وقعت في القرية مؤخرا، وتتعلق بوالد ضرب ابنته الشابة التي غادرت المدرسة في نهاية الإعدادي ضربا قاسيا لأنها سافرت إلى المدينة عند أقاربها وتخلفت بيوم عن موعد الرجوع، وقد أوثقها وهددها بالقتل حتى تدخّل بعض معارفهم.

تذاكرت مع الأئمة ومع المجموعة المكلفة بالأسرة في موضوع العنف داخل الأسر، فأكد أعضاء المجموعة أن الظاهرة تراجعت، ولكن الحديث يدور حول خلل في الاتجاه الآخر، إذ أن النساء صرن عموما في هذه القرية أكثر جسارة من ذي قبل حتى إن بعضهن يفعلن ما يردن بالرجال وهم صموت. اتفقنا على علاج الحالات الأربع، وذلك بوعظ مكتوم للرجل في حالتين وللمرأة في حالتين أخريين، مع التتبع للحصول على النتيجة المرجوة.

ز) الوقاية من تأخر سن الزواج بتشجيع الزواج

اشتغلنا مع مجموعة العائلة على هذه الظاهرة الأخرى، وهي عزوف الشباب عن الزواج وتأخر زواج الفتيات عن الأعمار المعتادة سابقا. في علم الشباب الذين يتعاونون مع جماعة المسجد أن عدد الفتيات اللائي

تأخرن عن السن المعتادة للزواج، أي قبل سن العشرين، يزيد عن الثلاثين وأن هذه الحالة تكاد تغير أمورا كثيرة في حياة القرية، لأن الذي درج عليه الناس من قبل هو أن ينتظروا أن تخرج البنت إذا شبت من دار أمها وأبيها إلى دار الزوج وأن يفرحوا بعرسها ثم بإنجابها، أما الأولاد في القرية وهم على نفس الحالة أي التأخر عن سن الزواج، فلم يكونوا يعانون مثل الفتيات بسبب حريتهم في التحرك والتصرف.

وقد رأينا، أنا والإمام الخطيب، أن نتحدث عن الموضوع تمهيدا لما يمكن أن يكون فيه من تدبير عملي، فقلنا في الخطبة والموعظة ما مجمله:

- إن السنة المطهرة قد أكدت على الشبان أن يقدموا على الزواج متى وجدوا القدرة المادية الضرورية عليه؛
- إن هذه القدرة المادية لم تكن فيها المبالغة التي فيها اليوم؛
- إن الزواج يحفظ صحة الجسم والنفس والعقل والدين لدى الرجل والمرأة على السواء؛
- إن عدم الزواج حرمان للذكور والإناث من أمور تدخل في الطيبات؛
- إن قلة الزواج ثغرة في حياة المجتمع تتسرب منها كثير من الشبهات والفتن؛
- إن الذي تسبب في الحالة التي يعيشها المجتمع من العزوف عن الزواج هي الشروط التي يحكمها التصور الطارئ لإقامة الأسرة، وهي كثرة تكاليف العرس والمسكن والفراش وأمور أخرى من لوازم العيش المستجد؛
- إن هذا التصور لا أصل له في تصور الدين للحياة، إذ تصور الدين مبني على الكفاف والصون والشكر والعفاف؛

- إن المجتمع يملي على الناس شروطا ترهقهم لأنها مبنية على الهوى، ومنها العناد والمباهاة والتنافس في المظاهر؛
- إن على المجتمع أن يراجع سلوكه في هذا المجال وينقذ نفسه بنفسه.

وقد تذاكرنا مع أئمة الجماعة وشبابها وقررنا أن نسعى إلى خرق هذا الجدار ما أمكن في التصور الاجتماعي لشروط الزواج، وذلك بأن نقوم بإقناع شابين وشابتين وعائلاتهم الأربع بأن يتزوج كل شاب وشابة بصداق رمزي في حفل رمزي ويبقى كل واحد على نفقة والديه وأن يكون لكل زوجين مأوى بسيط عند أهله وعند أهلها، ويبقيان كذلك إلى أن يتوفر لهما الحد الأدنى من الوسائل للاستقلال، على أن يحرصا كل الحرص على برمجة حياتهما الإنجابية إلى ما بعد الكفاف الضروري ولو اقتضى الأمر الانتظار عدة سنوات.

نجحنا في إقناع الشابين والشابتين وعائلاتهم، ولعبت السيدة المرشدة دورا كبيرا في هذا الإقناع، وكنا متأكدين أن هذا المثال يمكن أن يحتذى في القرية وخارجها.

لم نكتف بهذا الأمر والتمسنا من مجموعة المسجد المكلفة بالأسرة أن تجعل تشجيع الزواج من أولويات مساعيها.

ح) الوقاية من الطلاق بتوعية النساء والرجال

بينما كان يتعين على مجموعة شئون الأسرة أن تعمل على تشجيع الزواج، كان عليها من جهة أخرى أن تحرص على وقاية القرية من الطلاق، وتبين أن التوعية اللازمة للوقاية تهم الرجال والنساء على السواء.

أما ما يتعلق بتوعية النساء فهو موكول إلى عمل السيدة المرشدة، وقد تذاكرت معها ووجدت أنها تركز توجيهها على تصور المسئولية متقاسمة بين النساء والرجال في ما يقع من حالات الطلاق، وأن الشعور الذي ينبغي أن يستيقظ عند النساء هو محاسبة النفس والحرص على عدم التفريط من جهة المرأة في ما نص عليه الشرع من رعاية المودة والرحمة وسكون كل إلى الآخر، فالمجهود الخارق المطلوب من المرأة في القيام بلوازم البيت والأولاد ينبغي ألا ينسيها انتظارات الزوج وأنانيته في ما هو مشروع، علما بأن المرأة بعزيمة مقرونة باللطف يمكن أن تُسعد الرجل وتسدد أحكامه وسلوكه، إذ لها سحرها لذلك.

وقد ذكرت السيدة المرشدة أنها تعمل لإقناع النساء بأنهن يمتلكن هذا السحر إن لم يفرطن فيه، ومن حالات التفريط الاستكانة إلى السلطة على الرجل بإنجاب الأولاد والإعراض عن طلبات الرجل كزوج، كما كررت حديثها لهن عن الصبر مقرونا بالعزة، وأنه هدي الشرع، ومنه أن يحتسبن صبرهن لله وألا تكون المرأة أول من يطلب الطلاق، وألا تجاري الرجل انفعالا بمجرد ذكر الطلاق.

أما بالنسبة للرجال فقد اتفقت مجموعة الأسرة على أن تقوم بالمساعي اللازمة كلما راج في القرية أن رجلا يعتزم الطلاق.

ط) إقامة مجموعة لإصلاح ذات البين

ومن أجل التدخل في حالات نية الطلاق من جهة الرجال أو حالات النفور من جهة النساء وحالات النزاع بجميع أنواعه، سواء في المعاملات أو في أنواع الإضرار أو سوء التفاهم، قررت المجموعة أن يكون من أولى مساعيها إصلاح ذات البين عملا بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا

ذَاتَ بَيْنِكُمْ)[1]، وذلك بالنظر في وجه النزاع أو الخلاف والعمل على جبر الضرر وإصلاح الخواطر وإبعاد جو البغضاء والعداوة. وتمنوا ألا يكون في القرية مستقبلا من يرتكب ما يجعله يلجأ إلى القضاء أو يرفع بجاره دعوى تجر عليه عقوبة من العقوبات.

أقامت المجموعة بعد عصر يوم أحد مأدبة في المسجد وأعلنت عن إنشاء المجموعتين، مجموعة العمل لإبعاد حالات الطلاق خاصة ومجموعة لإصلاح ذات البين عامة. وظهر على الناس الاستبشار بذلك ورضوا عن المرشحين لهذه المهام لما لهم من الاحترام بين الناس.

ي) محاربة الرشوة

كنت حريصا في المواعظ وفي مواضيع الخطب التي أتعاون فيها مع الخطيب على ألا نتطرق للآفات الاجتماعية التي ليس لها أثر كبير في القرية، ولكن ما كنت أسمعه من الأخبار تتضمن وجود حالات من الرشوة تعرض لها بعض السكان أو عرضوها على بعض العاملين في إدارة الجماعة أو الإدارة الترابية أو القضائية أو غيرها، ومعظم هذه الرشاوى يُطلب أو يقدم للوصول إلى حقوق بسيطة كالحصول على الأوراق الإدارية، ولكن بعضها يقدم أيضا للسكوت عن خروقات في قوانين بعضها ليس في أصله قابلا للتطبيق.

تذاكرت في هذا الأمر مع بعض الشباب فقال أحدهم: لو أشعنا الأمر لكان فيه إثارة حساسية العاملين في الإدارة لأنهم سيحملونه على أنه اتهام عام، ولكنني سأدبر تدبيرا خاصا لا يعلم أحد بمصدره؛ وهكذا قام الشاب بالفعل بالتحقق من أحد السكان بأنه أعطى رشوة لشخص في الإدارة في موضوع معين، فحرر الشاب هذا الخبر بهذه الصيغة: "

[1] - الأنفال:1.

يشكر الناس في جماعة كذا العاملين في جميع الإدارات والمصالح على تفانيهم في خدمة الناس بالإصلاح إلا شخصا واحدا لا نذكر اسمه الآن يسيء إلى هؤلاء، ومن جملة فعله أنه أخذ رشوة من شخص في قرية كذا يوم كذا قدرها كذا في موضوع كذا، والناس على علم بذلك، وإذا استمر هذا الشخص في أخذ الرشوة فإن الناس سيكتبون إلينا باسمه وبأسماء الشهود ونضطر إلى النشر".

نشر هذا الشاب الخبر في موقع إعلامي ينشر أخبار الإقليم، وتسامع به الناس، ومنذ ذلك اليوم قلت حالات الارتشاء أو انعدمت.

ك) الاحتياط في استعمال شبكات المعلومات

تذاكرت مع أحد شبان القرية في هذا الموضوع وقال:

"في مدة سنوات لا تزيد عن عشر صار معظم من في القرية يملكون ويستعملون الهاتف النقال، وصار معظم هؤلاء اليوم يستعلمون هواتف لا تتيح مجرد الهاتف والتواصل السمعي بل صارت تتيح التخاطب وإرسال الصور والدخول إلى شبكات المعلومات وقراءة محتوياتها مكتوبة ومرئية ومسموعة، وهذا ينطبق على الجميع إلا بعض الشيوخ المسنين من الرجال والنساء والأطفال الصغار؛ والمستعملون في معظمهم من الأميين أو من مستويات ابتدائية من التعليم، والرجال والنساء من هؤلاء يستعملون في خطاباتهم المتبادلة اللغة المحلية مكتوبة في الغالب بالحروف اللاتينية في الغالب، إنها ثورة عجيبة ".

قلت: لا شك أنه تطور في التواصل أتى بفوائد مباركة، ولكنه جر الإنسان في نفس الوقت إلى سلوكات فيها مضار محققة، فالأمر كله يدور على الإنسان الذي يستعمل عقله وقدراته إما في الخير وإما في الضرر لنفسه أو لغيره، فهذه الوسائل مفيدة إذا تواصل الناس بها في ما يفيد من الأخبار وتعاملوا بها في ما ينفع من الأغراض والمبادلات

والخدمات والتجارات وإذا سمعوا أو شاهدوا في مواد المواقع ما يفيدهم من أفواه العلماء العدول والمختصين الفاهمين والعارفين الصادقين، أما الكذب والزور والنميمة والوقيعة والشتيمة وإشاعة الفاحشة فإنها بلايا قديمة كانت مستورة وصارت مشهورة أتيح لها اليوم واسع الانتشار، ولاسيما وأن الخلوة مع هذه الوسائل هي بمقدور كل إنسان، الرجل والمرأة، الكبير والصغير، القارئ والجاهل، المتحفظ والفاجر.

قال: رأينا أن بعض وسائل التواصل هذه قد مكّنت من وصول خبر القرية في إصلاحاتها إلى أشخاص بعيدين صاروا يتابعون ويستفيدون ويعينون، وحتى بعض من لا يستطيعون الحضور للمواعظ في المسجد صاروا في بعض الأحيان يتتبعونها ولو باختصار بواسطة من كانوا حاضرين ينقلونها، وهذا وجه من الاستعمال الرشيد المفيد لهذه الوسائل.

اتفقتُ مع الخطيب على خطبة يكون موضوعها عامة بيان المنافع والمضار لاستعمال الهاتف في الدخول إلى شبكات التواصل الاجتماعي، وقد بنيناها على قوله تعالى: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْماً بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ) (الحجرات 6).[1]

بعد الخطبة ألقيت موعظة في الموضوع شرحت فيها التوجهات الدعائية لبعض المواقع الإليكترونية مع إيراد أمثلة، وذكّرت الناس على الخصوص بمسئولية المؤمن في استهلاك البضائع الإعلامية المعروضة على هذه المنصات، ومنها البضائع المتعلقة بالدين، كما ذكرت أن هنالك مواقع خاصة تتجر في الدين على سبيل السياسة الضيقة أو الارتزاق ، ومنها مواقع تتجر بالدين على سبيل الشعوذة، واستندت إلى الأثر

[1] - الحجرات:6.

المروي عن ابن سيرين والذي قال فيه :" إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.[1]" وعلى قوله ﷺ: " يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين"[2].

وتذاكرت مع السيدة المرشدة في الموضوع، وقالت: العجيب أن النساء اللائي يحضرن المجالس عندي أكثر افتتانا بوسائل التواصل هذه، وبعضهن لا يطقن الانتظار حتى نهاية اجتماعنا إذا جاءتهن مكالمة، وبعضهن يضعن علي، على انفراد بعد الاجتماع، أسئلة تدل على تحيرهن أمام أمور يستمعن إليها أو يشاهدنها على هذه المواقع.

كان كل الكلام يصب في وجوب شكر الله على نعمة هذه الوسائل لما فيها من المنافع وأن من جملة الشكر استعمالها في كل ما يفيد وتجنب استعمالها في ما لا يفيد. وقد اقترح شباب المسجد أن تتكون شبكة تواصل باستعمال هذه الوسائل بين الأئمة الثلاثة وبيني من جهة، وبين من أراد من الجماعة من جهة أخرى، لتبادل بعض الخطابات القصيرة أو لتبادل الأسئلة، لاسيما حول العبادات والمعاملات وغير هذا من القضايا التي تناولتها الخطب والمواعظ، وكذلك، وعلى الخصوص، حول مشاريع العمل الصالح الجارية في القرية.

3) أنواع التحسينات التي يمكن إدخالها

أ) العناية بالأطفال؛

تم تقديم موعظتين في الموضوع وقع التركيز فيهما على أن مستقبل القرية هو في أطفالها، مع بيان أهمية دور الآباء والأمهات في تنشئة هؤلاء لاسيما في الطفولة الأولى وكذا دور البيئة الاجتماعية، أي القرية، وأنه

[1] - رواه مسلم في صحيحه، باب في أن الإسناد من الدين.

[2] - رواه ابن عبد البر في التمهيد: 1/ 29، 59.(المقدمة).

إذا صلحت أحوال القرية المعنوية والمادية فإن ذلك سيؤثر في الأطفال، لأنهم في نموهم التربوي يلتقطون كل الأمور الجارية ويفهمونها سواء كانت موجهة لهم أو لا، فيكون لها عليهم الأثر الإيجابي أو السلبي، ثم إن هنالك طرفا آخر له دور خطير في تربيتهم وهو المدرسة، أي دور المعلمين والمعلمات ودور مجموع المحيط المدرسي، ثم إن مفتاح تربية الأطفال أربعة أمور ينبغي أن تكون حاضرة في أذهان كل المسئولين عن هذه التربية، وهي:

1. الاعتدال في معاملتهم: لا عنف ولا إكراه ولا إفراط في التخنيث والدلال؛
2. الصرامة في التعامل معهم على أساس القيم المرجعية للتعامل في المجتمع والتي يسميها العامة عادة " المعقول ":
3. تعليمهم الحياة على أنها عطاء وأخذ، فلا محل لطلب عطاء بلا مقابل ولا محل لعطاء لا ينال من يبذله مقابله العادل؛
4. تعليمهم الحياة على أنها تحمل مسئولية النفس والأهل والجماعة على قدر النمو والاستطاعة، ومن هذه المسئولية الاشتراك منذ السن المبكرة في الأشغال المنزلية والجماعية والإنتاجية.

وفي شأن العناية بالأطفال تقرر، انطلاقا من المسجد، قيام مجموعة الأسرة بمبادرات منها:

- الحوار المستمر مع المعلمين في شئون الأطفال الدراسية والسلوكية واستضافتهم من لدن الجماعة مرة في الشهر؛
- إشراك القائمين الصحيين في المستوصف على متابعة المشاكل الصحية لبعض الأطفال، ولاسيما في ما يتعلق بالسمع والبصر

والأسنان وسلامة النمو، واستضافة هؤلاء ممن طرف الجماعة مرة في الشهر؛

- إبلاغ الآباء والأمهات بآراء المعلمين والقائمين على الصحة في أولادهم؛
- إشراك الشباب في إعانة بعض التلاميذ الذين يعانون صعوبات دراسية؛
- إيجاد حلول لبعض التلاميذ المنقطعين لعلهم يستأنفون، مع إعانة الآباء إذا كان الانقطاع بسبب احتياج الوالدين، ومراعاة حالات البنات خاصة؛
- النظر في بيئة نزول بعض الأطفال الذين يحفظون القرآن في كُتّاب المسجد الكبير وتحسين بيئة الإقامة والمذاكرة مع المدرس بشأن العمل على اختصار مدة الحفظ حتى يلتحق هؤلاء بالتعليم العتيق في أصغر سن ممكنة وفي أقرب مدرسة؛
- شراء الحاجيات الضرورية للأطفال المحتاجين؛
- شراء لعب مسلية ونافعة للأطفال في مناسبات مثل عاشوراء؛
- شراء الجوائز للمتقدمين في النتائج في آخر العام الدراسي؛
- تقديم عناية مماثلة لتلاميذ القرية في الإعداديات والثانويات الموجودة خارجة القرية؛
- تشجيع الأطفال على تنظيم المباريات والمسابقات في الرياضة وغيرها؛
- قيام السيدة المرشدة بالدخول مع السيدات في القرية في مواعظ وحوارات وتوضيحات تتعلق بالبنات، ولاسيما من هن في سن المراهقة.

- الحرص التام على حماية الأطفال من الشذوذ والإدمان والانحراف.

ب) العناية بالعجزة

توجد في القرية حالات عجز تستدعي العناية وتشمل:

- من ليس لهم أبناء أو أقارب يرفدونهم حسا ومعنى؛
- من تغطي الزكاة مصاريفهم الضرورية ويحتاجون إلى عناية مادية محدودة زائدة في بيوتهم؛
- من لا يحتاجون إلا إلى العناية النفسية لاسيما في المناسبات؛
- من يعانون من الشيخوخة أو من مرض مزمن.
- حددت المجموعة لكل حالة ما يناسبها من العناية ومن يتولاها.

ج) العناية بالأرامل

- شكلت الأرامل فئة خاصة ممن وجبت وتقررت لهن العناية، وفي مقدمتهن ذوات الأيتام، وعددهن لا يتعدى ستا.
- أُعطيت لهن الأولوية، وذلك من خلال مبادرات من قبيل:
- النظر في إمكان تزويج من يمكن منهن تزويجهن؛
- إعطاء الأسبقية للأولاد من جهة التمدرس ومتابعتهم؛
- إعطاء الأسبقية للأولاد من جهة حمايتهم من الانحراف؛

د) تنظيم دورات ختان

جرت العادة في القرية بأن يقوم بعض الموسرين، من عائلة واحدة أو أكثر، بإقامة حفل ختان لأولادهم كلما حان الوقت للأكبر (حوالي خمس سنوات) وقد ولد بعده من هم أصغر، وذلك في أيام العائلات الكبرى التي تتكون من عدد من الإخوة مع عدة من أبنائهم المتزوجين الذين يولد لهم الأبناء، فيتعين عليهم كل عامين أو ثلاثة أعوام أن

ينظموا حفل ختان، وهو احتفال بهذه السُّنة التي هي الختان؛ أما من هم فقراء أو هم أقل غنى فينتظرون هذه المناسبة، ختان أولاد الأغنياء، ليقدموا أولادهم للختان على يد الحجّام (الحلاق) الذي يُستدعى لذلك الغرض.

أما اليوم فقد ظل الختان مصحوبا بالاحتفال، ولكن عملية الختان نفسها يُلجأ فيها عموما إلى الطبيب أو الممرض العارف أو الحجّام بعد أن كان الأمر مقتصرا على الحجّام، والأمر يتطلب مصاريف، ولذلك قررت جماعة القرية أن تتعاون عليه باختلاف إمكانات العائلات، حفاظا على هذا المظهر الذي يقوي وشائج التقارب والتراحم حول سُنة من سنن الدين يربطها الضمير الاجتماعي بالتطهر.

هـ) تقديم أُضحيات العيد

تعد أضحية العيد مظهرا آخر يجمع بين البعد الاجتماعي المصحوب بالاحتفال وبين العمل بسُنة مطهرة هي سنة الأضحية، فوجب الوعظ بأن المقصود ليس هو لحم الأضحية، ولكن المقصود هو استحضار معنى التضحية في الأخلاق السامية للأنبياء ممثلين في أبيهم إبراهيم عليه السلام، ولله أيام تلتقي فيها الأمة انطلاقا من قيمها في التوجه إلى الله تعالى بما أمر، وقد كان السلف يحرصون على ذبح الأضحية بهذا المعنى وكان الذي يذبحها يأخذ من لحمها ويقدم شيئا منه لمن لم يذبح، وفي هذا العصر اتخذت الأضحية بعدا اجتماعيا أكبر بحيث يحرص كل بيت على أن يذبح الأضحية بالرغم من الكلفة والتكلف بالنسبة للبعض، ذلك لأن العائلات تحيط الأضحية بطقوس لا تتحمل حرمان الأطفال من المشهد والانتظار، وهو بعد يظل يربط عموم الأمة بهذا المعنى السامي في وقت أخذت فيه قلة قليلة من العائلات تترك هذه السنة تفريطا وليس بسبب الاحتياج.

حيث إن هذا المعنى مترسخ حتى بأبعاده الاجتماعية فإن الجماعة قررت أن تتعاون على تمكين الأسر القليلة التي لا تملك أن تشتري الأضحية من أن تعيش هذا المعنى كما تحب أن تعيش يوم العيد، واقترحوا أن يتم التوسل لمربي الأغنام بتقديم بعض الرؤوس لهذا الغرض على أن تبيعها وهي صغيرة بثمن منخفض للجماعة قصد تقديمها للأسر التي تحتاج وهي تقوم برعيها وعلفها شهورا حتى يحين موعد العيد وأن يرعى البعض للعاجزين.

و) إحياء ا لأعياد والمناسبات

وكذلك تقرر اغتنام فرصة الأعياد الدينية بصفة عامة لتقوية وشائج الأخوة والتضامن وعدم تضييع المظاهر الثقافية التي تصاحبها لما لها من دور في دعم الروح الجماعية. وفي هذا الاتجاه اتفقنا، أنا والخطيب، على أن يتناول في إحدى خطبه أهمية المحافظة على الفرح بأيام الله وعلى ما يصاحبها في هذا الوسط من المظاهر الثقافية للاحتفال بالأعياد والمناسبات، ما لم يكن فيها ما هو محرم قطعا، مع التنبيه على أن فكرا متشددا غريبا عن ثوابتنا يشوش على الناس في هذه الأمور دون وعي بالعواقب التي هي إفقار لحياة الدين كما يعيشها الناس بمرح وأريحية.

ز) تجهيز الموتى و إقامة المآتم

الوحدة أمام الموت والتعاون بين جماعة القرية في تحضير الموتى ودفنهم ومواساة أهل الميت أمر قائم على الدوام، ولم يشهد أي تراجع مثل ما وقع في بعض جوانب الحياة الأخرى، لكن جماعة المسجد عملت على مزيد العناية بهذا الجانب في بعض الأمور الإضافية ومنها:

- الحرص على توفير قطع من ثوب الأكفان في المسجد الكبير؛

- إحاطة المقبرة بسور يحفظ القبور من تسرب الوحوش من الغابة المجاورة؛
- تنظيف المقبرة من الأعشاب؛
- رسم صفوف لحفر المقابر في المساحات الفارغة؛
- إحضار عدد من صفائح الأحجار التي تغطى بها المقابر؛
- إرجاع الطريقة المتبعة في الدفن بالذكر والدعاء جهرا عند حمل الميت في الطريق إلى المقبرة وقراءة القرآن حين الدفن والختم بالدعاء مع إبعاد الفضوليين الذين يسعون إلى تبديل هذه السنة؛
- حث الناس على عدم المبالغة في مخالفة المألوف ببناء بعض المقابر الجديدة بالإسمنت وكتابة الاسم والتاريخ عليها.

ح) إرشادات للنساء تتعلق بالاقتصاد العائلي (يدخل في برنامج السيدة المرشدة) ومن مظاهره:

- الحرص على الاقتصاد في الكهرباء وتربية الأولاد على ذلك؛
- الحرص على الاقتصاد في الماء وتربية الأولاد على ذلك؛
- الحرص على الاقتصاد في استهلاك الغاز أو الحطب وتربية الأولاد على ذلك؛
- الحرص على سنة إكرام الإناء وتربية الأولاد على ذلك؛
- الحرص على تجنب الإسراف في كل شيء؛
- الحرص على غسل اليدين قبل الأكل حرصا على الصحة؛
- تربية الأولاد على ما يكسبهم المناعة ضد تغيرات الطقس منذ سن مبكرة؛
- استعمال المواد الطبيعية في الغذاء ما أمكن؛
- الطبخ بطريقة تحفظ للمواد الغذائية محتواها؛

- عدم الإكثار من أكل المعجنات؛
- التقليل من استهلاك السكر ما أمكن؛
- التقليل من أكل الملح في الطعام؛
- تعلم الوصفات الغذائية الأقل كلفة والأنفع صحة والخروج من التقليد الذي في بعضه مخالفة لما ذكر؛
- الاحتياط في استعمال الأدوية عامة والامتناع عن تناول ما لم يصفه الطبيب؛
- الحرص على الأكل في أوقات محددة وعدم الأكل في ما بينها وأن تكون الوجبات متباعدة، لاسيما بالنسبة لوقت النوم؛
- الإكثار من شرب الماء وتجنب البارد المثلج؛
- حسن حفظ المواد الغذائية والأكلات في المبرد.

اتفقت مع الأئمة على تنظيم مأدبة في المسجد الكبير بعد عصر يوم الأحد، وحرصنا على أن يحضرها أكثر الجماعة ولاسيما المجموعات المعتنية بجوانب العمل الصالح، وألقيت في الجمع موعظة كانت كلها تذكيرا بما سبق الوعظ به، ومن عناصرها:

- التوجه إلى الله تعالى بالشكر على ما هدانا إليه في هذه القرية من تثبيت إيمان الناس بشرح مضامينه وتذكيرهم بمعانيه؛
- التوجه إلى الله تعالى بالشكر على ما هدانا إليه من التذكير بالصلاة وبثمراتها في بناء التقوى في النفوس ومن الأثر في النهي عن الفحشاء والمنكر؛
- التوجه إلى الله تعالى بالشكر على ما هدانا إليه من المسارعة إلى العمل الصالح في جوانبه التي تم الاتفاق عليها والانتداب إليها؛

- التوجه إلى الله تعالى بالشكر على أن هدى جماعة القرية إلى الاستماع إلى ما ألقي عليها وبُلِّغ إليها مما تعلق بأمور الهداية إلى سبل الإيمان والتقوى؛
- التوجه إلى الله تعالى بالشكر على ما هدى إليه الجماعة من فهم ما ألقي عليها بخصوص ثمرة الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر والقيام بالعمل الصالح؛
- التوجه إلى الله تعالى بالدعاء على ما هدى إليه الجماعة من الاستجابة للتبليغ؛

كل هذا يؤهلنا اليوم إلى فهم العمل الجاري في القرية بخصوص ما ينفع الناس على أنه في صميم العبادة، ذلك أن الناس يظنون العبادة محصورة في الأقوال، وعلى هذا نشأوا، وترتب عن ذلك أنهم يعيشون كثيرا من جوانب حياتهم وكأنها أحوال لا علاقة لها بالدين، ويأتون عبادات من الدين وكأن الله يريدها لنفسه؛

هذا الانفصام بين الدين والحياة مرده إلى غفلة الناس عن التعبد بالعمل، في حين أن العمل هو في صميم التعبد، لذلك جاء مقترنا بالإيمان كشرطين للحياة الطيبة الموعودة، والقصد هو العمل الذي ينفع النفس وينفع الآخرين على اختلاف درجات قربهم من المتعبد؛

وحال القرية اليوم، وهي منشغلة بأنواع العمل لصلاح أهلها هي حال التعبد والتقرب والتحبب إلى الله تعالى في كل حركاتها وسكناتها؛

وكلما نفعنا أنفسنا بالعمل، مهما كان قليلا، بما يرضي الله تعالى، كلما ازددنا ذكرا وشكرا وصبرا، وكلما أمِنّا التراجع عن حالنا والانتكاس في قصدنا؛

ولهذه الجماعة المباركة أن تنتبه إلى أن الناس بجوارها يتحدثون عما يجري فيها، ولعل عددا من الناس من جيرانكم يتشوفون إلى ما

يشبه حالكم، وتصوروا الأجر الذي يعود إليكم والذكر الحسن الذي يكون لكم عند الله وعند الناس، والرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام يقول: "... فو الله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم"[1]

[1] - متفق عليه: رواه البخاري، باب فضل من أسلم على يديه رجل، ومسلم في فضائل علي بن أبي طالب.

خمس خواتم

الخاتمة الأولى: الموت والحياة

يفهم المؤمن الدين فهما صحيحا بقدر حضور فقه الموازنة بين الموت والحياة في ضميره وتصرفه، فلا أحد من الناس ينكر الموت، ولكن المؤمن يؤمن بالحياة الأخرى بعد الحياة الدنيا، وهي ليست نقمة، وإنما هي دار تُوَفَّى فيها الأجور فضلا من الله لمن شاء بغير حساب، قال تعالى:

(كُل نَفْس ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ ٱجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَٱدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلاَّ مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ) [1] . ومما يعين على فهم الموت فهما صحيحا استحضار الابتلاء في الحياة الدنيا، قال سبحانه وتعالى:

(كُل نَفْس ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً)[2]. وهي معجزة بأجَلها ومكانها اللذين لا يعرفهما إلا الله، قال تعالى:

(وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ اَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰباً مُّؤَجَّلاً)[3].

وقال:

(وَمَا تَدْرِے نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ .)[4]. ومن رحمة من الله بالناس أنه سبحانه أراد لهم ألا يفاجئوا بالموت وإلا هم على ما يرضى، قال تعالى:

(ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)[5].

---

[1] - آل عمران: 185.

[2] - الأنبياء: 35.

[3] - آل عمران: 145.

[4] - لقمان: 34.

[5] - آل عمران: 102.

وحقيقة ما بعد الموت هو البعث الذي لا ينكره إلا الضالون قال تعالى: (وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لاَ يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَّمُوتُ)[1].

ولا تنفع التوبة على حافة الموت، قال تعالى: (وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلـَٰٔنَ وَلاَ ٱلذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً)[2].

وخير التوبة قبل الموت عمل الإنفاق: (وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَّأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ)[3].

يفهم المؤمن الموت من خلال فهم مراد الله من الناس من حيث تأهيلهم للعمل الصالح وهو نفع أنفسهم، وهذا الاختبار هو الابتلاء: قال تعالى: (ٱلذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَالْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)[4].

فالإنسان بطبعه يكره الموت لأن الله جبله على حب الحياة، ولكن الله أخبرنا أنه كتب للمحسنين الخلود في الحياة الآخرة، فالمقبولون عند الله لا تجري عليهم الموت كما يتصورها الكافرون: (وَلا تَحْسِبَنَّ ٱلذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتاً بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)[5].

فالموت هو الحقيقة الكبرى، واستحضارها مرتبط بمشيئة الله تعالى هي بالنسبة للمؤمن جزء من الحياة الطيبة، والغفلة عنها ذهول لا راحة فيه، والاستعداد لها بالإيمان والعمل الصالح، استعداد لا ضنك

---

[1] - النحل: 38.

[2] - النساء: 18.

[3] - المنافقون: 10.

[4] - الملك: 2.

[5] - آل عمران: 169.

فيه ولا حزن، وللمؤمن الراسخ الإيمان أن يقارنه على المستوى الآدمي بموعد لقاء المحبوب، إلا أنه محبوب رحيم ودائم.

الخاتمة الثانية: ما هي الحياة الطيبة؟

غاية التبليغ من خلال الخطبة والموعظة والإرشاد هي تذكير الناس بأن الله تعالى وعدهم بالحياة الطيبة في قوله سبحانه: من (مَن عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُومِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)[1]، وحيث إن المؤمن ذاكر وشاكر وصابر. فلا يمكن أن يتصور هذه الحياة الطيبة سوى أنها حياة الأمن من الجوع والأمن من الخوف وحياة الطمأنينة والمرحمة والشكر والعمل النافع، مع استحضار حكمة الله تعالى في أنه خلق الموت والحياة ليبلو الناس أيهم أحسن عملا، وإذا لم يجد المؤمن هذه الطيبة في الحياة فإن مرد ذلك، كما ذكرنا غير ما مرة، إما إلى نقص في فهم الطريق إليها من خلال الدين، وإما إلى نقص في الاستجابة والعمل، إذا كان قد فهم ذلك، لأن وعد الله حق.

إن السبيل إلى هذه الحياة هي الجمع بين الإيمان الصحيح والعمل الصالح ، الإيمان الذي يبني للمؤمن شخصية ذات شعور قوي بمعنى الحياة من لدن بارئها، حياة تمثل باطني عميق لتوحيد الله وما يترتب عنه من التحرر من سلطة الأغيار البشرية والمادية، تحررا مرهونا بالوقاية من شح النفس بغاية القدرة على محاسبتها وجعلها لوامة ثم مطمئنة، ويمكن شرح شح النفس في فهم هذا العصر بنعت " الأنانية "، فالتخلص من " الأنانية " بالتزكية أي القدرة على المحاسبة، يتأتى من خلال حياة إقامة الصلاة والالتزام بثمراتها في الانتهاء عن الفحشاء

[1] - النحل: 97.

والمنكر والبغي الذي استعرضنا جل مظاهره، وهي حياة العمل الصالح الذي يبدأ بالحرص على إيتاء الزكاة ويمتد إلى أنواع البذل والعطاء، وإلى التواصي بالحق ابتداء من أداء حقوق النفس وحقوق الغير بمختلف مستوياتها، والتعاون على البر والتقوى، والعيش في جو من الذكر والشكر، وكل هذا يجمعه قول عمار ﷺ: " ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك وبذل السلام للعالم والإنفاق من إقتار".

لا يبدو على المسلمين في وقتنا الحاضر أنهم ينعمون، أفرادا أو جماعات، بهذه الحياة الطيبة، بل هم يعيشون، في كثير من الحالات، مظاهر بعيدة كل البعد عن مطابقة هذا النموذج في الحياة الطيبة، ولا يبدو على غير المسلمين، بالرغم من حياة التكاثر والتعقيد في الاحتياطات ومساعي بعضهم الحثيثة إلى العدل والفضائل، أنهم على هذا النموذج، بسبب خلو حياة جلهم من المعنى وبسبب ما يعانون منه من الأمراض والضيق والقلق والاكتئاب والإرهاق والفتن، هذه حياتهم وهي أحسن بكثير من حياة المسلمين في السعي والعمل واكتساب القوة المادية والمواساة، ولكن الغائب في حياتهم هو الإيمان والمعنى الذي يعطيه للحياة، ولاسيما من جهة الشكر والتجرد. وهكذا فنموذج التدين في الحياة الطيبة لا يمكن أن يتأسس أصلا إلا على الهدي الذي شرعه خالق الموت والحياة. والناس، ومن بينهم المسلمون يتساءلون ويبحثون عن هذه الحياة الطيبة، حياة الأمن الفردي والجماعي، ويتوسلون إليها بمختلف التدابير والاختراعات، ولكن تجارب البشرية تدل على أنهم سيظلون بعيدين عنها في واقع ينعدم فيه الأمن الباطني والجماعي ويفتقد فيه السلم والسلام والسكينة والطمأنينة.

لا يمكن أن تكون الحياة الطيبة الموعودة تصورا خياليا، لأنها نموذج جُرب وصح في عهد المبلغ الأول ﷺ، وهو تجريب ممكن في كل

وقت على أيدي المبلغين العمليين الذين لا يأتون إلى موضوع الإصلاح من طابقه السياسي الأعلى، ولكن من حياة جماعة بسيطة كهذه القرية التي وقعت فيها تجربة الإرشاد وحول حياة المسجد، فإذا تبين لأهلها وغيرهم أن حياتهم تتغير نحو الإصلاح، ولو بمقدار العشر في السنة، في معيشتهم وصحتهم وشكرهم، فإن تلك من معالم الفلاح، وعندئذ يبدأ الشوط الموالي، وهو توسيع التجربة، والغاية القصوى هي الإقناع العملي بأن تكاليف الحياة المادية والنفسية يمكن أن تنخفض بالتدريج بإصلاح النفوس بهدي الكتاب والسنة مع بيان الارتباط العضوي المعتدل من خلالهما بين الدين والحياة اغتناما للطيبات في هذه وتمهيدا للنجاة في الآخرة.

الخاتمة الثالثة: حرص المبلغ على أن يطمع الناس في رحمة الله

في حرص المبلغ على إطماع الناس في رحمة الله يكرر عليهم قوله ﷺ : "كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون "[1]، و يستند في تبليغه إلى ما جاء بخصوص رحمته تعالى في آي عديدة من كتابه العزيز ومن ذلك قوله تعالى: (ثُم أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِالْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ) [2]. ومن المفيد للمبلغ أن يراجع في شرح هذه الآية كتابا نفيسا بناه المؤلف على هذ الآية وعنوانه " سنن المهتدين في مقامات الدين " والمؤلف هو محمد بن يوسف العبدري الغرناطي المعروف بالمواق، المتوفى عام 897 للهجرة. فقد تحدث فيه عن العمل في مقامات تسعة هي مقام المسرف على نفسه ومقام المخلط المبتلى بالمخالفة

[1] - رواه ابن ماجه، باب ذكر التوبة.

[2] - فاطر:32.

ومقام الغوغاء ومقام درء الأخس بالخسيس ومقام حضور النية الذي يصير المباح مكرمة ومقام إن لم يكن في عمل أفضل فلا أقل أن يكون في عمل فاضل ومقام أن يكون في مهم إن لم يكن في أهم ومقام خواص العلماء بأحكام الله ومقام الأخذ بالجد في الدين. وقد دار كلامه على أن هذه الآيات تضمنت وعد الله على كون هذه الأمة بأصنافها الثلاثة، الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات جميعهم من أهل الجنة.

فالإراثة معناها أمر الله المسلمين بأن يتلقوا الكتاب من الرسول.

والذين اصطفاهم هم المؤمنون. ومناط الاصطفاء هو الإيمان، لذلك فالبشارة عامة للمراتب الثلاث وقدم الظالم حتى لا يظن أنه محروم.

والظالم لنفسه الذي يجرها إلى المعصية.

قال تعالى: (قُل يَٰعِبَادِيَ ٱلذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ)[1](الزمر53).

والمقتصد الذي اتقى الكبائر وقد يلم باللمم المعفو عنه.

والسابق المكثر من الخير أي الطاعات.

والفضل شرف الخروج من الكفر إلى الإيمان.

هذا الاصطفاء وإيراث الكتاب جمع فضيلة الدنيا وفضل الآخرة، وهذا وعد يلتقي مع الوعد الأخر الذي بنينا عليه الخاتمة الخامسة أعلاه وهو قوله تعالى: (مَن عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ انثىٰ وَهُوَ مُومِنٌ

- الزمر:50.

فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ)[1].

[1] - النحل: 97.

الخاتمة الرابعة: سياق التبليغ في المغرب والفرصة السانحة

لا يخفى عن أحد أن القيام بتبليغ الدين في بلد من البلدان من جهة وتحقيق مقاصده في حياة الناس في ذلك البلد، أي إثمار " الحياة الطيبة " من جهة أخرى، أمران قابلان للتحقيق على قدر توفر ظروف مواتية وشروط حاسمة، منها:

1. إمامة عظمى تحمي الملة والدين؛
2. حياة سياسية مستقرة؛
3. حياة اجتماعية آمنة بوازع السلطان القائم على العدل؛
4. قيام الإمامة العظمى بتكليف مشيخة علم تؤطر الناس في الإرشاد والتبليغ والفتوى وكل ما يتوقف عليه تسديد الدين؛
5. قيام الإمامة العظمى بتوفير ما يتوقف عليه إقامة الدين من الوسائل من مساجد وأئمة ومعلمين؛
6. قيام الإمامة العظمى بتوفير ما تقوم به الأركان وتعرف به المواقيت والأيام؛
7. وجود مشيخة علم فقيهة عادلة تضع في أولوية تبليغها دفع الفتنة؛
8. وجود مشيخة علم فقيهة في مقتضيات الأحوال على نهج مقاصد الدين؛
9. قيام هذه المشيخة بتبليغ يحقق السلم في باطن الناس ويربيهم على التزكية (المحاسبة)؛

10. اعتبار التبليغ الناجع هو الذي يغير حياة الناس لتحقيق ما وعد الله به المؤمنين من الحياة الطيبة؛

11. فهم هذه المشيخة للتاريخ الحاضر سياسيا واجتماعيا وما في هذا الحاضر من مشجعات التبليغ ومن معوقاته؛

12. تبدأ هذه المشيخة في تبليغها المستعمل لوازع القرآن استعمالا مهيكلا مبينا بليغا، تبدأ بمساندة المجهود العمومي في الأمن والتخليق والصحة البدنية والصحة النفسية وحياة الاعتدال؛

13. تنتهي هذه المشيخة بحالة يصبح فيها عملها في التغيير ذا مردودية اقتصادية واجتماعية تخفف الأعباء بشكل مقنع على الأفراد والجماعات إلى حد يكتسب فيه اعترافا عموميا يزيل الانفصام الذي يعيشه الناس بين أمور الدين وأمور الدنيا.

تتوفر هذه الشروط في السياق المغربي ويمكن أن يساعد استثمارها على إظهار نموذج جديد من الحياة ينعم به المتدين وغير المتدين، ولا حصر للآثار الإيجابية المتوقعة منها على صعيدي النظر والعمل.

وردت في مادة نص هذه اليوميات مواد عديدة تدخل في التبليغ المطلوب. أفق قابل للاجتهاد، لا تشوبه مثالية ساذجة لأنه يستوعب واقعية القرآن الذي اعتبر ضعف الإنسان والنجاة من الخسر استثناء، ولكن الجوهر هو هذا النمط العملي المستنبط بالاستناد إلى وعد القرآن وإلى شرطيه في الحياة الطيبة، الإيمان والعمل الصالح.

فهي فرصة سانحة، وتشخيصها غير قابل للخلاف والجدل المحتدم في كل مسائل الدين بما جرح المبلغون، وبعد تشخيصها فإن تضييعها دون تحقيق الحياة المطلوبة أمر خطير ينطوي على مسئولية كبرى أمام الله وأمام الناس.

الخاتمة الخامسة: فائدة يوميات الإرشاد

لا تهم معرفة اسم المرشد الذي كتب اليوميات؛

ولا تهم معرفة القرية التي وقعت فيها تجربة الإرشاد؛

لكن المهم هو المقترحات التي يتضمنها النص بالنسبة لتجديد مشروع التبليغ المنوط بالعلماء، ويستفاد من النص مقترحات قابلة للنظر والتعديل والتسديد من طرف المؤسسة العلمية باعتبارها جديرة بالاعتبار لأنها تجربة عملية ميدانية وتهم هذه المقترحات الجوانب الآتية:

1. إشراف المؤسسة العلمية المحلية؛
2. التهيئ الضروري للمبلغين بإشراف المؤسسة المذكورة؛
3. استعمال المرشدين والمرشدات في التبليغ الميداني؛
4. المتابعة الضرورية لعمل التبليغ الميداني من طرف الهيئة العلمية؛
5. الإشراك الفعلي للقيمين الدينيين المحليين؛
6. المراعاة التامة لمشاعر هؤلاء القيمين المحليين من طرف المبلغين المكلفين؛
7. الهيكلة العامة لموضوع التبليغ على غرار المقترح الوارد في اليوميات بعد الإقرار أو التعديل من طرف المؤسسة العلمية؛

8. التمهيد للموضوع بما ينبغي من العبارة وفي المدة الكافية ليفهم المستفيدون أن المقصود هو تسديد تدينهم حتى يوافق مقصود الدين؛
9. التمهيد للموضوع بما ينبغي من العبارة وفي المدة الكافية ليفهم المستفيدون أن المقصود هو تغيير سلوكهم بوازع القرآن؛
10. استعمال التيسير في التبليغ؛
11. ربط مضمون التبليغ بمقتضيات الإيمان لخلق الاستعداد للعمل وفق وازع القرآن؛
12. ربط مضمون التبليغ بإقامة الصلاة وبثمرتها في النهي عن الفحشاء والمنكر؛
13. ربط مضمون التبليغ بأنواع العمل الصالح التي يندب إليها الدين؛
14. الإفهام بأن العبادة الصحيحة هي التي لها ثمرة في السلوك؛
15. ضرورة حرص المؤسسة العلمية على توجيه الخطاب المنتظر منه تصحيح الإيمان والقيام بالعمل الصالح، ويتعلق الأمر بخطب الجمعة ودروس الوعظ والإرشاد؛
16. الحرص على أن يهدف هذا الخطاب إلى بناء تدريجي لحالة جديدة من التدين على خلاف الخطاب السابق الذي كان خاليا من المنهج البناء؛
17. خلق جو التراحم والتعاون بين الناس من أجل العمل الصالح؛
18. التركيز على أن العمل الصالح هو ما ينفع الناس؛
19. التركيز على أن العمل الصالح يقع في جوهر العبادة؛
20. الإفهام بأن الجماعة تصلح بصلاح الأفراد؛

21. الإفهام بأن صلاح الجماعة يعين على صلاح الأفراد؛
22. جعل المسجد منطلقا لمساعي تسديد التدين؛
23. جعل المسجد منطلقا للعمل الصالح لفائدة الجماعة؛
24. تفعيل دور جماعة المسجد؛
25. تتكون جماعة المسجد من كل الأفراد الذين يقصدونه للصلاة؛
26. يمكن تكليف بعض الأفراد بمهام تدخل في إصلاح جوانب من حياة الناس؛
27. تتم مباشرة مبادرات الإصلاح على أساس تشخيص لأحوال الجماعة من حيث حاجاتها إلى ما ينفع الناس؛
28. يمكن إجراء هذا التشخيص على غرار الثلاثية الواردة في نص اليوميات: ما هو سلبي ينبغي التخلص منه وما هو محتاج إلى الإصلاح وما هو موضع ابتكار تتطلبه حياة الجماعة؛
29. ينبغي الانطلاق في التشخيص من النظرة المعتادة التي تكرس الانفصام بين الدين وبين الحياة؛
30. حرص إمام المسجد على عدم السماع لشخص أو أشخاص بالاستبداد برأي الجماعة أو تصرفاتها،
31. استعمال الحكمة في تحييد المشوشين على الثوابت وعلى القيمين الدينيين وعلى جماعة المسجد؛
32. استعمال الحكمة في التعامل مع الفرقاء الاجتماعيين العاملين النشطين في الميدان؛
33. ينبغي أن يسفر هذا المشروع الإرشادي على إقناع الناس بأن الاستجابة لتوجيه الدين يخدم مصالحهم الدنيوية؛

34. ينبغي أن يسفر العمل بهذا المشروع عن حياة طيبة تقل فيها الأعباء والتكاليف على الأفراد والجماعات.

35. سواء كان مجال تدخل الإرشاد في مجال بسيط مثل القرية التي جرت فيها اليوميات أو في مجال شديدة التعقيد السكاني أو الاجتماعي في حي من أحياء المدن الكبرى، فإن المقاربة تراعي المعطيات الحاضرة ولكنها لا تختلف في الجوهر المتمثل في المقصود وهو تأهيل الإنسان للحياة الطيبة باستيعاب مقتضيات الإيمان المؤهلة للتزكية وإقامة الصلاة بثمراتها التي هي الانتهاء عن الفحشاء والمنكر وإقامة الزكاة لضمان العيش الأدنى للمستحقين والقيام بالعمل الصالح الذي به يتحقق فلاح الجماعة الذي ييسر الفلاح للأفراد، والفلاح يتحقق بقدر حدوث تغيير بوازع القران.

فهرس

تقديم 3

يوميات الإرشاد 6

تأطير المجلس العلمي المحلي 7

التكليف بمهمة جديدة وبيان الدواعي إليها 8

المستجد في المهمة 8

التحضير على مستوى المجلس لتجربة تبليغية في قرية بعينها لمدة عام 9

تحضير وثيقة مواضيع ووثيقة تأصيل 10

أمور يتوجب على المبلّغ استحضارها 11

قيام الإمام المرشد والمرشدة بتدبر معاني توجيهات المجلس 13

العملية التبليغية ليست تعليمية وحسب بل ينبغي أن تبني رابطة روحية ... 13

الانتقال إلى القرية 13

شرح الموضوع للأئمة 14

معرفة أحوال القرية ضروري 15

استعمال الزمن 15

تواضع الإمام المرشد أفاد في فهم الأئمة 15

المسكن في القرية 16

الموعظة الأولى: شرح سورة العصر 16

الموعظة باللغة المحلية 17

موعظة ثانية: الدين أمران: الإيمان والعمل الصالح من أجل حياة طيبة....18
تكرار الموعظة حتى يستمع لها معظم السكان 19
تسجيل الموعظة لنشرها.....20
دعوة للعشاء بدار الشيخ 20
موعظة في دار الشيخ: شرح سورة قريش 21
تعقيب الشيخ.....22
تعليق أحد الحاضرين 22
تبادل التعليق على المواعظ مع المرشدة.....23
موعظة المرشدة.....24
انتقاد لباس المرشدة 24
تعليق المرشدة على مسألة الحجاب 25
الإمامان يستحسنان الموعظة.....26
جاء الدين ليحقق به الناس الحياة الطيبة 26
توجيه الخطيب إلى الكلام في خطبته عن ضرورة الاستجابة لدعوة الله 27
الخطبة حول الاستجابة للدعوة.....28
الإقبال على المسجد 29
هل يفتح باب الأسئلة في الخطبة؟ 30
مواعظ المرشدة قائمة على الحوار المباشر وعبر الهاتف 31
موعظة أخرى في موضوع الاستماع من أجل الاتباع 33
مسألة استقطاب العدد الأكبر 33

مسألة إحياء جماعة المسجد 34

عرض خارطة الطريق 35

مواضيع التبليغ أو هندسته من خلال الأركان وتنزيلها للقيام بالعمل الصالح 37

الشهر الأول: خطب حول الوعد بالحياة الطيبة..... 41

تُتبع الخطب بالشرح والتبسيط..... 45

المؤمنون جسم متضامن الأعضاء 47

تغيير أحوال القرية على أيدي أهلها 48

ما يصنعه المتلقي بكلام المبلغ 49

خطبة في موضوع شح النفس 50

ضرورة اقتران الإيمان بالعمل..... 52

الإيمان..... 54

الخطبة الأولى:..... 54

الخطبة الثانية..... 56

الخطبة الثالثة..... 57

الخطبة الرابعة: الحرية إزاء الأغيار البشرية: 59

الخطبة الخامسة: الحرية إزاء الأغيار المادية: التملكات والشهوات المحصلة والمأمولة 61

موعظة في الموضوع نفسه: 62

الخطبة السادسة: بناء على ما تقدم من ضرورة تقوية القدرة على الاستجابة لوازع القرآن 62
الخطبة السابعة: الصيام..... 67
الخطبة الثامنة: الحج 72
الخطبة التاسعة: الذكر..... 75
الخطبة العاشرة: الشكر..... 78
الخطبة الحادية عشرة: التواصي بالصبر 80
الصلاة.....84
الخطبة الأولى..... 84
الخطبة الثانية..... 86
الخطبة الثالثة: الكذب 86
الخطبة الرابعة: أذى الغير 89
الخطبة الخامسة: الظلم..... 89
الخطبة السادسة: تجنب أكل الحرام 91
الخطبة السابعة: الزنا..... 93
الخطبة الثامنة: الإلقاء بالنفس إلى التهلكات..... 97
الخطبة التاسعة: الإسراف في اللذات 102
الخطبة العاشرة: التبذير في المستهلكات 104
الخطبة الحادية عشرة: الغلو والتشدد، ومنه دعاوى الإرهاب 106
الخطبة الثانية عشرة: التعصب للمعتقدات والانتماءات..... 108

الخطبة الثالثة عشرة: الحرمان من الطيبات 109
الخطبة الرابعة عشرة: الإفساد في الأرض عموما 111
عمل الصالحات 116
الخطبة الأولى 126
الخطبة الثانية: إيتاء الزكاة 127
الخطبة الثالثة: الإنفاق عامة من غير الزكاة 134
الخطبة الرابعة: السعي وفق الأسباب والسنن ونبذ التواكل 139
الخطبة الخامسة: التعاون على البر والتقوى 141
الخطبة السادسة: التعلم والتعليم 144
خطبة ثانية في موضوع العلم والتعلم 146
خطبة ثالثة في موضوع العلم والتعليم والتعلم 148
الخطبة السابعة: أداء الحقوق والأمانات والوفاء بالعهود والعقود 150
الخطبة الثامنة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بوازع السلطان..... 153
الخطبة التاسعة: التواصي بالحق 157
إحصاء حاجيات القرية ووجوه الخلل في حياتها 163
الخطبة الأولى بعد الإحصاء 166
أولا: الاحتياجات المعيشية الضرورية التي لا تغطيها الزكاة؛ 175
أ- إحياء عادة تقديم "رتبيات" 175
ب- مرافقة حالات الإعاقة في العائلات 176
ت- الأمراض المزمنة؛ 176
ث- العناية بالصحة الجسدية، 177

ج- العناية الصحية النفسية بالوسائل الروحية 178
ح- العناية الصحية الروحية 178
خ- القضاء على أنواع ا لإدمان (التدخين والمسكر والمخدر) 179
د) معالجة مشكل إيجاد الشغل للعاطلين 180
ط)محاربة الجهل بالقراءة والكتابة 182
ي) تعليم الضروري من أمور الدين 182
ثانيا: أنواع الوقاية التي ينبغي السهر عليها 183
أ) النظافة 183
ب) الوقاية من المرض بتحسين البيئة 184
ج) الوقاية من المرض بممارسة الرياضة 185
د) الوقاية من المرض بتجويد التغذية 185
ه) الوقاية من المرض بتجويد النوم 186
و) الوقاية من العنف داخل العائلات 187
ز) الوقاية من تأخر سن الزواج بتشجيع الزواج 188
ح) الوقاية من الطلاق بتوعية النساء والرجال 190
ط) إقامة مجموعة لإصلاح ذات البين 191
ي) محاربة الرشوة 192
ك) الاحتياط في استعمال شبكات المعلومات 193
3) أنواع التحسينات التي يمكن إدخالها 195
أ) العناية بالأطفال؛ 195
ب) العناية بالعجزة 198
ج) العناية بالأرامل 198
د) تنظيم دورات ختان 198
ه) تقديم أُضحيات العيد 199
و) إحياء ا لأعياد والمناسبات 200
ز) تجهيز الموتى وإقامة المآتم 200

ح) إرشادات للنساء تتعلق بالاقتصاد العائلي (يدخل في برنامج السيدة المرشدة) ومن مظاهره: 201

خمس خواتم 205

الخاتمة الأولى: الموت والحياة 205

الخاتمة الثانية: ما هي الحياة الطيبة؟ 207

الخاتمة الثالثة: حرص المبلغ على أن يطمع الناس في رحمة الله 209

الخاتمة الرابعة: سياق التبليغ في المغرب والفرصة السانحة 212

الخاتمة الخامسة: فائدة يوميات الإرشاد 214